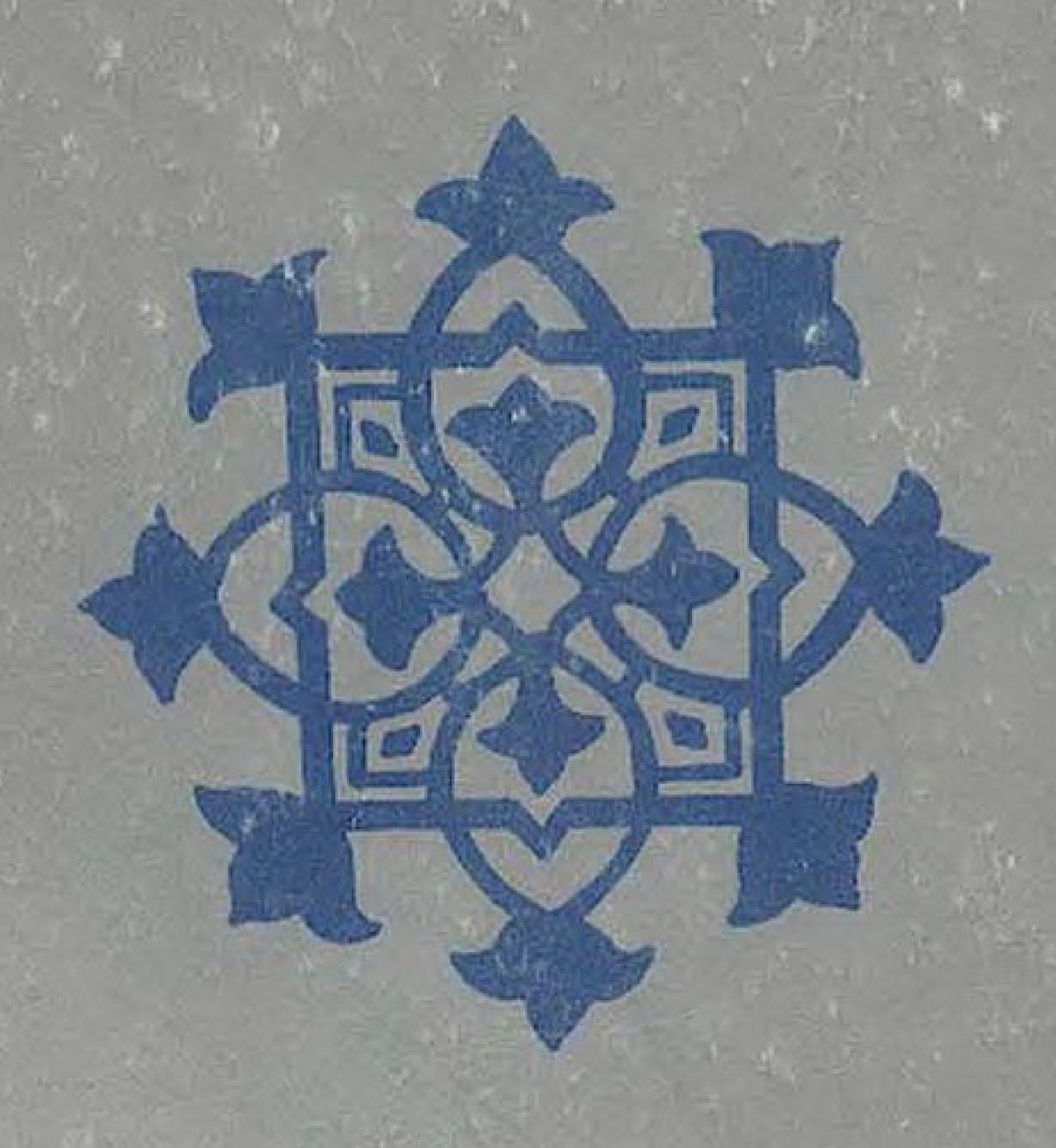




39

المناهل

تصدرها
وزارة الشؤون الثقافية
الرباط - المغرب

العدد التاسع والثلاثون — جمادى الأولى 1411
السنة السادسة عشرة — دجنبر 1990

الفهرس

صفحة

المفاخر العلية والدرر السنية في الدولة العلوية الحسنية

عبد القادر زمامة

عندما نتصفح مصادرنا ومراجعنا المكتوبة عن تاريخ المغرب الأقصى في القرن الثالث عشر الهجري وبداية القرن الذي بعده القرن العشرين الميلادي وبداية القرن العشرين... نجد أنفسنا في ميدان البحث التاريخي بسائر أنواعه. أمام أنماط وأصناف وأساليب من المؤلفات المطولة والمختصرة. متعددة المشارب والاتجاهات والمقاصد. تعكس على مرءاتها ماكان يشغل بال عدد كبير من رجال المعرفة والثقافة والرأي والسياسة. وهم يواجهون الأحداث المتلاحقة داخل المغرب كما يواجهون ما دبّ إلى بلادهم من تطلعات وتدخلات ومشاريع ومكايد أجنبية...

وبحكم اختلاف درجات تفكيرهم وثقافتهم وتفتحهم وجمودهم وارتباطهم المباشر وغير المباشر برجال الحكم والنفوذ والسياسة... فإن مؤلفاتهم التاريخية التي هي بين أيدينا الآن في خزانة عامة وخاصة. تضم الغث والسمين والرخيص والثمين. كما تضم المادة التاريخية المفيدة والتعليقات والاستنتاجات الشخصية العميقة إلى جانب النقول المتعددة التي لا صلة لها بالموضوع التاريخي...! والاستطرادات المطولة التي تنسيك أحيانا البدايات والنهايات..! وهذه سمة ظاهرة. وقدر مشترك بينها. مع استثناءات لامجال لذكرها الآن..!

ومع ذلك فإن بحثنا المعمق وثقافتنا التاريخية ولا سيما منها ما يتعلق بهذه الحقبة من تاريخنا الوطني يظلان في نقص وقصور وسطحية إذا نحن لم نطلع على هذه المؤلفات. ولم نستفد من إيجابياتها. ولم نستعمل قواعد النقد إزاء سلبياتها.!!

وقد سبق لهذا القلم أن وقف مع عدة مؤلفات مخطوطة تؤرخ هذه الحقبة من تاريخ المغرب مما يشمل القرن الثالث عشر الهجري وبداية القرن الذي بعده...[1]

ومن جملتها مخطوطة :

الحلل البهية للمؤرخ محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي المتوفى سنة 1334هـ /1915م.

---

1 - انظر مجلة المناهل العدد 36

وهي نموذج حي للسمات التي ذكرناها لمؤلفات تاريخية أرخت هذه الحقبة... حيث إن مؤلفها استغل شرحه لمنظومة : **محمد الغالي ابن سليمان المتوفى سنة 1317 هـ/ 1899** م وحشر كل ما أمكنه من معلومات ونقول ونصوص مسترسلا في حديثه من غير تبويب ولا تقسيم. مع مادة تاريخية لا تنكر فائدتها للباحث الدارس...!

واليوم يقف هذا القلم مع مخطوطة أخرى في نفس الموضوع التاريخي مع فروق وملابسات تتعلق بالاهتمامات والتطلعات والارتباطات بالعلم والعلماء والقضاء والقضاة. والوزارة والوزراء والكتابة والكتاب. وما إلى ذلك من الموضوعات التي يقع عليها الاختيار...

وهذه المخطوطة هي : **«المفاخر العلية والدرر السنية. في الدولة العلوية الحسنية»**. للمؤرخ الفقيه عبد السلام العمراني الجائي، الذي نال ترجمته حظ من الإهمال يشعر به الباحث الدارس المتطلع إلى ترجمة وافية تعين مراحل حياته وارتباطاته وصلاته واتجاهاته..!

وقصتي مع هذه المخطوطة التاريخية والبحث عن مؤلفها ترجع إلى عدة سنوات، فقد لفت نظري اثناء مطالعة كتاب : **الدرر الفاخرة للمؤرخ النقيب ابن زيدان المتوفى سنة 1365 هـ/1946م** أنه نقل في كتابه المذكور عن هذه المخطوطة وذكر أنها توجد في مسودتها بمكتبته الزيدانية، ولم يشر إلى مؤلفها في كتابه المذكور[2].

---

2 - انظر الدرر الفاخرة ص 97. ط. الرباط 1356 هـ/1937م

ومع استمرار البحث والاطلاع ظهر أن مؤلفها هو الفقيه أبو محمد عبد السلام بن أحمد الجائي الذي كان في عصره شهيراً في الأوساط العلمية بفاس..!

وأسلمني البحث إلى مراجعة كتاب **الدرر البهية للمؤرخ النسابة أبي العلاء الفضيلى المتوفى سنة 1316 هـ/1898 م.**

وكم كان سروري عظيما حينما وجدت هذا المؤرخ المطلع يذكر في الجزء الثاني من كتابه هذا معالم وخطوطاً عريضة تتعلق بهذا الفقيه المؤرخ : عبد السلام العمراني الجائي... وكتابه هذا الذي نتحدث عن مخطوطته...[3]

وبذلك تبين لي أن أبا العلاء الفضيلى كان على معرفة تامة. وتقدير كبير لمعاصره مؤلف كتاب : **المفاخر العلية.** لكونه من أعلام العصر في المعارف والعلوم والاطلاع والتدريس والتأليف والشهرة والحظوة عند الحاكمين...

واذا كان أبو العلاء الفضيلي مؤلف كتاب الدرر البهية قد ودع هذه الحياة سنة1316 هـ/1898م فان الفقيه المؤرخ عبد السلام العمراني الجائي قد امتدت به الحياة بعده إلى سنة1332 هـ/1914 م

3 - انظر الدرر البهية ص. 168. ج.2.ط. حجرية بفاس

وكان المؤرخ العمراني الجاني في مقدمة العلماء الاعلام الذين قرظوا كتاب : الدرر البهية يوم صدوره عن المطبعة الحجرية بفاس سنة 1314 هـ/1896 م وتقريظه هذا جاء بنصه الكامل آخر الجزء الثاني من الكتاب المذكور. وأمضاه صاحبه بهذا الإمضاء : **عبد السلام بن أحمد العمراني الحسني الجاني من آل الشيخ مولانا عبد الرحمن الشريف العمراني دفين الجاية لطف الله به آمين.**

وبهذا الإمضاء الطويل عرفنا المؤرخ العمراني ببعض معالم ترجمته. كما فعل معاصره أبو العلاء الفضيلي... فوالده هو : **أحمد. لا محمد... كما وقع في بعض الاقلام...** ويرجع نسبه إلى الشيخ عبد الرحمن الشريف دفين قبيلة **الجاية** المعروفة، وهذا الشيخ شهير مترجم في عدة مصادر تاريخية. وهو من رجال القرن الحادي عشر الهجري.

وإذا رجعنا إلى ما كتبه أبو العلاء الفضيلي عن معاصره الفقيه المؤرخ العمراني الجاني وجدنا أنه يضفي عليه جملة نعوت وأوصاف كلها تقدير وتكريم لعلمه وشخصيته مع ذكر بعض شيوخه الاعلام وما ألفه من كتب في موضوعات متعددة، ومن ضمنها هذا الكتاب الذي نتحدث عنه الآن، وقد عبر عنه هكذا : «وله تأليف في هذه الدولة العلوية الحسنية» ولم يسمه باسمه الخاص الذي هو : المفاخر العلية ثم زادنا أبو العلاء الفضيلي في معالم ترجمته قوله :

«ووجهه أمير المؤمنين مولانا الحسن رحمه الله لثغر العرائش بقصد قراءة العلم ونشره بذلك الثغر. ودرس هناك مدة. ثم عاد إلى فاس وهو الآن بها...»

ومن الطريف أن مؤلف : الدرر البهية كان يعرف محل سكنى المؤرخ العمراني من أحياء مدينة فاس. كما كان يعرف أن له عقبا، فنجده يقول عنه :

«وله عقب.. وسكناه بحومة سيدي عبد الرحمن المليلي. عدوة فاس الأندلس...»

ولعلنا بعد هذه المعلومات التي أفادنا بها المؤرخ أبو العلاء الفضيلي عن معاصره المؤرخ العمراني الجائي نستطيع أن نقول: إننا مدينون له بما سطره عنه... وإن كان لم يذكر وفاته. فإن أبا العلاء الفضيلي كتب ما كتب. ومعاصره المعني بالأمر كان ما يزال بقيد الحياة. كما هو ظاهر...

وإذا رجعنا إلى مخطوطة : المفاخر العلية نجد أثناء كلام مؤلفها بعض المعلومات المتعلقة بحياته الخاصة وشيوخه ومفيديه وصلاته ببعض رجال عصره... وعناصر تكوينه العلمي والأدبي واتجاهه الفكري نحو أئمة التصرف وكتبهم المتعددة التي يكثر من النقل عنها في كتابه هذا في عدة مناسبات. كما يكثر من ذكر من كان يشار إليه بالتصوف والصلاح في عصره..!

فهو ابن بيئته وعصره. يشغله ما يشغل أهل عصره... ويفسر بعض الأحداث والتقلبات بما كان متداولا في عصره من تفسيرات...

كما أننا نلاحظ أثناء حديثه عن وقائع عصره التي عاش فيها ولابسها من قريب أو بعيد... أنه يسكت عن أحداث لم يرد الخوض فيها... أو على الأقل يمر عليها مر الكرام كما يقولون...!

والمؤلف يملك ذوقا أدبيا واضحا فيما سطره... كما يملك تحكما في علمه حيث إنه كان يسترسل مع عواطفه ومشاعره إلى النهاية... في كثير من الأحيان...

هذه نظرة موجزة عن معالم ترجمة صاحب هذه المخطوطة... ومنها ننتقل إلى نظرة موجزة عن مضامين المخطوطة ذاتها... وما يهمنا منها...

تشتمل هذه المخطوطة على ما يقرب من أربعمائة صفحة من القطع المتوسط. ومنها عدة نسخ في المكاتب الخاصة والعامة... وتشتمل على مقدمة وخاتمة وعشرة أبواب... وقد اشتغل المؤلف بها سنة 1305 هـ/1888 م كما ينص على ذلك في عدة مناسبات، وكذلك في الخاتمة...

والمخطوطة رفعها مؤلفها إلى مقام المرحوم السلطان مولاي الحسن الأول... يؤرخ دولته وينشر مفاخرها. كما فعل ذلك كثير من معاصريه. مع مادة تاريخية عن حياة العلم والعلماء في عصره. وقبله بقليل.!!

والأبواب الأولى من هذه المخطوطة نجد بها معلومات متنوعة. ونقول معتادة مكررة تعرض فوائد علم التاريخ. كما تعرض بداية الخليقة وأسماء الأمم السابقة. وتاريخ الإسلام والفتوحات الإسلامية في أقطار المغرب والأندلس. والدول المتعاقبة على حكم المغرب. وبعض الأحداث الكبرى التي جرت على عهد كل منها.!!

إلى أن يصل المؤلف إلى المقصود عنده بالذات وهو تاريخ المغرب على عهد الدولة العلوية والملوك الذين تعاقبوا على العرش المغربي قبل السلطان مولاي الحسن الأول الذي يرفع المؤلف كتابه هذا إليه مؤرخا دولته مسجلا بعض خطواتها... في ميادين شتى...

والأهمية التاريخية التي نقدرها حق قدرها في هذه المخطوطة ترجع إلى الباب التاسع وما بعده فقد تناول المؤرخ هناك العهد الحسني وما ظهر فيه من أعمال ومشاريع وما برز فيه من أعلام في الحرب والسيلسة والقضاء والعلم والأدب... ولقد قسم المؤلف ذلك الى عدة فصول تناول في كل منها جانبا خاصا وصنفا خاصا...

والمؤلف - لحسن الحظ - أخذ على عاتقه مهمة التعريف بعدد من شخصيات العلماء والوزراء والقضاة والكتاب وبعض شيوخ الزوايا. وبعض الأطباء... مما يفيد البحث التاريخي والفكري والأدبي في هذه الحقبة وما سبقها بقليل... كما أنه احتفظ بنصوص أدبية لبعض شعراء العصر:

- العباس الابار
- العباس التازي
- عبد الرحمن الشرفي

كما احتفظ بنصوص أدبية أخرى لشعراء تقدموا هذه الحقبة نخص منهم بالذكر :

- علي قصارة
- وقريبه محمد قصارة.

ومصادر المؤلف متعددة ولا سيما منها كتب المؤرخين المغاربة الذين كتبوا عن تاريخ المغرب عموما. وتاريخ الحقبة خصوصا... وهو تارة يشير إلى مصدره. وتارة يهمل ذلك... كما أنه يعتمد على مشاهداته ومسموعاته ومروياته. ويعطي تفسيرات شخصية لبعض الأحداث التي ذكرها...

ومن الجدير بالملاحظة أنه ينقل عن المؤرخ الشهير العربي المشرفي المتوفى سنة 1313 هـ/1895 م بعض ما كتبه هذا المؤرخ عن الأمير: عبد القادر الجزائري في كتابه الغريب الشأن: «طرس الأخبار بما جرى آخر الأربعين من القرن الثالث عشر للمسلمين مع الكفار»

وإن كان المؤرخ العمراني الجائي لا يسمي هذا المصدر بهذا الاسم وإنما يكتفي بقوله : «وقد رأيت في تأليف للفقيه الأديب السيد العربي المشرفي...»

إلا أننا بالمقارنة والمقابلة بين ما ذكره العمراني وما جاء في مخطوطة : «طرس الأخبار» نجد الواقع كما ذكرناه..!

كما أنه من الجدير بالملاحظة أيضا أننا نجد المؤرخ العمراني في مخطوطة : المفاخر العلية ينقل عن قريبه الفقيه المفتي المطلع الشيخ : محمد الغالي العمراني... ما كتبه في كتابه المفيد : «مقمع الكفرة بالسنان والحسام في بيان إيجاب الاستعداد وحرب النظام». الذي رفعه إلى السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن... والد السلطان مولاي الحسن الأول... ناصحا مؤيدا لفكرة تطوير بناء القوة العسكرية المغربية لمجابهة ما دب إلى المغرب من مكايد ومطامع وتطلعات استعمارية..!

وقد كان السلطان المذكور استفتى بعض العلماء في الموضوع. فاغتنم الشيخ محمد الغالي العمراني المناسبة وألف ذلك الكتاب..!

ولم يكتف المؤرخ العمراني بالنقل عن قريبه، بل إنه نوه به وبعلمه. وأعطى بعض المعلومات عنه وعن أشياخه. ونعته بالعلامة النوازلي وقال عنه :

«... وكانت فتاويه عمت المغرب كله أوكاد...! تاتيه الرسرم من جميع الجهات...!»

كما أن أبا العلاء الفضيلي أشار إليه في كتابه : الدرر البهية. ونعته بنعوت جليلة مما يدل على أنه كان يقدره كما يقدر قريبه صاحبنا.(4)

وأفادنا المؤرخ عبد السلام العمراني أن قريبه الشيخ محمد الغالي العمراني توفي في نحو سنة ثمانين ومائتين وألف هجرية (1280 هـ) فاذا لم يكن قد حصل خطأ في كتابة هذا التاريخ من جانب ناسخ المخطوطة... فإن هذه الإفادة تكون ثمينة عن تاريخ وفاة هذا العالم الجليل الذي لحق ترجمته وأخباره كثير من الإهمال. بل وتجاهل شأنه. وتناساه كثيرون...!!!(5)

---

4 - انظر الدرر البهية ج.2ص168. ط هجرية بفاس

5 - في بعض المراجع والدراسات أن وفاته كانت سنة 1289 هـ ...!

ومن خلال تاريخ المؤلف للحياة العلمية والفكرية والقضائية والأحداث السياسية نجده حذرا يقظا. يكتفي أحيانا بالإشارة الدالة والتلميح...!وبذلك لم يقع فيما وقع فيه بعض معاصريه مما أثار عليهم ضجات معروفة لاداعي لذكرها الآن...!

ويتجلى بعض ذلك في عرضه للقضية المعروفة بقضية الأمين محمد بن المدني بنيس مع أصحاب حرفة الدباغة بفاس. التي كانت سببا في فتنة استمر الحديث عنها مدة طويلة...! وتحدث عنها كثيرون في مؤلفاتهم بأساليب شتى... بين تطويل واختصار وتعمق وسطحية.

أما صاحبنا المؤرخ العمراني فقد استعمل لباقته وحذره. وأشار إلى جوانب منها. وترك التفصيلات لمؤرخين آخرين من معاصريه... وكأن الامر عنده لا يستحق أكثر من ذلك...!

ومن الطريف في هذه القضية أننا نجد المؤرخ الفقيه محمد ابراهيم السباعي المراكشي المتوفى سنة 1332 هـ/1914م يذكر في مخطوطة كتابه :

«البستان الجامع» دقائق غريبة عن هذه القضية كما يذكر أسماء بعض الشخصيات التي أسهمت من قريب أو بعيد في إثارتها ...!!

وإذا علمنا أن المؤرخ العمراني كان قد أنهى كتابه سنة1305 هـ/ 1880 م علمنا أن الكتاب ظهر في وقت تكاملت فيه معالم قوة الدولة وظهر من أعلامها العدد الكثير في سائر الميادين. وبذلك نال المؤلف شفوفا وتقديرا وشهرة في الأوساط العلمية والمخزنية...!

ولعل ذلك مع المكانة العلميــة. هو الذي جـعل أبا العـلاء الفضيلي ينوه بمؤرخنا هذا في كتاب: الدرر البهية كما أشرنا إلى ذلك من قبل...

ومن الجدير بالملاحظة هنا ونحن نشير إلى أهمية ما كتبه المؤرخ عبد السلام العمراني الجائي في القسم الأخير من كتابه عن حياة العلم والعلماء... أن نذكر ماقام به المرحوم العالم الاديب المطلع أبو العباس أحمد النميشي المتوفى سنة 1386 هـ/1966 م من تلخيص لذلك وإيداعه في إحدى كناشاته العلمية المفيدة[6] التي أفادتنا كثيراً.

ولا نودع الحديث عن بعض مضامين هذه المخطوطة التاريخية ومؤلفها المؤرخ عبد السلام العمراني الجائي دون أن نشير إلى أن المؤلف قد أشار في خاتمتها الى تاريخ الفراغ من كتابتها مع إضافة عبارات أخرى قائلا في ذلك :

«... وكان الفراغ منه في تاسع شعبان الأبرك عام خمسة وثلثمائة وألف والحمد لله رب العالمين...» ثم زاد :

«ويتلوه إن شاء الله تعالى : «استرداد الخيرات وحضور المسرات بخلافة سيدنا ومولانا عبد العزيز بعد انتقال والده مولانا الحسن إلى روضات الجنات...!»

---

6 - قام الزميل البحاثة الأستاذ محمد المنوني بتقديم هذا التلخيص وبيان أهميته التاريخية. ونشره بمجلة «المناهل» العدد36. الرباط يوليوز1987 م.

وغني عن الإيضاح أن العبارات الاخيرة التي جاءت في كلام المؤلف... لم يكتبها مباشرة عقب العبارات الأولى. التي تتضمن الفراغ من التأليف سنة 1305 هـ/1888 م لان وفاة السلطان مولاي الحسن الأول انما كانت سنة 1311 هـ/1894 م فالمؤلف كتب ما كتب في العبارات الأخيرة... بعد ذلك التاريخ الذي أنهَى فيه تأليفه لكتابه: المفاخر العلية... بسنوات... ولا نستطيع أن نقول شيئا عما كان يريد أن يقوم به المؤلف من تأليف حول تاريخ دولة السلطان عبد العزيز... لأننا لا ندري هل ألفه فعلا...؟ أم إنما كان ذلك أمنية لم تتحقق...؟ حتى جاءه الاجل المحتوم.

وعرفت المطبعة الحجرية بفاس كتابين صغيرين لمؤلفنا هذا هما:

- بيان الغلط وطلب التوبة... رجب 1324 هـ
- روض المسك المتضوع الفائح... بدون تاريخ

فاس عبد القادر زمامة(*)

(*) أستاذ الأدب المغربي والأندلسي / كلية الآداب - فاس

رحلة ابن عثمان المكناسي إلى القدس الشريف ومناطق من فلسطين

محمد المنوني/ امحمد بن عبود

يهتم هذا التقديم بالتعريف بالسفير المغربي ابن عثمان، ورحلته: «احراز المعلى والرقيب...»، حيث يقتبس منها هذا النص الذي نقدمه في وصف القدس وفلسطين أيام السلطان سيدي محمد بن عبد الله في المغرب والسلطان عبد الحميد الأول في الدولة العثمانية.

إن الرحالة المنوه به ينحدر من أسرة - بمدينة مكناس - عريقة في العلم وخطة التوثيق منذ بدايات العصر السعدي، واسمه - كاملا - محمد بن عبد الوهاب ابن عثمان، وبمدينة مكناس كان مولده أواسط ق. 12 هـ/18 م. على وجه التقريب، وبنفس البلدة كانت دراسته للعلوم والآداب حتى برع في المادتين، وبرز في ميدان الكتابة والشعر.

فيصفه الأمير عبد السلام بن السلطان محمد الثالث بأنه كان فقيها أديبا حسن البديهة قوي العارضة، وله قصائد اعذب من الزلال، واقطع من السحر الحلال.[1]

ثم يصفه ابن زيدان «بالفقيه العلامة الأديب الأريب...» و«بالشاعر المفلق النقاد الكاتب البليغ...»[2] وهكذا نتبين أن المترجم كان على جانب مهم من الثقافة، وخصوصا في الناحية الأدبية، وذلك ما عرج به إلى بساط الأمير علي بن السلطان محمد، فانقطع إلى مجالسه الأدبية[3] ثم عينه السلطان محمد لقراءة الكتب بين يديه، ومن هذه المهمة رقاه إلى منصب كاتب فوزير[4]، على أن وظيفته البارزة - في البلاط العلوي - هي السفارة من السلطان المنوه به.

وكانت سفارته الأولى عام 1193هـ / 1779م، حيث بعثه مخدومه سفيرا إلى إسبانيا لدى الملك كارلوس الثالث، وفي هذه الوجهة ألف رحلته «الاكسير في فكاك الأسير»، وهي الوحيدة التي نشرت من رحلات المترجم الثلاث. بتحقيق الأستاذ محمد الفاسي، حيث جاءت في جزء من قطع متوسط يشتمل على 249 ص: نصا وفهارس عدا المقدمة، وصدرت عن المركز الجامعي للبحث العلمي سنة 1965.

---

1 - أنظر الأمير عبد السلام بن محمد الثالث، «اقتطاف الازهار من الحدائق...»، مخطوطة في الخزانة الحسنية رقم 106، ص. 365.

2 - عبد الرحمن بن زيدان، «اتحاف أعلام الناس»، ج. 4، الرباط، 1350هـ/1932، ص. 159.

3 - نفس المصدر.

4 - نفس المصدر.

ثم كانت السفارة الثانية عام 1781/1195، ذهب فيها إلى مالطة ونابلى، وعنها الف رحلته، «البدر السافر لهداية المسافر الى فكاك الأسارى من يد العدو الكافر»

لا تزال مخطوطة في نسختين من حجم صغير: احداهما في الخزانة العامة بالرباط: قسم حرف الحاء رقم 52-164 ص، والثانية بالخزانة الحسنية رقم 12523 تشتمل على 136 ورقة.

السفارة الثالثة رشح لها المترجم أواخر عام 1199 هـ/ وعنها ألف رحلته، «إحراز المعلى والرقيب...»، وهي التي نقتبس منها وصف القدس أيام السلطان.

وأخيرا: كانت وفاته بمراكش ـ أول عام 1214 هـ/1799 م.

وقبل التعريف بهذه الرحلة يكون من المناسب التمهيد بكلمة عن علاقات المغرب بتركيا خلال عصر الرحالة، نظرا لكون المنطقة التي وصفها كانت تشكل جزءا من الامبراطورية العثمانية كما أن فلسطين كانت تشكل ولاية عربية تابعة للدولة العثمانية.

يصعد تاريخ العلاقات بين المغرب والعثمانيين إلى أواخر العصر المريني[5]، حتى اذا جاءت دولة السلطان العلوي محمد بن عبد الله بلغت ـ اواخر ق 18/12 ـ عصرها الذهبي، وذلك ما

---

5 - فريد ولدي، «دائرة معارف القرن العشرين»، ج.2، القاهرة، 1911،ص. 567

يترجمه الزياني بهذه الفقرة: «وكان سيدي محمد بن عبد الله - رحمه الله - عالي الهمة، يحب الفخر ويركب سنامه، ويخاطب ملوك الترك مخاطبة الأكفاء، ويخاطبونه مخاطبة السادة، ويمدهم بالأموال والهدايا، حتى علا صيته عندهم، وحسبوه أكثر منهم مالا ورجالا».(6)

وضرب العاهل المغربي الرقم القياسي في موالاة العثمانيين، فدعا للسلطان عبد الحميد الأول، وهو يلقي - بنفسه - خطبة عيد الأضحى عام 1198.(7)

وفي إطار هذه العلاقات الأخوية أوفد السلطان العلوي إلى البلاط العثماني عدة سفارات تبتدئ من عام 1175 هـ/(8) 1764-1765م، فعام 1178 هـ (9)، فعام 1180 هـ(10)، ثم عام 1199 هـ(11). فعام 1200 هـ(12)،فعام 1201 هـ(13)،فعام 1203 هـ(14)، فضلا عن سفارات أخرى لم يحدد تاريخها.

---

6 - أبو القاسم الزياني، «كتاب البستان...». ج. 8، الدار البيضاء، 1956، ص. 68.

7 - الناصري، «الاستقصا...»، المصدر السابق، ص.53.

8 - عبد الرحمن بن زيدان، «اتحاف أعلام الناس»، ج.3، الرباط، 1349 هـ/1939 م.، ص. 298.

9 - نفس المصدر، ص. 98-99.

10 - نفس المصدر، ص. 300.

11 - نفس المصدر، 301-305.

12 - نفس المصدر، ص. 305.

13 - الامير عبد السلام بن محمد الثالث، «درة السلوك ...»، مخطوطة في الخزانة الحسنية رقم 237، ص. 299.

14 - نفس المصدر وابن زيدان، المصدر السابق، ص. 306-307.

وكانت سفارة عام 1199 هـ. هي التي ذهب فيها سفيرا إلى تركيا والحجاز محمد بن عبد الوهاب ابن عثمان، يرافقه ثلاثة: صهر السلطان، مولاي عبد الملك بن إدريس العلوي، والكاتب عمر لوز يرق، وشيخ الركب النبوي، الحاج عبد الكريم ابن يحيى، والى جانب السفارة لدى السلطان عبد الحميد الأول: كلف الرحالة بالتوجه ـ بعد ذلك ـ الى الحرمين الشريفين لتوزيع الهدايا الملكية على اصحابها.

وقد غادر مدينة الرباط ـ حيث كانت إقامة السلطان ـ يوم فاتح محرم 1200 هـ/1786 م ؛ ونظرا لعدم مساعدة البحر في هذا التاريخ، تأخر سفر الوفد من المغرب مدة طويلة، ثم كان وصولهم الى ميناء القسطنطينية يوم 4 شوال 1200 هـ/ 1786 م ؛ وفي 27 من الشهر ذاته كان ابن عثمان يؤدي السفارة الى السلطان عبد الحميد الأول.

ومكث بعد هذه المقابلة ـ بالعاصمة العثمانية ـ مدة طويلة في انتظار خروج الركب التركي الى الحج يوم 29 رجب 1201 هـ/1787 م، وبهذا فإن ابن عثمان أقام بالقسطنطينية من 4 شوال 1200 هـ. حتى يوم 29 رجب 1201 هـ، اي قرابة عشر شهور، وهي مدة كانت كافية ليستوعب السفير وصف عاصمة الاتراك : معماريا واجتماعيا واقتصاديا... وهو الوصف الذي نمهد له بهذا المدخل، حيث يوجد ضمن الرحلة التي دون بها ابن عثمان ارتساماته عن الجهات التي مر بها.

* * *

وكما أشير له سلفا. فإن الرحلة تحمل إسم «إحراز المعلى والرقيب في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل والتبرك بقبر الحبيب» لاتزال مخطوطة في نسختين

في الخزانة الحسنية بالرباط، الاولى تحمل رقم 5264، وتشتمل على 348 ص، مقياس 150/210 مم، مسطرة 17، مكتوبة بخط مغربي مجوهر دقيق مليح مُجدول ملون، وخال من تاريخ النسخ وإسم الناسخ.

والثانية تحمل - بنفس الخزانة رقم 12307، خطها شبيه بسابقتها، وتشتمل على 330 ص، مقياس 123/204، مسطرة17.

وهي مصدرة بثلاثة تقاريظ منظومة في بحر الكامل، ومكتوبة بخطوط أصحابها حسب الأسماء التالية :

1 - محمد العربي بن اسماعيل الناصري: بتاريخ جمادى الاولى عام 1210 هـ.

2 - موسى بن محمد المكي الناصري : دون تاريخ.

3 - شاعر لم يذكر إسمه ولا تاريخ نظمه.

ومن الجدير بالملاحظة أن النسختين معا مكتوبتان تحت إشراف المؤلف، وذلك ما يشير له وجود خط الرحالة بهما.

تشكل رواية ابن عثمان المكناسي للقدس الشريف جزء من رحلته إلى مكة والمدينة التي وضعها سنة 1199 هـ/1784-1785م، بعنوان «إحراز المعلة والرقيب...» (مخطوط الخزانة الحسنية بالرباط رقم 12307). وتعتبر هذه الرحلة من أطرف ما كتبه سفير السلطان سيدي محمد بن عبد الله وأكثرها أصالة وإبداعا بحيث تطرق فيها لعدد من المناطق الواقعة بين المغرب وشبه الجزيرة العربية بما فيها القسطنطينية والقدس

الشريف ومكة والمدينة ولم تتميز هذه الرحلة لاهميتها بصفتها تشكل وصفا دقيقا للمدن والقرى التي زارها فقط وانما برزت بالتنوع الذي يطبع روايته لهذه المدن وبالمناهج المختلفة التي اختارها عند تطرقه لها. فعلى سبيل المثال، تختلف رواية ابن عثمان للقسطنطينية اختلافا جذريا عن روايته للقدس الشريف بحيث يمكن اعتبار الرواية الاولى في الاساس عبارة عن وصف دقيق للحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بينما يطغى البعد الروحي على روايته للقدس الشريف.

ومن الجدير بالذكر أن وصف ابن عثمان للقدس يعكس البعد الروحي لهذه المدينة كما يعكس لنا ميول المؤلف الروحية وتقواه ومعرفته الواسعة بالعلوم الدينية[15]. ومن الطريف أن نشير إلى أن ابن عثمان قدم لنا رواية للقدس تختلف تماما عن روايته للقسطنطينية التي سبق لنا ان تعرضنا لها في بحث قمنا بإنجازه للمساهمة في أعمال المؤتمر السادس للمؤتمر الدولي للدراسات العثمانية المنعقد في جامعة كامبريدج

---

15 - راجع هذا الموضوع في مقالة «البعد الروحي في رواية ابن عثمان المكناسي للقدس الشريف»، للدكتور امحمد بن عبود الصادرة بالانجليزية ضمن أعمال ندوة المؤتمر العربي للدراسات العثمانية حول «الحياة الاجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني» :

M'hammad Benaboud, The Spiritual Dimension in Ibn Uthman Al-Maknasi's Account of Jerusalem, in Publications du Centre d'Etudes et de Recherches Ottomanes, Morisques; de Documentation et d'Information; Zaghouan; 1988; pp: 77-84.

البريطانية في يوليو 1984[16]. لقد اعجب ابن عثمان بالمدينتين اعجابا مطلقا الا أن أسباب اعجابه بهما كانت مختلفة تماما.

ويمكن تقسيم البعد الروحي في رواية ابن عثمان للقدس بدوره إلى «البعد الاسلامي» والى «البعد الخرافي». يظهر البعد الاسلامي في أشكاله المتعددة كما يتجلى ذلك في تعدد المصادر التي اعتمدها المؤلف وفي اختلاف الطرق التي استغلها في اطار روايته للقدس. وتتجلى هذه المصادر في القرآن والحديث والشعر الاسلامي ومصادر متنوعة لمؤلفين مشارقة ومغاربة وأندلسين. ويبرز البعد الاسلامي في رواية ابن عثمان للقدس على ثلاثة مستويات : 1) في المصطلحات التي استعملها المؤلف. 2) في الطريقة التي استغلها المؤلف من زياراته للاماكن المختلفة في القدس وفلسطين مثل المسجد الاقصى ليربطها بالقصص القرآنية وغيرها. 3) في تقديس المؤلف للاماكن الدينية في القدس وفلسطين.

16 - الاستاذ محمد المنوني ود. امحمد بن عبود، «رواية مغربية للقسطنطينية»، نشرت بالانجليزية ضمن أعمال مؤتمر اللجنة العالمية للدراسات العثمانية المنعقد بجامعة كامبريدج عن الولايات العربية في العهد العثماني:

Myhammad Menouni and M'hammad Benaboud, A Moroccan Account of Constantinople, in Actes du VIe Congrès du C.I.E.P.O. tenu à Cambridge sur "Les provinces arabes à l'époque ottomane" Zeghouan, 1987, pp. 39-76.

أما البعد الثاني فيضم المستوى الخرافي. اذ قدم لنا المؤلف عددا من القصص الخرافية قصد رفضها كما قدم لنا قصصا خرافية أخرى دون أن يشك في صحتها. وهكذا نقل لنا تقليدا شفويا في القصص التي كانت رائجة بين مجتمع القدس وفلسطين في أواخر القرن الثامن عشر، خصوصا المتعلقة منها بالاماكن المقدسة وعلى رأسها المسجد الاقصى. ومن هذه القصص مثلا، خرافة نزول الصخرة التي تحمل المسجد الاقصى من السماء أو خرافة عين في فلسطين ماؤها هو ماء بئر زمزم بمكة. ولقد ناقشنا هذا التقليد الشفوي لسكان القدس وفلسطين في القرن الثامن عشر بالتفصيل.

وفي الختام، نلاحظ مزج العناصر الروحية بالعناصرالتاريخية والدينية والخرافية في إطار رواية ابن عثمان للقدس ليخرج بسرد ملتحم يطبعه التنوع والالتحام ونشير أخيرا إلى المكانة البارزة التي احتلها المسجد الاقصى في هذه الرواية التي تشكل مصدرا تاريخيا هاما بالنسبة للمؤرخين المهتمين بالتاريخ العثماني والعربي بل وتاريخ المغرب العربي. كما تهم هذه الرواية جميع المسلمين والمسيحيين واليهود المهتمين بالبعد الروحي لمدينة القدس لان الأمر يتعلق برواية سلمية لمدينة كانت تعتبر مدينة سلام.

* * *

إن النص الذي سوف نقدمه للقارئ الكريم فيما بعد هو عبارة عن وصف للقدس وفلسطين، يطغى عليه البعد الواقعي أكثر من البعد الروحي رغم تواجد البعدين. ولقد اقتصرنا في تحقيقنا لهذا النص على كلام ابن عثمان المكناسي عن القدس وحذفنا عددا من الاقتباسات التي نقلها ابن عثمان عن غيره من المؤرخين السابقين في اطار حديثه عن القدس وفلسطين، اعتبارا بأن القصد هو إبراز ارتسامات الرحالة.

وفي الختام، نود أن ننبه القارىء الى بعض الملاحظات العامة التي تميز النص الذي سوف نقدمه بقدر ما تنطبق على الرحلة عامة. وان كانت مميزات هذا النص كثيرة فان المميزات الآتية تبرز بصفة خاصة :

1) يتميز وصف ابن عثمان للقدس وفلسطين بالبعد الذاتي نظرا لبروز شخصية ابن عثمان من خلال النص، ان الامر يتعلق بوصف مغربي للقدس وفلسطين فيمكننا من خلال تحليلنا له أن نكون صورة عن شخصية ابن عثمان وعن رصيده الثقافي والفكري وعن اهتماماته العلمية والروحية. ويكتسي هذا الوصف أهمية خاصة لكونه يقدم لنا وصفا خارجيا، فهو يصف لنا منطقة ، زارها لأول مرة فاهتم بأمور ربما لا تلفت أنظار الاهالي. الا أن أهمية النص تنبع أساسا من الدقة في الوصف والملاحظة.

2) يعد اعجاب ابن عثمان بكل ما شهده في القدس وفلسطين من العناصر البارزة في النص الذي نقدم للقارئ. ولقد برز هذا العنصر في وصفه للقسطنطينية اذ اذهلته العاصمة العثمانية بحجمها الكبير وبالنشاط التجاري والاقتصادي والثقافي الذي كانت تتميز به. الا أن ابن عثمان أعجب بالقدس وفلسطين لاسباب أخرى. لقد اهتم بالحياة الروحية في فلسطين بالدرجة الاولى، الا أنه أعجب بالمجتمع الفلسطيني اعجابا كبيرا عبر عنه بجميع جوارحه. ومع اعجابه هذا. لم يتردد ابن عثمان في انتقاد ماكان يستحق ذلك في رأيه، كانتقاده للاوضاع الاجتماعية في البوادي الفلسطينية التي كانت تتعرض للاستغلال الاقتصادي من طرف بعض الولاة العثمانيين ووكلائهم المسيحيين.

3) ومما برز في وصف ابن عثمان للقدس وفلسطين اندماجه في المجتمع الفلسطيني اندماجا عظيما. ويعود ذلك الى عدة عوامل منها معرفته للغة العربية وانتمائه الى الاسلام، اذ وجد نفسه في مجتمع عربي اسلامي لايختلف اختلافا جذريا عن مجتمعه المغربي. كما اندمج في المجتمع الفلسطيني بفضل ثقافته الاسلامية. ومن الملاحظ أنه لم يكتف بزيارة الأماكن المقدسة والاتصال بالنخبة المثقفة، بل اتصل بالعامة في المدن والبوادي واطلع على أحوالها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية اطلاعا دقيقا وترك لنا صورة حية للاوساط الشعبية الفلسطينية بتقاليدها العريقة ومعتقاداتها الدينية والاسطورية، علاوة على أوضاعها الاجتماعية.

4) تنبثق أهمية هذا النص لكونه يعد وثيقة تاريخية لدراسة فلسطين خلال القرن الثامن عشر بقدر ما يكتسي أهمية نظرا لكون المؤلف كان سفيرا للسلطان سيدي محمد بن عبدالله الذي يقدم لنا صورة حية للعلاقات التي كانت تربط المغرب بالدولة العثمانية وبأقاليمها العربية.

وفي الختام، ان هذا النص من النوع الذي يمكن قراءته على عدة مستويات، فلنتركه في أيدي القارئ الكريم.

فكان مبيتنا بقرية يقال لها البيرة على عشر ساعات ومن الغد سافرنا منها فوصلنا القدس الشريف على ساعتين ونصف وقبل وصولنا بنحو ساعة قابلنا النبي شمويل بن يعقوب عن يمين المار إلى القدس على ربوة عليه بناء فقرأنا الفاتحة عند مواجهته ودعونا الله هنالك وهذه البلاد كثيرة الحجارة كما تقدم وللقدس السور الحصين مبني بالحجارة في غاية الكمال والاتقان والابواب الحصينة الغلق فعدد أبوابه ستة الاول ومنه دخلنا باب العمود والثاني باب الزاهرة والثالث باب الاسبط والرابع باب المغاربة والخامس باب النبي داوود والسادس باب الخليل فدخلنا إليه ونزلنا ببيت يقال إنه بيت الشيخ أبي مدين دفين تلمسان وعليه وكيل وله أوقاف فكان أول ميداننا ما بدأنا به وتوضأنا وتوجهنا الى المسجد الاقصا به فدخلنا أولا إلى قبة الصخرة وقد صعدنا الى المكان الذي فيه الصخرة بمدارج نحو العشرين وهو بلاط واسع جدا في وسط مسور المسجد وفي وسط هذا البلاط قبة الصخرة المباركة وهي مثمنة الدائرة لها أربعة أبواب عظام مجلدين بالصفر وفي داخل هذه القبة قبة أخرى مرفوعة على أعمدة الرخام دائرة بالصخرة وبين الاعمدة شبابيك من الصفر في علو نحو قامتين لها أربعة أبواب من نفس الشبابيك فدخلنا من الشباك المذكور فألفينا الصخرة محيطا بها بشباك من خشب علوه اقل من القامة فاشرفنا منه على الصخرة ولمسناها على سبيل التبرك من طيقان بالشباك المذكور.

ووضعت أصابع يدي في أثر أصابع الملك حيث أقام الصخرة لما مالت بالنبي عليه الصلاة والسلام ليلة الاسراء كما ياتي

بيانه فعدد أعمدة القبة كلها أربعون عمودا من الرخام الفائق منها أربعة عشر عمودا هي الدائرة بالصخرة المرفوع عليها قبتها ومنها ستة عشر عمودا مرفوع عليها المسقف المحيط بقبة الصخرة وهو مسطح وجميع حيطان هذه القبة من داخل وخارج مكسو بالرخام المصقول الذي كأنه مرءات وما رأيت في بلاد الاسلام اكثر تأنقا من صنعة هذه القبة وفيها محراب يصلى فيه مع إمام الحنفية الخمس ومن داخل القبة الاولى انحدرنا الى سفلي الصخرة باربع عشرة درجة فصارت الصخرة فوقنا وقد احاط بجوانبها بناء متصل بها وتحتها عمود من رخام قائم تحتها متصل بها كأنه مقيم لها وعند المدارج أيضا عمود طرفه في بعض المدارج وطرفه الاخر متصل بها قرب لسانها وهذا المكان الذي تحت الصخرة كثير الانس يجد الانسان فيه نشاطا وخفة وانشراحا لعبادة الله تعالى فصلينا في محراب سيدنا سليمان عليه السلام وهو عن يسار الخارج منها وهو من الرخام وصلينا أيضا ركعتين في محراب سيدنا داوود عليه السلام وهو عن يمين الخارج وقرأنا تحت الصخرة ما تيسر من القرآن ودعونا الله هنالك بما نرجو من الله قبوله ثم صعدنا مع المدارج التي انحدرنا منها فأرونا طرفا من الصخرة ممتدا شيئا ما يقولون انه لسان الصخرة ولا أصل له وانما ذلك من موضوعات المزورين ومكتوب في دائرة قبة الصخرة من خارج صورة الاسرا وبدائرة السطح المحيط بها صورة ياسين الى ياكلون وعبارة بعض المؤرخين. واما السخصرة فهي في وسط المسجد على صحن كبير مرتفع على أرض مسجد الاقصا الشريف وارتفاع القبة التي على الصحن احدى وخمسون ذراعا بذراع العمل وهو مقدار ذراع وربع بذراع الانسان وهذا الارتفاع من فوق الصحن وأما علو الصحن عن أرض المسجد ثمانية وخمسون ذراعا واما جامع المسجد الاقصا الذي يصلي فيه إمام الشافعية وهو مسقف

من الاقصا وصار اليوم اسم الاقصا علما عليه بالغلبة فعرضه من المحراب الى الباب الكبير مائتان وخمسون قدما وطوله خمسة وخمسون وأربعمائة قدم هذا مما يلي صدر المسجد في بلاط المحراب وما يليه وفيما دون ذلك أقل ومحرابه في غاية الحسن وهو الذي يقال ان المهدي يصلي فيه وينزل عيسى عليه السلام فيجده قايما يصلي بالناس فيقتدي به وهو مكسو بالالواح من الرخام عرض الواحدة أقل من شبر وعددها سبعة عشر لوحا ثمانية بيض واربعة حمر وثلاثة الى السواد أميل واثنان الى الخضرة أميل وفيه أمر يحكيه أهل الحرم فان قصد فحسن وان كان اتفاقيا فغريب يقولون أما الثمانية الالواح البيض اشارة الى ثمان ركعات صلاة الظهر والعصر والاربعة الحمر اشارة الى صلاة العشاء بعد حمرة الشفق والثلاثة التي تميل الى السواد اشارة الى صلاة المغرب اذا اقبل الليل والاثنان الخضروان اشارة الى صلاة الصبح وقد صلينا في هذا المحراب على سبيل التبرك وامام المحراب قبة عظيمة مزينة بالفصوص الملونة كاملة الزينة مكتوب في دائرتها باسم الله الرحمن الرحيم جددت هذه القبة المباركة في ايام مولانا السلطان الملك الناصر العالم العادل المجاهد المرابط المتاغر المؤيد المنصور قاهر الخوارج المتمردين محيي العدل في العالمين سلطان الاسلام محمد بن السلطان الشهيد الملك المنصور قلاون الصالح تغمضه الله برحمته في شهور سنة ثمان وعشرين وسبعمائة ومكتوب فوق المحراب باسم الله الرحمن الرحيم أمر بتجديد هذا المحراب المقدس وعمارة مسجد الاقصا الذي هو على التقوى مؤسس عبد الله يوسف بن أيوب ابو المظفر الملك الناصر صلاح الدنيا والدين عندما فتحه الله تعالى على يديه في شهور سنة ثلاثين وثمانين وخمسماية وبه منبر من العود المنتخب في غاية ما يكون من الصنائع الفايقة والنقوش الرائقة صنعه نورالدين

الشهيد صاحب دمشق متقدم الذكر وله أي للاقصا المثقف من الابواب أحد عشر بابا سبعة في صف واحد في مقابلة الصخرة أوسطها هو الباب الكبير المقابل للمحراب وأمام هذه الابواب بلاط مثقف وأربعة أبواب في جانبه وفي الجهة الغربية من الصحن عدة مدارس وبقربها متصلا بها مسجد وهو بلاط واحد كبير طويل جدا يقال له البقعة البيضاء وبه يصلي إمام المالكية قرب مربط البراق ويقولون إن النبي صلى الله عليه وسلم صلى به وبقربه زاوية لسيدي عبد القادر الجيلالي وبها حجرة شيخنا أبي السعود نفعنا الله ببركاته وهو القائم عليها وطول جميع مصور مسجد الاقصا بين المسقف والسخرة وغير ذلك سبعمائة وخمسة وثمانون ذراعا من باب الاسباط الى محراب داوود وسوق المعرفة المذكور ومنار مسقف بين محراب داوود والمحل الذي فيه محراب مريم ومهد عيسى عليهم السلام ولم اقف على معنى هذا الاسم والمزورون يقولون ان أرواح الصالحين تتعارف هنالك ولا يعتمد عليهم في شئ من ذلك لأن عرضهم معلوم وعرضه أربع مائة وله أحد عشر بابا فأولها بابان منحدران في السور الشرقي الذي يرى بعض المفسرين ان الله تعالى قال فيه فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله عذاب فان الوادي الذي وراءه يقال له واد جهنم ومتصلا به مقبرة اليهود وهذان بابان من داخل الحائط مما يلي المسجد أحدهما يسمى باب الرحمة والاخر باب التوبة ويحكى انه كان في بني إسرائيل اذا اذنب أحدهم ذنبا يصبح مكتوبا على باب داره فيفر الى هذا المكان فيتوب ويخرج من باب التوبة ويدخل من باب الرحمة فإن تاب الله عليه تمحى الكتابة والا يبقى هناك ولا يستطيع احد ان يكلمه ولو كان ادنى الناس اليه والذي ذكر الحنبلي صاحب تاريخ الانس الجليل في القدس والخليل ان المكان الذي كانت تقصده بني إسرائيل عند

جنوبها هو محراب داوود والثالث باب الاسباط نسبة لاسباط بني إسرائيل وهم يوسف وروبيل وشمعون ويهودا وهو قريب من باب الرحمة والتوبة والرابع باب حطة في جهة الشمال وهو الذي امر الله تعالى بني إسرائيل ان يدخلوا منه سجادا ويقولوا حطة فبدلوا وخالفوا ما أمروا به لعنهم الله والخامس باب شرف الانبياء في جهة الشمال ايضا ويرون انه الذي دخل منه عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند يوم الفتح والسادس باب الغوانمة والسابع باب الناظر وقد جددت عمارته في زمن الملك المعظم عيسى من بني أيوب في حدود الستماية ويعرف قديما بباب ميكايل والثامن باب الحديد والتاسع باب القطانين ومنه يخرج الى سوق القطانين والعاشر والحادي عشر باب السلسلة وباب السكينة وهما متحدان وباب المغاربة سمي بذلك لمجاورته لباب جامع المغاربة الذي يقام فيه الصلاة أولا ولانه ينتهي الى حارة المغاربة وهذا الباب في آخر الجهة الغربية من المسجد مما يلي القبلة ويسمى باب النبي صلى الله عليه وسلم وزرنا ايضا في هذا الحرم الموضع الذي فيه محراب سيدتنا مريم وفيه أيضا مهد عيسى عليه السلام وقد انحضرنا اليه بمدارج وقعدت في المهد تبركا بصاحبه واشرفنا من هذا المكان على الفضاء المحمول عليه المسجد الاقصى كله. فهو محمول على أعمدة من الحجارة العظيمة من بناء الجن على عهد نبي الله سليمان عليه السلام فذكر لي بعض المزورين من أهل الحرام أن عدد الاعمدة التي تحت الأرض المحمول عليها المسجد الأقصى ثلاثة آلاف قائمة والعهدة عليه وكلها تحت الارض وقد رأينا بعضها من طاق من محل مهد عيسى عليه السلام فهي في غاية الضخامة العمود فيه ثلاث قطع من الحجارة العظيمة وزرنا أيضا بهذا الحرم تربة سليمان عليه السلام وهو موضع كرسه وقيل الصحيح أنه مدفون مع والده في الجسمانية موضع خارج

سور المسجد من جهة الشرق وجزم بعض العلماء بان سيدنا داوود مدفون بصهيون موضع خارج سور المدينة من جهة القبلة وهو الان مقامه مشهور في غاية الجلالة يزوره الخاص والعام لاغتنام المدد والجمال وقيل غير ذلك والله أعلم. وزرنا المكان الذي كان يحكم فيه نبي الله داوود عليه السلام وهو امام قبة الصخرة تحت قبة السلسلة مكتوب فوق محراب هذه القبة ياداوود إنا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق الاية وذلك أن هذه السلسلة أدليت من السماء في أيام داوود عليه السلام عند الصخرة التي في وسط بيت المقدس فكان الناس يتحاكمون عندها فمن مد يده اليها وهو صادق نالها ومن كان كانبا لم ينلها إلى أن ظهرت فيهم الخديعة وذلك ان رجلا اودع رجلا جوهرة فخبأها في عكازه وطلبها المودع فجحد فتحاكما فقال المدعي إن كنت صادقا فلتدن مني السلسلة فمسها ودفع إليه المدعى عليه العكازة وقال اللهم ان كنت تعلم أني رددت له الجوهرة فلتدن مني السلسلة فمسها فقال الناس قد سوت السلسلة بين الظالم والمظلوم فارتفعت بشؤم الخديعة وأوحى الى داوود ان يحكم بين الناس بالبينة واليمين وبقي ذلك الى الان. وزرنا ايضا تربة نبي الله داوود عليه السلام وهو خارج سور البلد وقرانا في ضريحه سورة ودعونا الله هناك وتبركنا بزيارة البوراق وصلينا هناك ركعتين ورأينا الحلقة التي ربط فيها البراق ولكن الحلقة بدلت بغيرها وجعلت هذه تذكرة ثم توجهنا لزيارة طور سينا ومن اشتمل عليه من أهل الثناء والسنة فخرجنا من باب الاسباط أحد أبواب القدس فزرنا أولا قبر الصحابي الجليل عبادة بن الصامت وهو عن يسار الخارج من باب الاسباط ملاصقا بالسور وبعده بشئ ما الصحابي الشهير شداد بن أوس قربة السور المذكور في مقبرة هنالك ثم انصدرنا الى زيارة سيدتنا مريم ابنة عمران فوقفنا عند

ضريحها وقرأنا معا الفاتحة ودعونا الله هنالك ومفتاح قبتها بيد النصارى ولا حول ولا قوة إلا بالله جبر الله حالة هذه الدولة فقد افسدهم الطمع وأمامها تربة الامام الحنبلي صاحب تاريخ الإنس الجليل في القدس والخليل ثم صعدنا الى الطور فزرنا قبر الشيخ محمد الغنيمي من ذرية سيدنا عبد السلام بن مشيش نفعنا الله تعالى ببركاته وحداء ضريحه مسجد وزاوية يقال لها الا سعدية سميت باسم بانيها اسعد أفندي كان شيخ الاسلام ثم دخلنا الى الموضع الذي رفع منه عيسى عليه السلام فصلينا فيه ركعتين وأرونا حجرا فيه أثر قدمه فتبركنا به ودعونا الله هنالك وقد كان ايضا بأيدي النصارى فاستنقده الله منهم على يد هذا الرجل الصالح الشيخ محمد العلمي بواسطة شيخ الاسلام المذكور ثم توجهنا الى زيارة تربة نبي الله عزير فدخلنا مقامه المبارك ودعونا الله هنالك ومن جبل الطور يظهر بيت المقدس في غاية البهاء والابتهاج وحسن المنظر وكذا من جهة القبلة وأما من جهة الغرب والشمال فلا يرى منه من بعيد إلا القليل لموارات الجبال له فان بيت المقدس والخليل في جبال كثيرة الاوعار والاحجار والسير فيها متعب والمسافة فيها بعيدة فإن الجبال المحيطة بالبلدتين مسافتها تقريبا ثلاثة أيام طولا ومثلها عرضا بسير الاثقال ولكن اذا من الله علي قاصدا الزيارة بالوصول الى المسجد الشريف الاقصى والى المقام الشريف الخليلي يحصل له من الانس والبهجة ما لايكاد يوصف ويسلو عما حصل له من المشقة والنصب وقد انشد الحافض بن حجر عند قدومه لزيارة بيت المقدس في معنى ذلك :

الى البيت المقدس جئت ارجو ... جنان الخلد نزلا من كريم
قطعنا في مسافته عقابا ... وما بعد العقاب سوى النعيم

ثم انحـذرنا من وراء الطور فـدرنا الى صـوب كـلام الله ونبيـه مـوسى بن عـمران عليـه السلام وهو بـعيـد من هـذا المكان قيل بنحو أربع ساعات فحدثت نفسي بالوصول اليه فأخبرني اهل البلد ان الطريق مخوفة فرددنا الوجهة الى صوبه ودعونا الله هنالك ثم تبركنا بزيارة بيـر نبي الله ايوب عليـه السـلام. الذي يروى انه المراد بقوله تعالى اركد برجلك هذا مغتسل بارد وشراب وقد أخبرني بعض الأفاضل من علماء القدس وقد توجه معنا لهذه الزيارة وهو الذي كان يدلنا على هذه الاماكن أن هذا البيـر في فصل الشتاء والامطار يفيض ويفور بماء كثيـر مثل النهر وقد رأينا مجراه يابسا وهو محفوربجري الماء وأشرفنا على البيْر فإذا فيه ماء كثير لكنه بعيد فقد رميت فيه بحجر فما وصل الماء الا بعد حين ثم مررنا بعين يقال لها سلوان أخبرنا أهل البلد انها تجري حينا وتحبس وهي خارجة من أصل جبل لا يدر لها أصل ومن الغريب انها لا تجري غالبا الا عند اوقات الصلاة وتحبس فيما عدا ذلك ونحن لما وصلنا اليها وجدنا ماءها منحبسا عند وصولنا اليها خرج ماؤها وجرى على وجه الارض في مصاريفه فشربنا منه وهو أشبه شئ بماء زمزم وهذا عند أهل البلد معروف وقد اخبرونا به قبل رؤيتنا له فلما شربناه وجدناه كما قيل ويروى عن كافة أهل البلد ان رجلا هنديا شرب من ماء زمزم فسقط له قدح في البئر فغاب حقبة من الدهر وأتى الى القدس فاستسقى ماء من بعض الضيع وقوة الماء في قدح فامعن النظر في القدح فإذا هو قدحه الذي سقط منه في بير زمزم فقال صاحبه من أين لك هذا القدح فقال له اشرب وما عليك فيه فقال هذا القدح لي وقد سقط مني في بير زمزم وها هو مجلد فانزعوا عنه الجلد فإن وجدتم تحته كذا دنانير فهو لي وإلا فلا فقال ان كان كما يقول فقد رمت به عين سلوان فاخبرهم الخبر فامسكوا القدح وعلقوه في مسجد الاقصا وقد

رأيته ولا غرابة في هذا فقد ورد ان مياه الدنيا كلها تخرج من تحت صخرة بيت القدس. وزرنا ايضا القبة التي عرج منها الرسول صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء وهي في شمال قبة الصخرة قريبة منها وصلينا هناك ركعتين ودعونا الله بما يرجي قبوله وتبركنا أيضا بالدخول الى المسجد الاقصا القديم الذي من فوقه المسجد الذي يسمى اليوم بالاقصا فانحذرنا اليه بمدراج وهو الذي فيه محربان محراب الى صوبه الصخرة القبلة الاولى ومحراب الى جهة الكعبة المشرفة وبناؤه قديم من بناء سليمان عليه السلام بالحجارة الهائلة فقد كلت حجرا من أحجار جدرانه فوجدت فيه تسعة عشر شبرا في طوله وعرضه نحو خمسة أشبار ورأيت فيه أعظم من ذلك جدارا في طرفه أسطوانة من ثلاثة أحجار فقط محوتا منها شكل الاسطوانة مدورة من نفس الحجر الذي هو الجدار وباقيها مستطيل وتبركنا بزيارة خلوة ابي مدين الغوث دفين تلمسان وهو في حارة المغاربة ثم سرنا من القدس الى بلدة حبرون وتسمى اليوم بالخليل فكان خروجنا من القدس من باب يقال له باب الخليل ومررنا في طريق على قبر راحيل أم يوسف عليه السلام عن يمين الطريق عليها قبة بينها وبين القدس نحو ساعة ثم على قرية بيت لحم وفيها المكان الذي ازداد فيه نبي الله وكلمته عيسى بن مريم عليه السلام وقد بقيت عن يسارنا واكثرها نصارى والبقعة المباركة في أيديهم فزرنا المكان عند مواجهته وقرأنا الفاتحة ودعونا الله هنالك ثم تمادينا على المسير فواجهنا تربة نبي الله يونس بني متى صاحب الحوت بقي عن يسار الطريق على ظهر جبل فدعونا الله تعالى عند مواجهته فوصلنا الى الخليل على ست ساعات بالسير الحثيث وهو في قبلة القدس وهو أشبه شيء بمكة عند أول النظر مؤسس بين جبال فنزلنا على شيخ البلد وتوضأنا وسرنا المقصد الاعظم

والملاذ الافخم أبي الانبياء سيدنا ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام فدخلنا الى المسجد وملنا ذات اليمين الى قبته وتبركنا بالمقام عند ضريحه وقرأنا عليه صورة إبراهيم ودعونا الله هنالك ...

وفي مقابلته ضريح أم الانبياء سارة زوجته وهما عند باب المسجد ضريح سيدنا ابراهيم عن يمين الداخل وزوجته امامه وفي داخل المسجد قريب من المحراب عن اليمين ضريح نبي الله إسحاق فتبركنا به ودعونا الله تعالي عند مقامه وفي مقابلته على اليسار ضريح زوجته ريقة ثم خرجنا من مصقف المسجد الى ضريح نبي الله يعقوب بن إسحاق فزرناه وتبركنا به ودعونا الله في مقامه ثم عجنا الى تربة نبي الله يوسف الصديق عليه السلام فزرناه وتبركنا بمشاهدته ودعونا الله هنالك صلاوات الله وسلامه عليهم أجمعين الله ما صلى على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما صليت على سيدنا ابراهيم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد وهذا المسجد ليس بالكبير فمساحته مقدار ما كتب في دائرة جداره ففي دائرة المحراب أن ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا ولم يكن من المشركين الى آخر السورة ومن اول سورة ياسين ومنها ياكلون (بخط غليظ) وفي داخل المسجد في أرضه طاق مثل البير يقرب مقام سيدنا ابراهيم تسرج فيه مصابح ليلا ونهارا وتدلى فيه قيل ان الانبياء المذكورين عليهم السلام مدفونون هنالك في مغارة تحت ارض المسجد وفي المسجد المذكور شبابيك على شكل القبور مغطاة بستور ديباج مثل ما يفعل عندنا بقبور الاولياء جعلت في مقابلة قبور الانبياء الا قبر يوسف فانه في آخر المسجد عند انتهاء الصحن

في الناحية الغربية وكدا نبي الله يعقوب خارج عن مثقف المسجد والمسجد فوق ذلك ويروى ان نبي الله ادام عليه السلام مدفون هنالك وقال الشيخ البركة ابو عبد الله سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي نفع الله به في شرحه الحصن الحصن عند قوله ولم يعرف قبر نبي بعينه الا قبر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقط وقبر ابراهيم عليه الصلاة والسلام داخل السور من غير تعيين ما نصه وفي مناسك الشيخ خليل ما تقوله العامة من انه صلى الله عليه وسلم قال من زارني وزار ابي ابراهيم في عام واحد ضمنت له على الله الجنة فليس بصحيح ولكنه من افعال الخير وكذا قول العامة اقدس حجة وهو عندهم من تمام الحجج وهو باطل لكن يستحب زيارة المسجد الاقصى وزيارة الخليل وذلك كله حسن قال أهل العلم وليس موضع قبر مقطوع به بعد موضع قبر النبي صلى الله عليه وسلم الا موضع الخليل. انتهى

... ثم رجعنا الى محل نزلنا عند شيخ البلد فأكرم مثوانا وأحسن نزلنا وقدم مفتي البلد للسلام علينا وبقي معنا نتحدث طرفا من الليل ولما قرب طلوع الفجر بساعتين فتحوا لنا الباب وخرجنا من حبرون بلدة سيدنا ابراهيم الخليل لانه تعلق لنا غرض في صلاة الجمعة في مسجد الاقصا وقد كانت الليلة ليلة الجمعة وخشينا أن تفوتنا إذا بقينا الى الصباح فسرنا بقية الليل وصلينا الفجر والصبح عندما طلع الفجر وتمادينا على المسير فوصلنا الى القدس قبل الزوال بساعتين فاسترحنا وتوضأنا وتوجهنا الى المسجد الاقصا فصلينا الجمعة ولله الحمد...

ولهذه الدولة العثمانية بهذا الحرم الشريف بل وكذا حرم مكة والمدينة اعتناء عظيم واثر جسيم فمهما سقط شئ منه الا أعادوه وما تلاشى جددوه صانهم الله تعالى وابقاهم واسماهم في معارج المآثر الحميدة وأرقاهم ولهم هنالك زيادة على إصلاح ما في الحرم من بناء الصدقة الجارية على من في القدس من الاباء والابناء وعــــينوا هنالك زاوية تظل على طول الاناء أعشارها تفور وآنيتها بالطعام على الفقراء تدور في العشي والبكور ومن انحاز له من هذه الصدقة حظ أو نصيب صار ملكا له يورث عنه بالفرض والتعصيب فإن اراد بيعه في حياته فهو كبعض شياته وهذه الحسنة جارية قد مضت عليها من الزمان أحقاب يتبع أثرها منهم صالح الاعقاب وكل من اتى من ملوكهم عن هذا المنهج لا يحيد ولا ينقص بل يزيد أدام الله تعالى ايامهم ونصر جيوشهم وأعلامهم.

...وممن اجتمعت معهم في القدس الشريف الشيخ البركة القدوة العارف بالله تعالى استاذنا وشيخنا أبو السعود محمد الماذون بالخلوة القادرية والخلوتية وقد أخذت عنه وصافحني بمصافحة شيخه في الطريقة السيد مصطفى بن كمال الدين الصديقي الدمشقي البكري الخلوة قطب عصره وأخذ أيضا عن السيد عبد القادر القادري شيخ السجادة القادرية ببغداد...

... وممن اجتمعت به في القدس الشريف السيد الفاضل الأديب الشيخ مصطفى بن الشيخ أبي السعود المترجم له فمما أسندني لنفسه...

... ولأهل بيت المقدس بشاشة وطلاقة وأخلاق حسنة وميل إلى موانسة الغريب ومسامرته والمحادثة معه ولا سيما ان كان

من هذا الجنس العملي فلم اعتناء به كثير حياهم الله وبياهم وأدام سقياهم ورياهم وإلى مكارم الاخلاق يسرهم وهيأهم وكان مقامنا به يومين ثم سافرنا منه ورجعنا على طريقنا فبتنا أول يوم بقرية سنجيل فاكرمنا أهلها إلا أنهم كثير التشكي من الوزراء والولاة الذين يلون أمرهم من قبل الدولة العثمانية صانها الله\فإنهم أكلوا اللحم وامتشوا العظم واستفنوا المخ ولا حول ولا قوة الا بالله وهذه سيرتهم في جميع الإياله فكل من مررنا به يتشكى من جورهم حتى أن بعضهم سألني عما يلزم الناس في أرض المغرب فقلت له الزكاة والأعشار فقالوا وكيف الاعشار فقلت لهم ياخذ رب الزرع تسعة أعشار والمُزَكّي العشر فقال ياليتنا لو تركوا لنا العشر واخذو تسعة عشر واقبح من ذلك أن الوزراء يولون النصارى خدامهم على القرى فتجد النصراني يستلزم للوزير خرج القرية ويتولى قبض ذلك من المسلمين في مهانة والامر لله ومن هذه القرية بتنا بقلعة سنور فاكرمنا أهلها ومنها الى قرية عكة بتنا بظاهرها ومن الغد دخلناها بكرة فاقمنا بعكة الى سابع وعشرين من ربيع الثاني أصلحنا في هذه المدة شؤوننا وأخذنا الاهبة للسفر وأكرمنا وزير هذا البلد جزاه الله خيرا وركبنا البحر وكان فصل الشتاء معتمدين على الله تعالى فسافرنا...

الرباط محمد المنوني(*) / امحمد بن عبود(*)

(*) أستاذ جامعي باحث/(*) أستاذ التاريخ الأندلسي، كلية الآداب/تطوان

رواية الحرف والعدد العربيين

أحمد العلوي

الدليل الشكلي :

هذه الكلمة ليست إلا ملاحظات أولى دليلها عيني، غير تاريخي، لقد تقدمت دراسات هذا ليس مكان عرضها عن الاصل الأول للأعداد المدعوة في اللسان الأروبي بالأعداد العربية وقدمت براهين كثيرة على أصلها العربي ولولا النزعة الاستبغائية (= المازوخية) التي اصابت العرب، في هذا الزمن لما ارتفعت أصوات تنحنح بنسبتها إلى غير العرب.

هنا نريد أن نقارن بين أشكال الحروف العربية وأشكال الارقام العربية وسنفعل شيئا شبيها بما فعلناه في دراستنا للنقوش العربية العتيقّة ونشرناه في «مجلة الدراسات الادبية واللسانية» الفاسية ثم في كتابنا «الطبيعة والتمثال» المنشور. سنحقق المقارنة حرفا حرفا أو حرفا بعدد وسيكون الاعتقاد الذي نجربه أو نمحصه هو أن الاعداد ليست إلا تحريفات للحروف أو أن هذه ليست إلا تحريفات لتلك من الناحية الشكلية الهندسية ويتصل بهذا ان يظن ان مخترع الحروف ومخترع الأرقام شخص واحد أشاع ذلك كله.

ما قصة هذا الاعتقاد ؟ لننظر إلى رقم (7) ولنلاحظ أن علاقته بحرف (و) ثابتة فليس العدد إلا كتابة نمطية لحرف الواو يشبه ما نعرف من أنماط للكتابة الواحدة كاللاتينية والعبرية.

ليس الرقم (7) الا كتابة تربيعية للكتابة التدويرية البينة في حرف الواو العربي، لنترك هذا إلى رقم (2) فنلاحظ أنه ليس إلا مقلوب الحاء أو الجيم أو الخاء (ح) وكأن مخترع الخط شاء أن يخترع شكل الاعداد - أو العكس - فاشتق هذا من ذاك، لنترك هذا مرة اخرى إلى رقم (4) إنه لا يبدو عليه اي علاقة بشكل من أشكال الخط العربي، لكن يبدو ولثاني وهلة انه ليس إلا كتابة واقفه تربيعية للعين، لحرف العين (ع). حرف العين يقعد هناك على ظهره فجعله مخترع العدد واقفا على رجل واحدة. ويتأكد هذا بالنظر إلى رقم (5) الذي يمكن ان يشبه حرف الكاف في كتابة تربيعية او ان يشبه حرف الياء المعرقة في آخر الكلام (ي) وفي الحالتين يكون مخترع الحروف وقد اشتق الرقم كما في الحالات الاخرى بتقوية الطابع التربيعي للصورة الرقمية وبتحويل قامتها من القعود إلى القيام كما في حال رقم (4) أو بالتربيع المعزز كما في الرقم (7) أو بالتنكيس كما في الرقم (2) أو بالإقامة كما سيرد علينا في الوقم (6) أما في الرقم (5) فقد اشتقه بتحويل الشكل من القعود إلى القيام كحاله في رقم (4) واما رقم (6) فبينة علاقته بشكل حرف القاف أو الفاء وعمل به ما عمل مع الأربعة والخمسة وهو التحويل من القعود إلى القيام ويشبه حرف الثلاثة (3) فقرابته بالسين أو الشين وشكلهما واضحة وعمل به ما عمل مع الأربعة والخمسة من إقامة بعد قعود ولم يبق لنا الآن من الاعداد إلا رقم (9) وهو قريب من شكل الميم (م) ورقم (1) وهو قريب من حرف (ا) الالف . وهذان الرقمان لم يستدعيا كتابة هذه الكلمة فرقم الواحد والثلاثة والتسعة معلومة علاقتها بالحروف العربية

ولكنها كانت لا تكفي لاثبات الدليل مادامت معها أرقام لا تضبط علاقتها الاشتقاقية بالحروف العربية وإنما خفيت تلك العلاقة لما سبق أن بيناه من تقعيد وإقامة وتنكيس وتربيع وإني أرى أن أجمل شئ هو ما عمله المخترع حين قلب حرف الحاء (أو الجيم والخاء) المعروف ورمز به إلى رقم اثنين.

وبقي رقم آخر هو الصفر(0) واذا كانت الارقام الاخرى حروفا عربية فعدت أو أقيمت أو نكست أو ربعت فإن رقم الصفر هو السكون متروكا على حاله، وبهذا يكون كل كاتب بالارقام كاتبا بالحروف العربية وإن كنت أخاف من أنى من نشر هذه الكلمة فهو أن يهب فدم أو أفدام فيحارب الارقام العربية المشتقة من الحروف العربية كما بينا، فيحارب تلك الحروف العالمية الآن وان يفعل ذلك باسم حجة بائخة كالتي يشقشقون بها عند حديثهم عن العربية ولن يفعل ذلك إلا إن ضم إلى عداوته للعربيه عداوة جديدة لهذه الارقام التي تضحك عليه بعروبتها واما الارقام المدعوة بالهندية فلها حديث آخر، لكن نسينا رقما في غمرة ما نكرناه وهو رقم (8) ولو لم نذكره هنا لقيل ظلما بسقوط الدليل وماهو بساقط، إن رقم الثمانية ليس إلا كتابة تدويرية لحرف «لام الف» اي «لا» وهو معدود عند أهل الحروف في الحروف المفردة لا المركبة وكذلك كانوا يعلمونه في المدارس الابتدائية في الخمسينيات وربما كان لذلك علاقة بما نثبته هنا من حروفية الارقام الحسابية. وغاية الامر في هذا أن مرتب الارقام اصطفي من الحروف العربية عشرة حروف دور بعضها وربع ونكس وقعد وأقام البعض الآخر ولكنه لم يستر العلاقات الشبهية أبدا بين الاصل المأخوذ عنه وهو الحروف والفرع المأخوذ وهو الأرقام العشرة وإن كان من شيء يرجى الآن فهو أن يتابع ما فعله الأول فتؤخذ الرموز الرياضية من بقية الحروف العربيه التي تركها الاول.

وأحب ان لا تنتهي هذه الكلمة دون ذكر دليل من ثوب آخر وهو دليل القراءة : من المعلوم أن الحروف العربية والكتابة المؤلفة منها تقرأ من اليمين إلى اليسار ومن المعلوم أن الترقيم كتابة فإن كان أصل الاعداد الحسابيه هو الحروف العربية وكان مخترعهما واحدا فمن الواجب ان تكون الكتابة الرقمية مشابهة في الاتجاه القرائي للكتابة الحروفية. ذلك واجب وهو واقع بالفعل فإن الارقام تقرأ من اليمين إلى اليسار كما يقرأ الخط العربي وبقيت دار الآحاد هي الأولى على اليمين ثم تتبعها في اتجاه اليسار منازل الأعداد فرقم (1592) مكتوب من اليمين إلى اليسار بدليل كون الأصغر مقدما على الاكبر وبدليل أعظم هو أنك لا تقرأ رقم (1) هناك ألفا إلا بعد قراءتك اليمينية بحسابك عدد الاعداد من أول المجموعة الرقمية اي من يمينها فلأنت تقرأ من اليمين لتعرف المنازل وعددها ثم تحكم بعد ذلك بأن رقم (1) رمز لعدد ألف. ومثل ذلك تفعله برقم (5) أو (9) في ذلك العدد المركب. ولو زعمنا ان مقتبسي الاعداد العربية انتبهوا إلى أصلها في الحروف العربية ونظام الكتابة العربية وارادوا ان يحولوا ذلك إلى ما يناسب اتجاه الكتابة عندهم كالكتابة اللاتينيه لكتبوا الرقم المذكور قبل هكذا (2951) ولكان هو الرقم (1592) في الحقيقة مكتوبا في اتجاه ينلسب المعروف في الخط اللاتيني. ومعنى ذلك ان هناك فرقا بين الرقم وبين الخط اللاتيني. ومعنى ذلك ان هناك فرقا بين الرقم وبين كتابه الرقم وأن الرقم يكتب بكتابات أو يجوز فيه أن يكتب بكتابات كثيرة ولكن عليك أن تقرأه وأنت عالم بالكتابة التي وضع عليها فإن قرأت الرقم (2951) وأنت تظن أنه مكتوب بالنظام اللاتيني -وإن كانت أرقامه حروفا عربية- قرأته هكذا: ألف وخمسمائة وتسعون واثنان أو: واثنان وتسعون، وإن ظننت أنه مكتوب بالنظام العربي قرأته هكذا : واحد وخمسون وتسعمئة وألفان.

أما القراءة الشائعة: الفان وتسعمائة وواحد وخمسون، فهي قراءة من اليسار إلى اليمين في «ألف وتسعمائة» مختلطة بقراءة من اليمين إلى اليسار في «واحد وخمسون» والناطق بها لا يجيزها إلا بعد القراءة اليمينية التي تحدد له المنازل. ومعنى ذلك ان هناك فرقا بين القراءة وبين نظام الكتابة العددية كالفرق الذي بين هذا النظام وبين الرقم سواء كان مركبا ام فردا. إن الرقم المركب الواحد كيفما كان نظامه الكتابي يقرأ قراءات كثيرة يجيزها النظام الكتابي الرقمي كلها وانما يمنع بعضها ويفرض صورة واحدة منها النظام التأليفي اللغوي فالرقم (1592) مكتوب بنظام رقمي عربي من اليمين إلى اليسار وأنت تستطيع أن تقرأه في النظام أو الأنظمة التأليفية العربية بأشكال مختلفة نذكر بعضها فيما يلي:

1) - ألف وخمسمائة واثنان وتسعون

2) - اثنان وتسعون وخمسمائة وألف

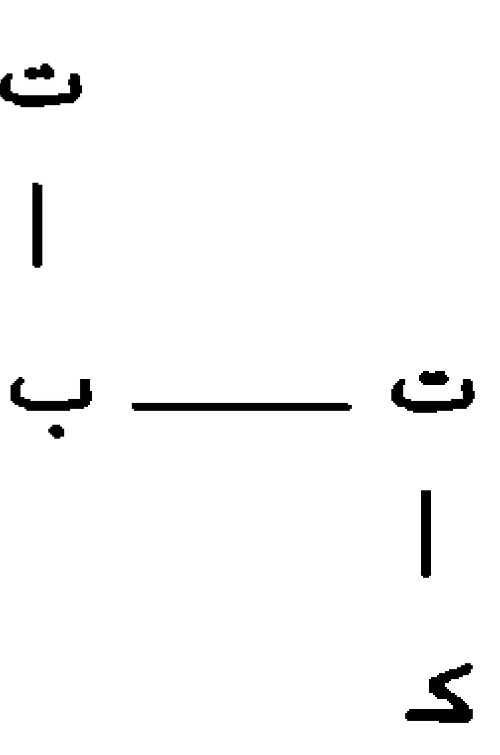
3) - خمسمائة وتسعون واثنان وألف

4) - اثنان وألف وتسعون وخمسمائة

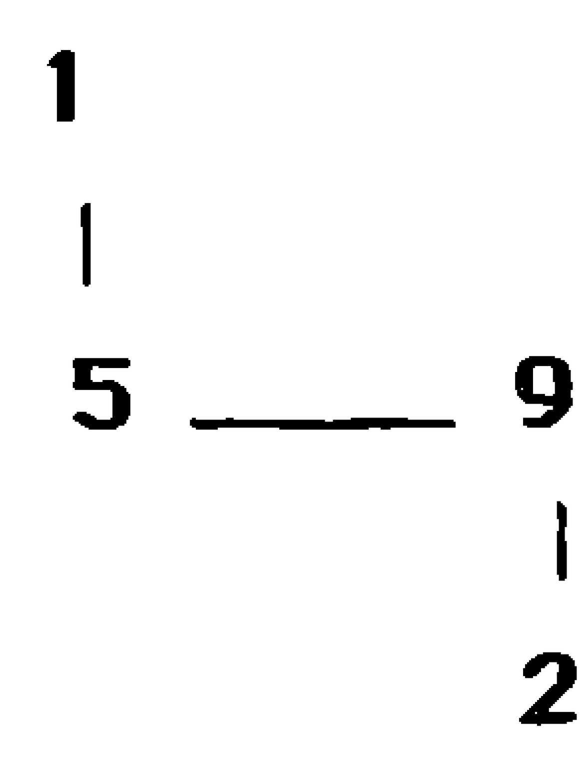
ولا تقف القراءات الممكنة عند هذا الحد وكلها مقبولة من الناحية العددية ولكن واحدا منها مقبول في العربية وهو الثاني الذي يراعي اتجاه الكتابة الخطية العربية واتجاه منازل الكتابة العددية العربية. اذن لا معنى للاحتجاج بالقراءة التي تمضي من اليسار إلى اليمين كالقراءة الفرنسية أو التي تخلط بين الاتجاهين كالقراءة المعروفة في الدوارج العربية، لا معنى للاحتجاج بذلك ردا على قولنا بيمينية الكتابة العددية العربية فإن الموضوع هو نظام الكتابة العددية في الارقام المركبة لا نظام القراءة الذي تتحكم فيه شرائع لغوية ليس هذا مكان عرضها. إن إيجاز ما تقدم يتلخص في التمييز بين الرقم المركب وبين

كتابة الرقم المركب (أو المفرد) وبين نظام القراءة أي نظام قراءة الارقام المركبة في اللغات التي خلق الله تعالى وحديثنا هنا عن علاقة الكتابة بين الرقم المركب وبين الخط المركب وقد تبين ان الرقم المركب الشائع الآن في الارض كلها موافق لنظام الكتابة الخطية في الحروف العربية وأنه دخل إلى الاستعمال في حضارات وثقافات غير عربية محتفظا بأصله العربي الذي يدل عليه أمران : الشكل الهندسي للأرقام ذات الأصل الحروفي العربي واتجاهها من اليمين إلى اليسار، وتبين أيضا ان قراءته من اليسار إلى اليمين كما هو الحال في لغات أوربية أو بالمزج كما هو في الدوارج لا يعني شيئا في موضوع النظام الكتابي للارقام العربية وان قراءته من اليسار إلى اليمين لا تعني انه مكتوب من اليسار إلى اليمين وان الدليل في ذلك هو ترتيب نظام المنازل العددية من آحاد ومئات وألوف كالذي فعلناه حين كتبنا العدد الذي ضربناه هنا مثالا فغيرناه إلى (2951)، فلو زعمنا ان الارقام المركبة كانت تكتب بهذه الطريقة فإنك لا تستطيع أن تقرأها إلا إذا عرفت اتجاهها الكتابي أو منازلها واذا عرفت أنه كاتجاه الخط اللاتيني فلك ان تقرأه كما تشاء بما تقضي به لغتك وعلى كل يظل الرقم سرا ممتنعا على قراءة القارئين حتى يعلم نظامه الكتابي فليس أول ما يعلم فيه كيفية قراءته في اللغات المعنية ولكن أول ذلك نظامه الكتابي وإنما انجررنا إلى هذا لما زعمنا في أول هذه الفقرة ان الارقام المركبة المعروفة ذات الاصل الحروفي العربي لها نظام كتابي عربي لم يغيره احد حتى يومنا ودخل إلى الانظمة اللغوية المختلفة عنه وقرئ فيها بما يناسب شرائعها اللغوية فهو يقرأ في الفرنسية بشكل وفي اليابانية بشكل آخر ولكنه رقم مكتوب على النظام العربي وذو أصل حروفي عربي، ولنختم هذا كله بمثال آخر نقرب به ما سقناه في هذه الكلمة ولنزعم ان خطا أيما خط يقوم على نظام غير سطري مستقيم كالخط العربي أو الخط اللاتيني،

لنزعم أنه يقوم على النظام التالي : أن الكتابة فيه من اليمين إلى اليسار ولكن لا تكتب الحروف على وتيرة واحدة بل يكتب الثاني فوق السابق مرة واحدة ثم يكتب الثالث على وتيرة الثاني ثم يكتب الرابع فوق الثالث. هذه الكتابة تؤدي إلى كتابة مثل الفعل «كتبت» هكذا:



ولنزعم الآن ان مخترع الحروف أحب أن يوقع على نظام الكتابة العددية نظام الكتابة الخطية، اذن سيكتب الرقم المثالي في هذه الكلمة هكذا :



لو حدث هذا ونقل ناقلون نظام الكتابة العددية، هذا النظام السلمي إلى خطوطهم ذات النظام المستقيم لعلم انهم اقتبسوه من اللغة ذات الخط الحروفي السلمي : وملكانوا ليستطيعوا إنكارا لذلك لمباينة السلمية الخطية للمستقيمية مباينة قهرية وانما يشفى الامر حين ينقل ناقلون رموزا من لغة ذات خط مستقيم إلى أخريات ذوات خطوط مستقيمة وتغطي القراءات الجائزة في شرائع تلك اللغات نظام الكتابة العددية الدال على الأصل.

وبين أن الفرق بين الاستقامة والانكسار السلمي في الخط أبين من الفرق بين الاتجاه اليميني واليساري وأعصى على الملاحظة وأقرب إلى أن لا تمحوه القراءات في اللغات المختلفة.

الرباط

د. أحمد العلوي (*)

ملاحظة : لم أثقل هذه الكلمة بالمراجع التي يسهل جمعها وتصنيفها هنا لأن المراد بها وضع اليد على جزئيات ضائعة وذلك هو الغرض والمخاطب بهذه الكلمة موفر ومظنون فيه أنه يعلم الحوار الجاري حول هذا الموضوع وليس تلميذا يعلم. ماذا يبقى في ذهنك من الرواية إن كشفت لك مراجعها ولم تكتشفها بنفسك في نفسك.

(*) أستاذ اللسانيات كلية الآداب ـ الرباط

قصة

الليلة الثانية بعد الألف

محمد زنيبر

كان هنالك جالسا في هدوء وحياء وتواضع، جنب زملائه أو بالأحرى، جنب قلوب تتقد عليه حسدا وحقدا. ومع ذلك، فقد كان منتبها لأدنى إشارة تصدر عن الأمير حتى يستجيب لاقتراحه دون وجل. وعوده متكئ على حافة المقعد، وقد سويت أوتاره وأصبح مستعدا للعب بالألحان.

وصدرت عن الأمير إشارة خفية لرئيس الجوق، فحمل ربابه في الحين وتلاه بقية المطربين، فانطلقوا في عزفهم المعتاد. تقاسيم على القانون، ثم جملة من الألحان الموسيقية الخفيفة، ثم دور من المحفوظات الكلاسيكية. والكل يوحي بأن العالم مازال في مكانه لا يتزحزح عنه وأن عقرب الساعة توقف عن الدوران.

ثم توقف الجوق عن العزف بانتهاء الدور، وقرأ رئيسه الاستحسان والرضا في وجه الأمير. والتفت إلى صاحب العود بنظرة لا تخلو من تحد وشماتة، ولسان حاله يقول: «هل رأيت؟ غير ما شئت، ولحن ما شئت، فلن تصل إلى هاته المنزلة!»

ولكن الآخر لم يأبه لتحديه وشماتته. إن قلبه مملوء بأنغام وأصداء ما زالت لم ترن في الآذان وفكره مشغول بتركيبها وتشذيبها. فلم يكن له وقت ولا استعداد للحقد والعداء. ويفضل أن يطبق على الجميع جفن الصداقة والوداد.

وفاجأه الأمير بسؤال:

ـ إيه، ياجعفر! لقد قيل لي إن لديك الحانا أخرى لا يسمعها إلا بعض أصفيائك، أهذا صحيح؟

ـ والله، يامولاي، إنها محاولات لا أجرؤ على إسماعها للناس. لاني أخشى أن لا تعجبهم

ـ ولذلك أخفيتها عنا؟

ـ صحيح. يا مولاي، إني لا أراها جديرة بأن تعزف في مجلسكم البهي.

ـ وهل سمعها أصحابك الحاضرون هنا؟

ـ كلا، يامولاي. إني لم أشأ إزعاجهم بأشياء أجتهدت فيها وقد أكون أخطأت.

ابتسم الأمير ابتسامة لا تخلو من سخرية، ثم قال :

ـ ماهذا يا جعفر؟ هل هذا تواضع أم بلادة؟ فماذا تصنع بالحان لاتستطيع أن تقدمها لنا ولا أن تسمعها لاصحابك؟ أليس في هذا ضياع للجهد والوقت؟

ـ صحيح، يا مولاي. وإذا أمرتني أن أكف عن ذلك، فأنا طوع ارادتك.

ـ أنا لا آمرك بشيء ولا أنهاك عن شيء. وانما أريد أن أفهم، ألا يكفيك ما تركه الأولون من ألحان وأهازيج مطربة وأغان شجية؟

ثم التفت إلى رئيس الجوق:

ـ قل لي، يا أستاذ. أنت الذي تشرف على جوقي منذ عشرين سنة. هل يستطيع المطرب، اليوم، أن يضيف شيئا إلى ما تركه ابراهيم الموصلي وإسحاق الموصلي وزرياب؟

ـ كلا، يامولاي. إن هؤلاء أساتذة كبار، لا يستطيع أحد أن يبلغ شأوهم.

ـ وإذا تصدى أحد لذلك؟

ـ والله، يامولاي، إننا نحكم عليه بالسفه والجنون، وقد نصحت جعفر غير ما مرة. ولا شك أنه سيرجع إلى الصواب.

وفي تلك الأثناء دخلت الجواري الثلاث، وهن يرتدين حللا مختلفة ألوانها باختلاف ألوان الورد. واحدة بيضاء، وثانية حمراء وثالثة صفراء. فانحنين أمام الأمير لتأدية واجب السلام ووهبن ابتسامهن المغرور لباقي الحضور، ثم التفتن إلى الجوق الذي انطلق في العزف من جديد. وبعد تقاسيم على الناي، انطلق الجوق باندفاع قوي في أداء الرقصات، فاندفعت الجواري بدروهن في رقص خفيف يتجاوبن مع الايقاع والانغام. فرفع الأمير كأسه وتلاه الندامى فأفرغوها، فتسارع الخدم إلى ملئها من جديد، فاحمرت الخدود وزالْ قناع التصنع عن الوجوه وانبسطت أسارير الأمير، فوجه إشارة إلى جعفر.

فحبس رئيس الجوق العزف الجماعي عند قرار اللحن، حتى لا يقع اختلال واستمر الايقاع على حاله ورافقه جعفر بالضرب على العود. وكان في العادة يقتصر على التطريز حول لازمة اللحن، يدور حوله ويزخرف بعض حواشيه. حسب الطرق المعهودة، لكنه في هذه المرة أبى إلا أن يسمع بعض ما اهتدى

إليه من ابتكارات للأمير وفي نفس الوقت أن ينزل بحجته على رئيسه. فابتدأ ابتداءة كلاسيكية، ثم وثب وثبة جريئة نحو المجاهل التي اخترقها فتحركت أنامله بخفة ومهارة على الأوتار ودفع صاحب الطار إلى التفنن في إيقاعه وتحركت الوردات الثلاث في رقصتهن، وكأنهن مدفوعات بقوة جديدة.

واهتز الأمير في مكانه واهتز معه الندامى، لكن رئيس الجوق تعامى عن كل ذلك وأشار إلى الجوق باستئناف العزف الجماعي. فما كان من جعفر إلا أن عاد مكرها للعزف مع الجماعة، لكن الأمير لم يعجبه ما وقع. وأشار إلى الجوق بالكف عن العزف، ثم صاح في رئيسه :

ـ ماهذا، يا شيخ المطربين؟ ألم تر أنا كنا ننصت باستحسان إلى عزف جعفر؟

ـ عفوا، يامولاي كنت أظن أنه قد أطال، والعادة في العزف المنفرد وسط الجوق أن يقتصر على جمل معدودة. ثم يستأنف العزف الجماعي.

فاحتد الأمير وقال له بغلظة:

ـ العادة! العادة! ماذا تعني بذلك؟ العادة هي ما يعجبني وما يعجب أصحابي. عشرون سنة وأنت معي ولا تعرف هذا ؟!

فقام شيخ المطربين من مكانه وانحنى إلى الارض وهو يقول بصوت مختنق:

ـ العفو والصفح، يا مولاي. فقد أخطأت، ولكن عن غير تعمد.
ـ ارجع إلى مكانك، وأعيدوا عزف القطعة منذ البداية واترك جعفر يلعب على عوده إلى أن تأتيك إشارتي.
ـ سمعا وطاعة. يامولاي!

ورجع رئيس الجوق إلى مكانه صاغرا مقهورا. وهو لا يصدق أنه أفلت من نقمة الأمير. وبعد أن استرجع أنفاسه في لحظات معدودة، أجرى القوس فوق الرباب وتلاه أفراد الجوق، وعادت الرواقص الثلاث يأخذن الابصار بحركاتهن الرشيقة وانثناءاتهن اللدنة وقفزاتهن المثيرة، ثم توقف الجوق عن العزف الجماعي ليترك المجال للعواد جعفر. وانطلق هذا انطلاقة أخرى لا تذكر بسابقتها إنها أقوى تعبيرا وأكثر إثارة، وكان الكل ينصتون وكأن على رؤوسهم الطير، ويتتبعون بإمعان لعب هذا الساحر الماهر على أوتاره. أما هو، فالظاهر عليه أنه نسي كل شيء أمامه، ماعدا العود الذي يعزف عليه. نسي أنه في قصر الامير وفي حضرته وسط ند ماله، ونسي أنه يعزف مع جوق يحيط به وله رئيسه، ونسي أن الحاضرين ينصتون إليه. إنه لم يكن يعزف لأحد، بل يعزف لنفسه، ويحاورها بلغة النغمات. إنه خطاب طويل يسير فيه ملهما واثقا من نفسه، وكأنه على بساط ريح يحلق عاليا في الهواء ويتفرج على الدنيا وعلى اختلاف مناظرها وصخب بحارها على شواطئ أرضها. انه لو استطاع أن يعبر عن كل شيء. ولكن. أنى له ذلك!! إنه يلح على الاوتار ويضرب عليها من كل جانب. وكأنه يبحث عن كنز دفين، يشعر بوجوده، ولكنه مازال لم يصل إليه. وفي هذا البحث المحموم، وفي هذا السعي الذي لا نهاية له، تنبعث شرارات الفن بلالائها، فتتقد معها القلوب ويزول الصدأ عن النفوس، فتحن إلى تجديد الحياة، وإلى المزيد من كل شيء.

كان الأمير ينصت، وقد أخذ منه الطرب، واهتزت نفسه بأحاسيس الغبطة. فمد يده إلى باقة الورد الكبيرة التي كانت على مقربة منه، فاستل منها وردة حمراء وشمها على مهله ثم وضعها في كوب إلى جانبه. فكانت تلك إشارته الصامتة إلى الجارية التي سيقضي معها بقية ليلته. وكان هذا هو السر الذي يعرفه الجميع ويتظاهرون بجهله. وبإشارة من الأمير، توقف جعفر عن عزفه المنفرد، واستأنف الجوق لازمته الموسيقية، فجلى فيها أيما تجلية. وكانت التغطية جديرة بعزف العواد البارع.

وجاءت الجارية ذات الحلة الحمراء، فأخذت مكانها المهيأ إلى جانب الأمير. وأصبح الامر أمرها، والحكم حكمها، كما جرت العادة بذلك، والأمير هادئ في مكانه كالمالك الذي يتنزه في ملكه. والتفتت الجارية، في الحين، إلى الأمير، وقالت:

— مولاي بحكم الشهامة التي عرفتم بها، والحلم الذي هو صفتكم الدائمة، أرجوكم أن تصفحوا كل الصفح عن شيخ المطربين وأن تزيلوا من قلبكم كل مؤاخذة عليه.

فأجابها الأمير:

— شفاعة مقبولة، ياربة الرشاقة والجمال! اطلبي! اطلبي! ولك ما تشائين.

— مولاي! اذا قبلتم شفاعتي وصفحتم عنه، أرجو الآن أن تحسنوا إليه بالعطاء الجزيل هو وأفراد الجوق الذين يحيطون به.

— على الرأس والعين. ياربة الرشاقة والجمال! هيا، يلصاحب بيت المال هيئ لكل واحد منهم كيسا من الدنانير وضاعف حصة شيخ المطربين.

وكان صاحب بيت المال قد قفز من مكانه وجثا على ركبتيه أمام الامير، وقال:

ـ سمعا وطاعة، ياMولاي. في الغد يتسلمون جوائزهم
ـ إياك وأن تخلف الميعاد! عد الآن إلى مكانك.

والتفت الأمير إلى الجارية :
ـ فهل أنت راضية، يا جميلتي؟!
ـ نعم، نعم، يا مولاي.
ـ إذن، أطلبي، أطلبي. ولك ما تشائين
ـ مولاي، الآن وقد صفحت عن شيخ المطربين وأحسنت إليه، أرجو أن تحيله إلى التقاعد حتى يستمتع بما يستحقه من راحة وهناء، بعد عمر قضاه في خدمتكم وفي خدمة الفن
ـ رجاء مقبول، وقد سبقتني، ياجميلتي، إلى قرار كنت قد عزمت عليه في نفسي... إنما، من يخلفه في عمله؟
ـ يخلفه، ياموLاي، الفنان الكبير جعفر. وأرجو أن تخلع عليه خلعة سنية بهاته المناسبة
ـ رأي في محله وطلب معقول، ياذات الطلعة البهية.

كانت أوامر سيدة الليلة تصدر وعجلة الإمارة تدور دون عطب ولا احتكاك. لقد تطورت الأحوال منذ عهد الملك شهريار، ولم تعد المرأة تتحايل من أجل انقاذ نفسها من الموت بواسطة الحكايات والأقاصيص مثل شهرزاد. فها هو حفيده في هاته الليلة الثانية بعد الألف، التي يفصلها عن سابقتها مقدار نومة أهل الكهف، لا يكتفي بالمحافظة على وجود المرأة. بل يرفع من شأنها ويسند إليها الحكم على الرجال والبت في تقرير مصيرهم. فكم وضيع ارتفع إلى عنان السماء، وكم رفيع انخفض إلى الحضيض بكلمة صدرت عن شفتيها! آه، ياآدم، يا أبا البشر استيقظ، وانظر إلى ما صارت إليه ضلعك العوجاء! فأنت أول رجل في هاته الدنيا، قمت بأعظم اختراع في تاريخ البشرية!

لكن، كيف كان وقع الحكم على شيخ المطربين وعلى الفنان الصاعد جعفر؟ الظاهر أن كليهما لم يرضيا به، إذ لم تصدر عنهما أي حركة قبول وتأييد. فالأول بعد أن سر وسرى عنه بالشفاعة المقبولة والجائزة الممنوحة، فوجئ أسوأ مفاجأة لما سمع الحكم عليه بالإحالة على التقاعد، فاصفر وجهه وارتعدت فرائصه، وداخله الرعب، فلم يعد قادرا لا على حركة، ولا على كلام وكأنه أصيب بالشلل. وأما الثاني، فقد رأى نفسه وقد ارتفعت منزلته، وأصبح يحظى بالجاه والثروة، فسيقفز، لا محالة، من الثروة التي يحرص عليها، ثروة الفن التي لا تزكو إلا مع الحرمان والهم والجرح الدفين، إلى ثروة المال والذهب والفضة واللؤلؤ والماس. فكيف يمكنه أن يجد الطريق، مرة أخرى، إلى تلك التعابير الرائعة والالحان الشجية، اذا سلك سبيل النعمة الممنوحة والسعادة الرخيصة وغمرته الدنيا بأطايبها، وفقد لذة التمني والطلب ؟!

فلماذا لايتركوه وشأنه يعيش في ركنه المنزوي، ويكتفي بزاده المتواضع، ويشرب الماء بكفيه من العين، ويخرج على رجليه إلى الطبيعة بدون بغل ولا سرج؟ ولماذا لا يدعونه يعيش مع عوده، ثاني اثنين، في خلوة الالهام والابداع؟

هكذا أحس جعفر، هو أيضا، بالخطر الذي يتهدده، فتلقى حكم الجارية الحسناء برأس مطرق ووجه مقفل، وكأنه حكم بالسجن أو النفي. ولم ينقص عجب الجارية ودهشتها من موقف الرجلين، وبالخصوص موقف جعفر. فسألته بشيء من الجفاء:

«أهكذا تتلقى، ياجعفر، ما أسبغناه عليك من نعمة، ورفعناك إليه من منزلة؟ فأين هي علامات السرور والغبطة التي هي أول بادرة في مقام الشكر؟ تكلم!

لقد منح الفرصة ليدافع عن نفسه ويكشف ما في قلبه:

ـ اذا سمح لي مولاي، ورضيت مولاتي، فلي رجاء أريد أن أدلي به في هذا المقام. ولعل لساني عاجز عن التعبير عما يدور بخلدي. فأنا لست إلا مطربا، وما أبعدني عن أكون خطيبا! إني لا أجهل، يامولاتي، قيمة النعمة والسعادة التي فتحت لي أبوابها، ولا يغيب عني ما حبوتني إياه من عطف وتقدير. وكيف لا يفيض لساني بالشكر والعرفان!! وكيف لا أنحني إجلالا للالتفاتة الكريمة!! لكني تهممت لأمرين: أولا، إنه يعز علي أن أحل محل استاذي وشيخي الذي تعلمت عليه كل شيء. وما زلت أغترف من بحره واستفيد من علمه وتجربته. وما زال هو قادرا على أن يعطي، ويطرب مجالس مولانا بأحسن طرب وأوفاه أصالة ورسوخا. وأما الأمر الثاني، فهو أنني أتخوف كثيرا من ضياع فني ونضوب موهبتي إن أنا قبلت هاته الحظوة العظيمة، فإذا أعجبكم طربي ورغبتم في المزيد منه. فاتركوني كالطائر في الخلاء، في الهواء الطلق يعاني البرد والحر، ولكنه ينصت لنشيد الطبيعة ويملأ أذنيه من هديرها.

واتجهت إليه أنظار الحاضرين بعيون مشدوهة. انهم لم يفهموا شيئا. إلا أن شيخ المطربين كان يخترق وجهه الأفصح خيط من الابتسام المباغت.

الرباط

محمد زنيبر (*)

(*) ـ أستاذ التاريخ / كلية الآداب ـ الرباط

جامعة القرويين ودورها في التواصل العلمي بين الشعبين المغربي والمصري

د. يوسف الكتاني

لقد صدق الله الامام إدريس بن ادريس الرؤيا وحقق له الرؤية التي رأى عليها فاس وهو يؤسسها وينشئها لتكون عاصمة للدولة المغربية، وقاعدة راسخة لملكة إسلامية، وحصنا حصينا لدولة الاسلام ومركزا للاشعاع الحضاري والفكري لبلاد المغرب وإفريقيا وللمسلمين، تهوى اليها أفئدة الناس وتشد إليها الركاب، وتكون ملاذا للمستضعفين في الارض، وملتقى للكفاءات والحضارات، وموئلا للنبوغ والطموح، فبلغت فاس بفضل الله الآمال التي عقدها عليها، والمكانة السامية التي رسمها لها، والمطامح والخطط التي خططها لها ولمستقبلها، والآفاق البعيدة التي سما اليها، وهو مصداق خطبته الشهيرة لما فرغ من بناء فاس وحضرته الجمعة الاولى، صعد المنبر وقال :

«اللهم إنك تعلم أني ما أردت ببناء هذه المدينة مباهاة ولا مفاخرة، ولا سمعة ولا مكابرة، وإنما أردت أن تعبد فيها ويتلى كتابك، وتقام حدودك، وشرائع دينك، وسنة نبيك محمد (صلعم) ما بقيت الدنيا، اللهم وفق سكانها وقطانها للخير وأعنهم عليه، واكفهم مؤونة أعدائهم، وأدر عليهم الرزق، وأغمد عنهم سيف الفتنة والشقاق ،إنك على كل شيء قدير»[1].

وهكذا لم يمر أكثر من نصف قرن من الزمان على تأسيسها حتى شمخت ببنائها ومؤسساتها، وارتفعت معالمها، وعلت مناراتها، وتعددت منابرها، وطار ذكرها، وانتشر صيتها، وغدت مقصد الوافد والوارد من كل صوب ومكان، وتأسست فيها أعظم جامعة في الدنيا، وهي جامعة القرويين التي قامت واستمرت، وتواصلت مراحل نهضتها وأطوار انبعاثها وإشعاعها، ولعل عظمة هذه الجامعة تتجلى في براعة استهلال إنشائها من لدن امرأة من صميم الشعب، هي أم البنين فاطمة الفهرية من مالها الذي ورثته عن أبيها وزوجها، وظلت صائمة منذ شرع في بنائها الى إن تمت وقامت سنة 859/245.

لقد كان هذا العمل مبادرة سامية، وهمة عالية من امرأة قيروانية سجلت اسمها في التاريخ بإنشاء جامع القرويين العتيد،ليكون شاهد صدق، وبرهانا على نبوءة الامام ادريس لمستقبل فاس وما ستحققه للبلاد والعباد، من آفاق بعيدة، ومرامي سامية، وتفاعل وإشعاع تحقق على توالي العصور واختلاف العهود، حتى أصبحت فاس «المدينة العظمى»[2] وقطب ومدار

---

1 - النبوغ المغربي في الادب العربي - عبد الله كنون 31/2

2 - الرحالة اليعقوبي ت سنة 292 هـ

مدن المغرب الاقصى وحاضرتها الكبرى ومقصدها الاشهر»[3] وبأنها «بغداد المغرب وحاضرته وموضع العلم منه، اجتمع فيها علم القيروان وعلم قرطبة»[4] وعلى عهد الموحدين «قاعدة بلاد المغرب وبلاد المشرق والاندلس»[5] وغدت في القرن الثامن الهجري «دار علم وفقه وحديث وعربية في القديم والجديد»[6] مما حذابا بالمؤرخ العظيم ابن جزى ت (757) أن يصفها وصفا مازال غرة في جبين تاريخها، ودرة ترصع جيدها بقوله :

«بأنها مطمح الآمال، ومسرح همم الرجال، ومحط رحال الفضائل، ومثابة آمن الخائف ومنية السائل... انثال عليها العلماء انثيال جودها على الصفات وتسابق إليها الانباء تسابق عزماتها على العدات»[7] وسجل ابن القاضي ما بلغته فاس وعلماؤها ورجالها بفضل جامعة القرويين ودورها العظيم في القرن الحادي عشر بقوله :

«إن ما بها من الحسن ماليس في مدينة من مدن الدنيا، فلا عالم أعلم من عالمهم، ولا رواية أثبت من روايتهم، ولا متكلم أجزل من متكلمهم»[8] «وحاضرة الخلافة وقبة الاسلام في المغرب».[9]

---

3 - الشريف الادريسي ت سنة 560 هـ

4 - عبد الواحد المراكشي سنة 621 صاحب المعجب ص 221

5 - الاستبصار في عجائب الامصار

6 - الانيس المطرب لابن أبي زرع ص 19 و20 تاريخ الجزائر العام 385/1

7 - أنظر ابن جزى

8 - وصف إفريقيا - الحسن الوزان

9 - جذوة الاقتباس فيمن حل من الاعلام بمدينة فاس - لابن القاضي المكناسي

وهكذا ظلت فاس تستقطب الاهتمام، ومقصد الرجال، ومنبت الافكار، وموئل النبوغ، ومجمع الفضائل والكمالات والمكرمات، بفضل طبيعتها وماحباها الله من نعم ومزايا، وما هيألها من أسباب الاستقرار والخير ما جعلها دوما موئلا ومقصدا.

القرويين جامعة عالمية رائدة

لقد غدت القرويين بعد فترة يسيرة من إنشائها قلب فاس النابض، وعقلها المفكر، و«عينها المبصرة» كما وصفها قاضيها ابن أبي الصبر[10] ومجمع علمائها وفقهائها[11]، ومصدر نبوغها وشهرتها، وموجه حياتها، ومظهر إشعاعها ونفوذها، ومصدر خيرها وفضلها، ومفخرة الضاد وطرق المنة. كما وصفها الشاعر العراقي محمد الحبوري بقوله:

مازال جامعك المعمور مفخرة

للضاد طوق طوق المنة الحقبا [12]

وبأنها أهم جامعة وأقدمها كما اعتبرها المؤرخ روم لاندو[13]، وبأنها أقدم مدرسة كأية علمية في العالم كما نعتها البرفيسور كريستوفيتش[14].

10 - أزهار الرياض للمقرى

11 - نفح الطيب للمقري 1/330 و1/270

12 - فواصل الجمان - محمد بن المفضل غريط

13 - الادب العربي في المغرب الاقصى لمحمد بن العباس القباج 1/10 و11 مجلة رسالة المغرب - العدد الحادي عشر - يونيو 1951

14 - الاعلام للزركلي 2/54

وهكذا أصبحت القرويين بيت العبادة والذكرى، ومقر النور والهدى، ومعهد العلم والحكمة، ومنبع الشريعة واللغة، وموئل الاسلام والعروبة، طاول القرون والاجيال، وصاول الدول والأقيال. وعاصر الخطوب والاهوال، وأنشأ العقول والرجال، فقاموا بإعلان أسرار النبوة والرسالة، وبددوا بنور الاسلام حالك الجهالة، وأوضحوا بلسان العرب مسالك الهداية والدلالة، واقتلعوا من النفوس جذور الغواية والضلالة[15].

وهكذا جمعت القرويين بين مكانتي الجامع والجامعة، وقرنت بين الشريعة والحكمة، وظلت مسجد القانتين ومثابة العابدين، ومدرسة العلماء والمتعلمين، يعتكف فيه الصالحون، ويرعاه الولاة والساسة ودعاة الجهاد والانقاذ، وزعماء السنية الوطنية، ويأوى اليه أئمة الهدى والارشاد، ورجال الثقافة وطلاب المعرفة، ويلتقي في رحابه أعلام القراءة والتفسير والحديث والتصوف والحكمة.

إن المكانة العظمى التي بلغتها جامعة القرويين، والمركز الذي حظيت به في سائر أنحاء العالم، والاشعاع الكبير الذي امتد الى الشرق والغرب، وجه اليها الأنظار، فاستقطبت الاهتمام، وارتادها القاصي والداني، وقصدها البعيد قبل القريب، ورتع في حياضها الحاضر والوارد، وأصبحت منارة العلم والعرفان لا في افريقيا فحسب، بل في سائر أنحاء المعمور.

15 - جامع القرويين للاستاذ عبد الكريم بن الحسني - الكتاب الذهبي ص 158

من هنا تعتبر جامعة القرويين الجامعة الاولى في تاريخ الفكر الانساني بشهادة البعيد قبل القريب، ذلك أن التاريخ الاروبي لا يذكر قبل جامعة بولوني التي تأسست سنة 1158 أية جامعة قبلها، ثم تلاها إنشاء جامعة السوريون سنة1200 م، ثم تلاها إنشاء جامعة نابولي سنة 1224 م، وهذا يؤكد ان العالم الاسلامي كان له فضل سبق إنشاء الجامعات والمراكز العلمية الكبرى قبل أوربا، بفضل طبيعة المسجد في الاسلام. ووظيفته منذ تأسيس المسجد النبوي بالمدينة المنورة.

وهكذا تم تأسيس جامعة القرويين في القرن التاسع الميلادي، 859/245[16]، ثم تلاها بأكثر من قرن من الزمان تأسيس جامعة الازهر 973/359، ثم أعقب ذلك تأسيس جامعة قرطبة، في حين لم تؤسس في أوربا جامعة إلا في القرن الثاني عشر، ومرد ذلك الى أن هذا العهد كان عصر النهضة في العالمين العربي والاسلامي وازدهار العلوم والمعارف، بينما كانت أوربا آنذاك سادرة في عهد الظلام والانحطاط، كما أكد ذلك مؤرخوها وعلماؤها أمثال جوزي، وروم لاندو، ودلفان الذي قال في حق القرويين:

«لقد كانت مدينة فاس بحق دار العلم، وكانت جامعتها (القرويين) أول جامعة في العالم»[17]

16 :الكتاب الذهبي ص 136-138

17 - فاس وجامعتها - دلفان

كما قال روم لاندو عن ريادتها وعالميتها:

«... وبها كان العلماء منذ حوالي ألف عام يعكفون على البحوث الدينية والمناظرات الفلسفية التي قد تتجاوز دقتها ادراك فكرنا الغربي، كما كان المثقفون يدرسون بها التاريخ والعلوم والطب والرياضيات، ويشرحون أرسطو وغيره من مفكري الاغريق»[18]

كما أجمعت كتابات المؤرخين والعلماء والمستشرقين على استقطاب جامعة القرويين للطلاب من مختلف الانحاء والقارات وخاصة من أوربا ومن غير المسلمين، نذكر هنا واحدا منهم كان له شأن كبير في تاريخ أوربا بلغ أعلى درجات الكنيسة، وهو الطالب جيربرت دورياك القادم من قرطبة (ولد حوالي سنة 945 م) والذي ارتقى الى درجة الابوية بعد دراسته بالقرويين وأصبح يسمى البابا سلفستر الثاني[19] وكان له فضل نقل الارقام العربية[20] وادخالها الى أوربا لأول في التاريخ، ومازالت تسمى الى اليوم بالارقام العربية، وبما حمله من نظريات الفقه الاسلامي أدت الى تطوير الفقه الروماني والتأثير في العقلية الاروبية وفي أيام أو أشهر الجوهرة المرصعة التي تزين جبين فاس والمغرب كما يقول المثل السائر، بل إن ذلك تم بفضل جهود تواصلت وتضافرت من طرف المغاربة وفي مقدمتهم العلماء، ليصبح الجامع الذي تأسس في أول عهد الادارسة تلك الجامعة العظيمة التي قصدها الاساتذة والشيوخ والطلاب من كل جهة

---

18 - رسالة المغرب - المغرب - 1951/6/11

19 - تاريخ الادب العربي للزيات ص 494

20 - الكتاب الذهبي 198 و199

ومكان، ليتعلموا ويعلموا؟ ويستفيدوا ويفيدوا، فاتسعت حلقات دروسها، وتعددت مناهجها، وتنوعت مختبراتها. وزخرت جوانبها بطلاب العلم وشيوخه حتى غدت «المنارة الفكرية العالمية المشعة بأنوار معارفها لأعلى مدينة فاس فحسب، بل على سائر اطراف المغرب، وعلى الاندلس وافريقيا، بل على أوربا وعلى كثير من جهات العالم كما شهد بذلك الخاص والعام.[21]

لقد امتد هذا الاشعاع الفكري لجامعة القرويين وتواصل عبر العالمين العربي والاسلامي، بفضل نظام الحكم المغربي الذي قام على سند هذه الجامعة العتيدة، بعلمائها وشيوخها وطلابها، وبما تحتضنه من قيم كبرى ومثل عليا، وبما انتجوا من تراث وعطاء. وما صنعوا من حضارة جعلت نظامنا اسلاميا سنيا وحدويا مستقرا عبر تاريخنا الحافل، والذي جعل من العلماء في مقدمة أهل الحل والعقد والصدارة في المجتمع كله، ومما جعل ملوكنا يتنافسون في دعم هذه الجامعة وتطويرها ورعايتها، بل يسعون للدراسة فيها وحضور حلقاتها العلمية، ويحيطونها بمختلف العناية والاهتمام، مما حافظ عليها دوما، وجعلها تقوم بدورها العظيم باستمرار، والذي كان لقاحا وخميرة للحضارة الغربية التي عرفتها أوربا في عصر نهضتها:

---

21 - أنظر كتاب فاس - جان وجيروم طارو

اذا كان التواصل بين مصر والمغرب امتد واستمر عبد تاريخنا الطويل، فإنه ابتداء من القرن الهجري الاول عبر الرحلات السنوية إلى الحج. حيث كانت مصر مدخل الحاج المغربي ومجازه الى الديار المقدسة، كما كانت منطلق كتائب الفتوح الاسلامية الكبرى التي انطلقت الى مختلف البلاد وخاصة افريقيا، كما تم هذا التواصل وتعزز عند فتح الاندلس بقيادة طارق بن زياد حيث اشترك جنود الفتح من المغرب مع إخوانهم المجاهدين من مصر.

ثم تعزز هذا التواصل وتوثق منذ اتجه الفاطميون بجيوشهم من المغرب وفتحوا مصر والشام، فكثرت الرحلة من المغرب والاندلس الى مصر والى الاسكندرية خاصة. كما أن مقومات اللغة والدين والتراث المشترك بيننا كانت في مقدمة العوامل التي جعلت التواصل بيننا قائما مستمرا، في حين نجد عوامل أخرى ساعدت على هذا التواصل وغذته وقوته، كالعادات والاعراف والتقاليد والسلوك: في الازياء والامثال، والحفلات، والاغاني وغيرها، مما يجعل كثيرا من التشابه بين البيئتين والمجتمعين المغربي والمصري ملحوظا. كالجلابة والجلابية، والطاقية والعمامة، والشال والسلهام والعباية، وفي الاثاث والمتاع كالمكاحل والمرايا، والكنب البلدي والصندوق، وفي الحلي التقليدية كالخلاخل والاساور والخواتم، وفي الاواني كالطاس والابريق والطواجن وغيرها من مظاهر التشابه على مختلف المستويات، كما يتوج كل ذلك ظاهرتان كبيرتان تجمع بين شعبينا وهما: شدة التمسك بالاسلام وشدة الغيرة عليه، والمحبة الكبرى للرسول عليه السلام وأهل بيته الطاهرين، مما يعتبر مزية مصرية مغربية معروفة مشهورة.

القواسم المشتركة بين جامعتي الأزهر والقرويين

لعل من أعظم التواصل بين مصر والمغرب وأكبرها وجود جامعتين إسلاميتين عتيدتين في كل من المغرب ومصر، ظلتا منبرتى إشعاع فكري عربي اسلامي في كل من القطرين الشقيقين، وكانتا ومازالتا مصدر وحدة واستقرار، ومظهر تقدم وأصالة لكل من الدولتين والشعبين، وكانت رحلات كل من الطلبة والاساتذة والشيوخ بين الجامعتين من أهم وسائل التواصل، ومن دوافع استمراره ودوامه واتصاله.

ولقد أكد هذا التواصل وعززه وقرره وجود قواسم مشتركة بين الجامعتين: من حيث صفتهما ووظيفتهما ومركزهما، وتشابه وتماثل أنظمتهما وأنشطتهما، وانفتاحهما وانتشار دعاتهما ورسلهما في مختلف الانحاء والآفاق، وهكذا يمكن أن نذكر من بين تلك القواسم المشتركة:

1) أن كلا من جامعتي القرويين والازهر من أقدم جامعات الدنيا كلها حيث تأسست القرويين في القرن التاسع الميلادي، والأزهر بعدها في القرن العاشر، قبل أن تقوم أول جامعة في أوربا بثلاثة قرون.(22)

2) أن كلا من القرويين والأزهر جمع بين المسجد والجامعة، وقد ظلا كذلك منذ قيامهما الى الآن مقرا للدراسات الاسلامية الدينية والادبية التي انتظمت جميع فروع المعرفة المختلفة وللاشعاع الفكري وخاصة في العالمين العربي والاسلامي.(23)

---

22 - مغرب الغد حرنيلفان مجلة المغرب الجديد - ربيع الثاني 1355

23 - روم لاندو - رسالة المغرب - يونيو 1451 ـــ لوتورنو - فاس قبل الحماية - ص553و554 ـــ سوس العالمة - ص 5 - المعسول 14/1و15 المختار السوسي

3) أن كلا من الجامعتين ظلتا مفتوحتين لم تغلق أبوابها. ولم يستطع الاستعمار ان يحول بينهما وبين أداء رسالتهما بالرغم من مكائده وحيله، والعراقل التي حاول وضعها في طريقهما لايقاف إشعاعهما ونشاطهما.[24]

4) أنهما كانتا دوما ملجأ للعلوم كالفلسفة والرياضيات والطبيعيات، وخاصة جامعة القرويين بعد انتقال علماء الاندلس إليها كابن ماجه الفيلسوف، وأبي العلاء ابن زهر الطبيب، وأبي الوليد ابن رشد، الذين كانوا بافكارهم وجهودهم وعلمهم عماد النهضة العلمية الاروبية.[25]

5) أنهما ظلتا القيمتين على التراث العربي الاسلامي واستمرتا في المحافظة عليه وعلى إشعاعه الى اليوم.[26]

6) أن المناهج الدراسية وطريقة الدروس والبحث والمناقشة في كل منهما كانت متشابهة متماثلة، وكان أسلوب الدراسة أسلوبا لتربية العقل وتخطيط طريق التفكير للوصول إلى الحق لذاته.

7) أن عطاءهما العزيز وتراثهما الكبير الذي أنتجه كل من علماء الازهر والقرويين طوال تاريخهما المديد ظل خصبا متنوعا،

24 - الانيس المطرب ص 2017
فاس قبل الحماية ص 453 و454
الكتاب الذهبي ص 57

25 - التكملة رقم 65 - الجذوية 262

26 - الكتاب الذهبي ص 198 و199

وكـان لـه تأثيـره الكبيـر وأثره البـالغ لا في الفكر العـربي والاسلامي فحسب بل امتد أثره الى الفكر الانساني، نذكر منه على سبيل المثال: كتاب الجبر لابن الياسمين، وحساب الكسور لابن البناء العدوى، وعلم الهيئة لابن الربيع، وماهية العشب والازهار لابي القاسم الوزير، والفلك لابن سليمـان الرواني، والمؤقت الجادري، وابن عبدوس وابن الحبـاك، وابن بطوطة، وعبد الرحمان الفاسي وسواهم.[27]

إن هذه القواسم المشتركة بين الجامعتين والعوامل الموكدة لكل تواصل بين الشعبين، وحدت مصيرنا وهدفنا، وجعلتنا دوما متضامنين متكاملين طوال تاريخنا، وخاصة في وجه الاستعمار ومكائده التي تعرضنا لها، ووقفنا صامدين في وجهها منذ الصليبين وأحقادهم الى اليوم، مما يحتم علينا العمل على تواصل هذا التعاون والتضامن في سائر المجالات حفاظا على ديننا ورسالتنا الانسانية، ودفاعا عن استقرارنا ووحدتنا، والعودة إلى مكانتنا الريادية التي أراد الله لنا، ووضعنا فيها، وما أحسن أن ننقل هنا أبياتا شعرية لمحدث المغرب الشيخ المدني بن الحسني عبر فيها عن هذا الدور المتميز لجامعة القرويين بقوله:(28)

وإن الجامع القروي فينا
كنبراس يضيء لدى اعتصام
جميع مدارس الدنيا تبدت
متابعة كتلو للامـام
وقد ضربت له اباط ابل
لشيخ أولكهل أو غلام
وراهب رومة قد رام فيه
علوم الكون من دون انتقام

---

27 - أثر القرويين في حياة اللغة العربية: الاستاذ أنور الجندي ص 212 و213

28 - الاتحاف : عبد الرحمان بن زيدان 3/7

لقد أصبحت جامعة القرويين بعد فترة وجيزة من إنشائها المركز الثقافي الاول لافريقيا وللاندلس وغيرهما من البلاد العربية والاسلامية، حيث أخذت وفود العلماء والشيوخ وطلاب العلم والمعرفة تتوافد عليها من كل الانحاء. وإذا كانت الروابط الجغرافية والتاريخية واللغوية وسائر التراث المشترك قد ربطت بين البلاد العربية ووثقت الصلات بين أفراد شعوبه، فإن رابطة الدين واللغة قد أصلت تلك الروابط ووثقتها ومكنتها، بفضل جامعة القرويين التي اتخذها العلماء وطلاب المعرفة مقصدهم ومدرستهم وجامعتهم، إليها يرحلون، وفيها يتعلمون، وبها يجتمعون، وحول شيوخها يتحلقون، وبربوعها يستظلون، ومن حياضها يكرعون، ومن نور علومها ومعارفها يستمدون ويستضيئون.

وهذا هو تاريخ القرويين خير شاهد ودليل على ذلك، فقد استمرت طول فترات تاريخها، وعلى توالي مختلف دولها وعهودها، وعلى تعدد أنظمتها وحكمها، ظلت القرويين مثابة الصادر والوارد، وموئل الطلاب، ومهبط العلماء، ومجمع الفقهاء، من سائر العواصم والمدن العربية والاسلامية وغيرهما، بالاضافة إلى قصادها والواردين عليها من الاندلس وأوربا وغيرهما.

وهكذا ظل التواصل قائما مستمرا بين القرويين وبين أبناء مصر ورجالاتها وأقطابها وعلمائها الذين أخذوا يرحلون إليها للاخذ عن شيوخها، والرواية عنهم، والتلقي منهم، وملازمتهم فترات تطول أحيانا وتقصر أحيانا أخرى بحسب الحاجة والاستعداد والامكان، ثم يعودون الى بلادهم ليعملوا ويفيدوا بعد نهاية دراستهم وتعليمهم، أو يظلون في القرويين

اذا اختاروا البقاء فيها ومواصلة الدرس والعطاء، فيصبحون ضمن أساتذتها وشيوخها أو يختارون القضاء والفتوى تظلهم رحابها، ويقبل عليهم رجالها وسكانها، رابطتهم اللغة، وجامعهم الدين، وصلتهم التراث المشترك، كما أكد ذلك الاستاذ كريستوفتسن بقوله: «ليست القرويين هي أقدم كليات العالم، بل هي الكلية الوحيدة التي كان يتلقى فيه الطلبة العلوم السامية في تلك الازمنة، وكانوا يتواردون عليها من أنحاء أوروبا وانكلترا فضلا عن بلاد العرب الواسعة، للانخراط في سلك طلابها وتلقي العلوم السامية، مع الطلبة الطربلسيين والتونسيين والمصريين والاندلسيين وسواهم».[29]

ونذكر هنا على سبيل المثال بعض الذين وفّدوا على القرويين قديما من أهل مصر وغيرهم: هبة الله المصري، وأبو الوفاء المصري، وابن حموية الاسكندراني، وابن مهذب البغدادي وابن عبد الوهاب الدمشقي، وابن أبي شاكر الاربلي، وأبو علي القالي، وخلوف، وابن ميمون، وسواهم كثير ممن فصل الكلام عن قدومهم المقري.[30]

وكذلك ظل شيوخ القرويين وعلماؤها يرحلون الى البلاد المصرية وهم في طريقهم الى الحج، أو يقصدون الى زيارتها والاقامة بها للاتصال برجالاتها والاخذمنهم والرواية عنهم، فيقيمون بها فترات قد تطول او تقصر، أو يستمرون في المقام بها اذا حلالهم العيش وطاب المقام، يعلمون ويفتون، ويرشدون ويوجهون الى أن يحين أجلهم ويلقون ربهم.

---

29 - مجلة الهلال المصرية ع 11 - سنة 1، يوليوز سنة 1893

30 - النفح 362/1- التكملة رقم 65- الجذوة 262 الكتاب الذهبي ص 199-199

لقد حفلت صفحات تاريخنا بمآت بل بآلاف أولائك،الوافدين على القرويين من مختلف البلاد، المقيمين منهم والراحلين عنها، بعد قضاء وطرهم واستكمال دراستهم وتعليمهم.

كما يزخر تاريخنا بمآت الشيوخ والعلماء المغاربة من رجالات القرويين، ممن تستهويهم الرحلة لطلب العلم والافادة، والذين كانوا يتوجهون باستمرار ويقصدون مصر للاخذ والرواية تارة، أو للاقامة والتدريس والتعليم هناك في أنحائها، وسنقدم أمثلة ونماذج أولائك ممن قصدوا والذين رحلوا الى تلك البلاد تدليلا وتأكيدا على التواصل القائم والمستمر، والذي لم ينقطع إطلاقا حتى في فترات الاستعمار المظلمة، مما كان أساسا للتلاقح الفكري، والاشعاع الثقافي، والترابط الاجتماعي، والوحدة الفكرية بين بلادنا وبين إخواننا المصريين طوال تاريخنا، وعهودنا وذلك بفضل جامعة القرويين وجامعة الازهر الشريف.

نماذج من العلماء والشيوخ الراحلين الى البلاد المصرية عبر العصور

إن الدور الكبير لجامعة القرويين الممتد عبر التاريخ، والمركز المتميز لها في إفريقيا والمغرب العربي خاصة، والآفاق البعيدة التي فتحتها في وجه طلاب العلم والمعرفة من كل صوب، والذين أخذوا يتوافدون عليها تباعا منذ أن انتظمت الدراسة بها، كل ذلك هيأها لاستقطاب أبناء المغرب العربي تعليما وتربية وتوجيها، وجعلها مركزهم الثقافي والعلمي الأول، الذي حقق لهم وحدة فكرية منهجية الى اليوم، وتواصلا مستمرا خلال كل الدول والعهود.

وسنقوم بجولة سريعة موجزة مركزة عبر تاريخنا العريق، نقدم من خلالها نماذج حية وأمثلة رائدة من أولائك الشيوخ والعلماء الراحلين الى مصر، والذين صنعوا تاريخنا وربطوا بين حلقاته وعهوده، وكانوا بناة وحدتنا الفكرية والثقافية، وبما علموا وتعلموا، وألفوا وأفادوا واستفادوا، عن طريق رحلاتهم المستمرة والمتوالية بين القرويين والازهر الشريف ومختلف المدن المصرية: في القاهرة، والاسكندرية، وطنطا ومدن الصعيد وغيرها والتي وجدوا فيها ملاذا ودار إقامة، وبما سجلوا في تلك الرحلات من صفحات ذهبية مشرقة وبما وضعوا من تراجم ومعاجم عن شيوخهم وأساتذتهم، وبما ضبطوا من سند موصول عن طريق الرواة والشيوخ المغاربة لسنة رسول الله (صلعم)، مما يعتبر سلاسل ذهبية متصلة بشيوخ ثقاة ورواة كبار، وبما جمعوا من دواوين، وما نظموا من أشعار خلدت تلك العلاقات التاريخية والاواصر العلمية الخالدة، التي امتدت وتمكنت بين الشيوخ والعلماء وبين طلابهم.

وهكذا نقدم أمثلة حية لأولائك الشيوخ والعلماء من كل العصور والعهود، منذ فتحت جامعة القرويين أبوابها وانتظمت حلقاتها والدراسة بها.

في القرن الرابع الهجري :

الحافظ الفقيه أبو ميمون دراس بن إسماعيل الفاسي (ت357 هـ)

أخذ عن شيوخ بلده ورحل للاندلس والقيروان وروى فيها وحدث، وخرج منها صحبة أبي محمد الاصيلي الفاسي إلى مصر ومكة. ولقى بالاسكندرية على بن مطر، وسمع منه كتاب ابن المواز، وحدث بالقيروان ورجع الى فاس فكان أول من أدخل

إليها مدونة سحنون[31]

الحافظ راوية البخاري الامام ابو محمد عبد الله بن إبراهيم الاصيلي (ت 372)

كان أبوه أديبا شاعرا يعمل وراقا بمكتبة الحكم المستنصر بن عبد الرحمان خليفة قرطبة، مما جعل لثقافة والده وعمله ومكانته فضلا في تكوينهدذ وتوجيهه. تعلم في بلده ثم رحل إلى قرطبة ووادي الحجارة، وبعدهما الى المشرق للأخذ والرواية والسماع، فلقى شيوخ إفريقيا أولا، ثم قصد مصر حيث سمع بها من القاضي أبي طاهر الدهلي، وابن رشيق، وحمزة الحافظ، وأبي اسحاق ابن شعبان، ومحمد بن عبد الله النيسابوري وسواهم، ثم تتابعت رحلته إلى الحجاز وبغداد. وقد تميز الاصيلي بأمرين: أحدهما أنه أطال الرحلة والمقام والمقام في الشرق حتى نيفت رحلته على ثلاثة عشر عاما، والثاني أن أغلب شيوخه أخذوا عنه كما أخذ عنهم وتدبج معهم، مما يدل على جلالة قدره وسعة علمه.[32]

أبو الحسن علي بن أحمد الهواري الفاسي

رحل الى الاندلس وحدث بطليطلة، ثم توجه إلى الحج وأقام بالاسكندرية يروي ويسمع، وقد أخذ عنه فيها أبو علي بن الحسن بن عمر بن الصباغ وغيره.

---

31 - الكتاب الذهبي ص 160

32 - الأصيلي: عبد الله كنون

مدرسة الامام البخاري في المغرب: الدكتور يوسف الكتاني 1/219 - 223

الشيخ المقرئ الراوية أبو عمران موسى بن عيسى الغفجومي الفاسي

تفقه في القيروان وبقرطبة على الامام الاصيلي وسمع من الشيوخ، ثم رحل إلى الشرق فحج وسمع الصحيح من أبي ذر بمكة، وزار العراق وأخذ القراءات عن أبي الحسن بن عبد الكريم، وروى الحديث عن جلة شيوخها فحصلت له رواية واسعة، وأصبح من شيوخ القراءات السبع، وعاد الى بلده وتصدر للاقراء والرواية حتى عاد من أئمة الحديث والفقه.

في القرن الخامس الهجري :

الفقيه الشيخ أبو بكر محمد بن الوليد الفهري الطرطوشي نزيل الاسكندرية

حج ورحل الى حواضر العالم الاسلامي كمكة وبغداد والشام، ثم قصد مصر ونزل الاسكندرية سنة 440 فطاب له المقام بها، وتزوج من سيدة موسرة من أهلها أهدته دارا سكن في الطابق العلوي منها وأقام في السفلي مدرسة يعلم فيها مختلف العلوم وخاصة الحديث والفقه، فقصده الجلة من كل مكان للاخذ عنه والرواية إلى أن توفي بها سنة 520 هـ، ولا زال قبره معلما من معالمها.[33]

33 - الصلات الثقافية بين المغرب والاسكندرية - الكتاب الذهبي ص 99

الشيخ أبو محمد عبد الله بن سليمان بن منصور التاهرتي

رحل إلى الحج ثم أقام بالاسكندرية فلقى بها الحافظ أبا طاهر السلفي، وأخذ عنه الفقه والأدب، وروى عنه الحديث وكتب، ثم عاد إلى المغرب.[34]

أبو الوليد يوسف بن المفضل القبذافي (ت 520 هـ)

حج وأقام بالاسكندرية يحدث ويروى، واتصل بالحافظ السلفي وأخذ عنه وسأله الاجازة للسلطان تاشفين بن على بن يوسف وكتبها له.[35]

وقد أقام الشيخ القبذافي بالاسكندرية مدة مديدة وسمع على جماعة من شيوخها وكتب كثيرا ثم عاد إلى بلاده.[36]

في القرن السادس الهجري :

القطب الكبير الشيخ أبو مدين الغوث (ت 594)

تعلم على شيوخ وعلماء بلده ولازم الشيخ أبا يعزى يلنور وأخذ عنه، ثم رحل الى الشرق فاتصل بالشيخ عبد القادر الجيلاني أخذ عنه، ثم دحل الى مصر ولقي الشيوخ وعلم وتعلم بها كما لقي ابن عربي وغيره.

---

34 - أنظر معجم السفر لابي طاهر السفلي

35 - مدرسة الامام البخاري في المغرب للدكتور يوسف الكتاني 1/165

36 - معجم السفر للسفلى

المقرئ الاديب الصالح احمد بن عبد الله بن هشام بن الحطيئة اللخمي (498-560)

ولد بفاس وتعلم على شيوخها، ثم رحل الى الحج وتوجه بعده الى مصر، وجلس للاقراء بها وسمع وروى، فطاب له المقام بها واشتهر صيته وعلا ذكره حتى أصبح لأهلها فيه اعتقاد كبير، وقد بقي مستقرا بها الى أن مات.[37]

في القرن السابع الهجري :

الحافظ محي الدين أبو محمد عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي (581-625)

تعلم بفاس ثم عبر الاندلس وأخذ عن شيوخها ثم رحل إلى مصر وبقي بها من (617 الى سنة 620) يأخذ ويعطي، ويروي ويسمع، ويعمل ويتعلم. وفي الشرق كتب كتابه الشهير «المعجب في تلخيص أخبار المغرب».[38]

الشيخ الشهيد أحمد بن علي الحسيني البدوي دفين طنطا (635-695)

ولد بفاس وبها تعلم ثم رحل الى الشرق فحج وطاف بالبلاد، وأقام بالحرمين مدة ثم زار الشام والعراق واتصل بشيوخهما.

37 - الكتاب الذهبي 161

38 - الكتاب الذهبي ص 161

ثم قصد مصر واستقر بها ينشر علومه ومعارفه، فاشتهر صيته وذاع أمره وأقبل عليه الناس من كل مكان وبقي بها الى أن مات، وضريحه معروف مشهور بمدينة طنطا.[39]

شمس الدين أبو عمرو عثمان بن كثير الصنهاجي الفلسي(ت 639)

قصد مصر وهو صغير وأقام بها يتعلم ويروى ويأخذ عن شيوخها وعلمائها حتى تفقه وبرع في المذهب الشافعي وأصبح قاضيا بقوص، ثم عاد الى القاهرة متفرغا لدروسه بالجامع الأزهر وبقي بها الى أن توفاه الله.

الشريف أبو عبد الله محمد بن أبي عبد الله عمران بن موسى الحسيني الكركي (627-688)

ولد بفاس وتفقه على علمائها ثم رحل الى القاهرة، فصحب الشيخ عز الدين ابن عبد السلام سلطان العلماء وتفقه عليه في مذهب الشافعي الى أن صار شيخ المالكية والشافعية في مصر والشام، يفتي في المذهبين ويعرف الاصلين، وأقبل عليه العلماء والشيوخ يغرفون من علمه ويروون عنه الحديث، وفي مقدمتهم الامام الشهاب القرافي الذي قال عنه بأنه تفرد بمعرفة ثلاثي علما «وقد بقي بمصر الى أن توفي بها».[40]

---

39 - جامع القرويين عبد الكريم بن الحسني ص 162

40 - الكتاب الذهبي 162

الشيخ أبو الحسن الشاذلي 593

ولد بقرية غمارة وبها تعلم على الشيوخ وفي مقدمتهم أبو عبد الله محمد بن حرازم، ثم سافر الى تونس وأخذ عن علمائها ودخل الى الشرق واستقر بمدينة الاسكندرية يعلم ويروي ويتصدر الحلقات، حيث تخرج عليه فيها جلة من العلماء أمثال: الشيخ أبي العباس المرسي، والشيخ مكين الدين الاسمر، والشيخ أبي القاسم القباري، والشيخ ابن المنير، والامام ابن عطاء الله الاسكندري، والبوصيري، وغيرهم ممن كونوا مدرسة الصوفية في العالم الاسلامي التي عرفت بالطريقة الشاذلية، وقد ظل الامام الشاذلي بمصر يدعو الى الله ويعلم ويرشد ويوجه إلى أن توفي بها.[41]

في القرن الثامن الهجري :

الرحالة المحدث الخطيب محب الدين محمد بن عمر رشيد السبتي دفين فاس (659-721)

فخر فاس وحافظها ومسندها وكبير مشيختها الشهير. ولد بسبتة وبها تعلم وتفقه: ثم رحل الى الاندلس خطيبا وإماما، ثم رحل إلى الشرق وروي وسمع. ثم انتقل إلى الشام وغيرها وقصد مصر وأخذ عن مشاهيرها كالحفاظ الدمياطي وابن عساكر والقسطلاني.

41 - الصلاة الثقافية بين المغرب والاسكندرية للدكتور جمال الدين الشيال ص 100-101

كان ابن رشيد كثير السماع، عالى الاسناد، صحيح النقل، تام العناية بصناعة الحديث قيما عليها، بصيرا مصححا فيها، ذاكرا للرجال.

من أعظم كتبه واثاره عن رحلته المشرقية وخاصة بمصر كتابه: «ملء العيبة بما جمع في طول الغيبة في الوجهة الوجيهة بمصر والشام ومكة وطيبة».[42]

الشيخ محمد بن محمد بن الحاج العبدري الفاسي (ت 737)

تعلم بفاس وتخرج بشيوخها، ثم رحل الى الشرق وقصد القاهرة وأقام بها يروى ويسمع ويعلم، فأقبل عليه شيوخها وعلماؤها حتى أصبح شيخ علمائها. وبها وضع كتابه الشهير «المدخل» وقد بقي بها إلى أن توفي.

الشيخ المفتي الامام محمد بن سليمان السطي

أحد شيوخ مجلس السلطان أبي الحسن المريني وسفيره الى تونس، وتولى إمامة الزيتونة وخطبته والفتوى بها، وحج سنة 792 وأقام يروى ويحدث وكان ممن أخذ عنه حافظها ابن حجر والبدر الدماميني وابن عمار وسواهم.

---

42 - فهرس الفهارس 1/332-333
مدرسة الامام البخاري 1/240-242
الاعلام 2/250
النبوغ 1/215 — الكتاب الذهبي ص 165 و166

فيلسوف التاريخ ومؤسس علم الاجتماع ولي الدين عبد الرحمان بن خلدون الحضرمي دفين القاهرة 732-808 :

ومن أعظم من رحل في هذا العصر الى مصر ابن خلدون شارح البردة، ومختصر المحصل، وصاحب الشفا، والعبر الذي ملأ الدنيا وشغل الناس، وقد حل ابن خلدون بالقاهرة سنة 784 هـ وتصدر للاقراء بالازهر بناء على رغبة طلبته، كما علم بمدارس القاهرة كالقمحية سنة786، والصرغمتسية سنة791 هـ درس بها الموطأ ذاكرا طرقه إليها ومنها سند أبي البركات عندما درس عليه بالقرويين، وبذلك يكون ابن خلدون وصل بين فاس والقاهرة، وبين الازهر والقرويين: وبين علماء المغرب وعلماء مصر.

وقد ولي ابن خلدون قضاء المالكية بالقاهرة، وأخذ عنه رجالها وشيوخها: منهم العزابن جماعة، والشمس البساطي، والدماميني، والمقريزي العبيدي، والحافظ ابن حجر الذي قال من قصيدة يهنىء الخليفة المستعين العباسي ذاكرا فاس:

واستبشرت أم القرى والارض من

شرق وغرب كالعذيب وفاس[43]

وقد تميز هذا العصر بهجرة أسرة مغربية عالمة بأكملها إلى القاهرة حيث استوطنتها وأقامت بها، وهي أسرة النقاش الدكالي التي اشتهر منها ستة أعلام منهم: محمد بن علي بن عبد الواحد الدكالي المصري (ت 763) وولده أبو هريرة عبدالرحمان (ت 817) وقد ذكرهم الحافظ ابن حجر وأثنى على

---

43 - جامع القرويين ص 167 و168

علمهم وشهرتهم بالقاهرة في كتابه الشهير «الدرر الكامنة» كما ذكرهم صاحب «الضوء اللامع» وكان لهم دور بارز في ربط الصلات الثقافية بين المغرب ومصر.[44]

في القرن التاسع الهجري :

شيخ الاسلام وحافظ المغرب أبو القاسم عبد العزيز بن موسى العبدوسي الفاسي ت 847 هـ

ولد في بيت علم بفاس وتخرج على والده الامام الشهير موسى العبدوسي، ورحل الى تونس وروى فيها وسمع من شيخها محمد بن القاسم الرصاع، ثم رحل الى الحج وقصد مصروأقام بها يدرس ويحدث حتى اشتهر بينهم وتعجبوا من حفظه المتين للأحاديث وعالي فهمه ودقيق إدراكه.[45]

الشيخ الفقيه الصوفي أبو العباس أحمد بن أحمد زروق البرنسي الفاسي الملقب بمحتسب الاولياء والعلماء 846-899

تعلم على شيوخ بلده وعلمائها، ثم سافر الى الشرق فحج وأخذ من علماء الحرمين الشريفين، وقصد مصر فروى فيها وسمع وأخذ عن محدثيها وشيوخها منهم الحافظ السخاوي، والحافظ الديمي، والثعالبي، والمشدالي، والرصاع وسواهم. كما

44 - «دور أعلام من ركالة في ربط الصلات بين المغرب وجهات من العالم الاسلامي» للاستاذ محمد المنوني، دعوة الحق، ع 251 غشت 1985 ص 23-31

45 - الكتاب الذهبي ص 169-170

فهر الفهارس 138/136/2

أخذ عنه الحافظ ابن حجر، والشمس اللقاني، والحطاب، والخروبي وغيرهم.

له آثار مهمة أهمها حاشية على صحيح البخاري طبعت مع متن البخاري في خمسة أجزاء باشراف شيخ الازهر، و«النصيحة الكافية» أنجزها برواق الريافة من الجامع الأزهر سنة 877 هـ، وشروح للحكم العطائية أو صلها بعضهم إلى تسعة وعشرين شرحا.[46]

في القرن العاشر الهجري :

الشيخ الراوية المحدث المشارك عبد الرحمان بن علي سقين العاصمي الفاسي ت 956

تعلم على شيوخ بلده وعلمائها ثم رحل الى الشرق فحج وزار السودان وعلم بها وروى ثم سافر الى مصر وروى عن شيوخها وخاصة أصحاب الحافظ ابن حجر ورووا عنه ونال بها حظوة حتى استدعاه ملكها للحديث بمجلسه وقد بقي بها مدة ثم عاد إلى المغرب.[47]

46 - طبقات الشاذلية الكبرى 123-126
فهرس الفهارس 1/341 و 342
النبوغ 1/208
مدرسة الامام البخاري 1/243 و244
شجرة النور الزكية ص 268
47 - النبوغ المغربي 1/246

الامام العارف الشيخ ابو عيد محمد بن ابي بكر الدلائي (ت 967)

تربى في حجر والده الشيخ الكبير ورحل الى فاس وأخذ عن علمائها وخاصة القصار، ثم رحل الى الحج واتجه الى مصر ولقى بها الشيخ زين العابدين البكري وأخذ عنه وعن غيره، فعلا سنده وكثرت روايته، واشتهر بالحفظ والاتقان حتى شبه برجال الصحيحين.[48]

وننوه هنا بالتواصل الكبير الذي تم بين شيوخ مصر وبين الملك العظيم أحمد المنصور الذهبي الذي وجه استدعاء الى الامام القرافي والشيخ البكري للاجازة له، فبادر الشيخ البكري الى كتابة الاجازة للسلطان بتاريخ 992 هـ والتي يقول فيها:

«فمولانا مجاز من هذا العهد من جميع ما يجوز لهذا العبد بجميع ما يجوز له وعنه روايته بشرطه المعتبر عند أهل الامر»

كما أجاز له الامام القرافي إجازة عامة بسط فيها القول ثم ختمها بقوله:

أجزت لمن تفضل واستجازا
وبادر لاقتنا خير وحازا
وأبرز في سلوك العلم جالا
به من فضل مولانا يجازا
إمام كامل غوث البرايا
أمير المومنين حوى مجازا
وذلك بعد تشريفي بأمر
وقصد للاجازة واستجازا[49]

48 - فهرس الفهارس 1/294-296

49 - أنظر نص الاجازتين كاملا في كتابنا مدرسة الامام البخاري 1/294-296

في القرن الحادي عشر الهجري :

الشيخ المفتي الخطيب أحمد بن محمد المقري التلمساني دفين مصر 986-1041

قدم إلى فاس وبها تعلم ودرس ثم قصد مراكش للأخذ عن شيوخها ثم عاد الى فاس فصارت اليه الفتوى بها والامامة والخطابة، وقد حج وأعلى بالحرمين الشريفين وبجامع بني أمية، ثم قصد مصر حيث درس بها وروى وحدس إلى أن توفاه الله بها.[50]

الامام المحدث القدوة العارف أبو العباس أحمد بن أبي عبد الله محمد بن ناصر الدرعي التمكروتي (1057-1129)

محي السنة وناصرها والداعي الى إحيائها وحفظها، كان قائما على البخاري، وغيره من الكتب الستة وأسس مكتبة يضرب بها المثل، وكان كثير الرحلة الى المشرق وخاصة الحرمين الشريفين ومصر، حتى يقال انه اشترى أكثر من مائة مثقال ذهب من الكتب بمصر.[51]

---

50 - الكتاب الذهبي ص 171

51 - طلعة المشتري 87/2-90

فهرس الفهارس 162/2 و163

في القرن الثاني عشر الهجري :

الشيخ العلامة المحقق محمد بن الحسن البناني ت 1194 هـ

إمام المسجد الادريسي وخطيبه ومدرسه، لشتهر بقراءة التفسير والحديث وخاصة صحيح البخاري، وقد حج ورحل الى مصر وأخذ عن شيوخها وعلمائها أمثال الشمس الحفني، والشهب الثلاثة: المحدث أحمد بن مصطفى الصباغ، والجوهري، والملوي وسواهم.(52)

الشيخ الفقيه المحدث أبو عبد الله محمد التاودي بن الطالب بن علي بن سودة المرى الفاسي 1111-1209

أخذ عن شيوخ وقته وتخرج بهم ثم حج وروى وسمع من علماء الحرمين الشريفين، وزار مصر وأقام بها يدرس الموطأ بالازهر الشريف، كما سمع عليه الكثير من علمائها أوائل الكتب الستة والشمائل والحكم وغيرها.

وقد سمع من شيوخ مصر وعامائها ورووا عنه وأخذوا وتدبج معهم، أمثال العدوى، وأبي العباس الدمنهوري، والسمان، والملوي، والشيخ الامين والشيخ مرتضى الزبيدي الذي قال عنه:

ومنهم محمد بن البـ
التاودي العدل ذو المواهب
أجازني بكل ما يرويه
من كل ما يفيد أو يمليه(53)

52 - فهرس الفهارس 1/ 162 و163

53 - مدرسة الامام البخاري 1/256-259

في القرن الثالث عشر:

الامام المحدث المسند الرحلة أبو عبد الله محمد بن عبد السلام بن ناصر الدرعي ت 1239-1824

أعلم علماء البيت الناصري بالحديث والفقه، وأوسعهم رواية، وأجسرهم قلما، وأعلاهم إسنادا، يروى على جلة شيوخ المغرب وفاس خاصة، حج ورحل الى البلاد المشرقية وتوجه إلى مصر مرارا وروى عن شيوخها وسمع منهم، وحدث بها وأخذ عن الشمس محمد الجوهري المصري، وسليمان الجمل، والشهاب أحمد البجيرمي، ومحمد المنير، وحسن الجداوي، وأحمد السمودي وغيرهم، وخاصة الحافظ مرتضى الزبيدي الذي أجازه نظما ونثرا.(54)

في القرن الرابع عشر الهجري:

الشيخ المربى الصوفي إمام السنة وجبلها أبو المفاخر عبد الكبير بن محمد بن عبد الكبير الحسني الادريسي الكتاني 1268-1333

تربى في أحضان والده وروى عن اعلام فاس وشيوخها، وحج مرتين ودخل مصر وأقام بها ودرس بجامعها الازهري، ولقي شيوخه ورووا عنه كما روا عنهم، امثال الشيخ ابراهيم السقا والشيخ محمد عليش، والشيخ عبد القادر بن عبد الوهاب الاسكندري وسواهم.(55)

---

54 - فهرس الفهارس 2/219-223
مدرسة الامام البخاري 2/514-515

55 - فهرس الفهارس 1/185-190

الشيخ الشهيد المجدد المحدث أبو الفيض محمد بن عبد الكبير الكتاني 1290-1327

نشأ في حجر والده وبرعائته وعنايته، وحفظ القرآن وأمهات الكتب والمتون وفي مقدمتها الحكم العطائية، ولازم شيوخ القرويين فسمع منهم وأخذ عنهم.

وحج واتصل بقادة الدعوة الاسلامية بالمشرق، وأخذ عن علمائها وأقام بمصر مدة لقي فيها شيوخها ودرس الصحيح بجامعها الازهري بمحضر شيوخه وعلمائه راويا سنده العالي اليه، فبهر الحاضرين بعلومه، وأسرهم بحفظه وادراكه، حتى قال عنه الشيخ أحمد الشامي:

والأزهر المعمور من درسه
قد كاد من فرح به ان يطر

واستجازه كثير من علماء الازهر ورووا عنه سنده العالي وفي مقدمتهم الشيخ علي الببلاوي المالكي، والشيخ محمد محمود الشنقيطي، ومفتى الديار المصرية الشيخ عبد القادر الرافعي الحنفي، والشيخ السقا، والشيخ المرجى وسواهم كثير.[56]

56 - الشيخ محمد الكتاني الشهيد، محمد الباقر الكتاني ص 95 و98
مدرسة الامام البخاري 2/519-527

الشيخ المحدث الراوية أبو مدين شعيب بن عبد الرحمان الدكالي الوزير العلامة الكبير (ت 1295-1356)

ولد في بيت علم وفضل كان أفراده شيوخه الاساسيين، بدأ يحفظ القرآن وأتقن القراءات، ثم اتجه الى الحديث فصار فيه حافظا ولرواية متقنا، ثم رحل الى مصر والتحق بجامعتها الازهرية ولازم شيوخها وعلماءها وأخذ عنهم، أمثال الشيخ على الفولاني، واشيخ علي الصالحي، والشيوخ الرفاعي والبشري وبخيت وسواهم مما روى عنهم وأجازوه.

لقد كان الشيخ شعيب دائرة معارف حية متنقلة مفيدة، ومدرسة علمية ممتازة دائبة شملت المغرب كله مدنه وحواضره وبواديه وقراه، كما شملت الحرمين الشريفين ومصر وتونس وسائر البلاد التي زارها وانتقل اليها.[57]

وقد تعزز تواصلنا الثقافي في هذا القرن بأنواع أخرى من الصلات الفكرية والثقافية تمثلت في تبادل العلماء والمفكرين بين مؤسساتنا الاكاديمية والعلمية ومشاركتهم فيها، أمثال الاستاذ محمد الفاسي والشيخ عبد الله كنون اللذين توالى عطاؤهما ومشاركتهما في مجمع اللغة العربية، وكان الاستاذ كنون أستاذا محاضرا في معهد الدراسات العربية عن الادب المغربي الحديث طبع في كتاب بهذا الاسم، كما توالت الوفود العلمية الثقافية بين مصر والمغرب مشاركة في المؤتمرات

57 - معجم الشيوخ - عبد الحفيظ الفاسي 141/2
الشيخ ابو شعيب الدكالي، الشيخ إبراهيم بن محمد الكتاني - مدرسة الامام البخاري 268/1-274

الاسلامية والعلمية كمؤتمر السنة والسيرة بالقاهرة الذي مثل المغرب فيه بوفد من العلماء كان لي شرف تمثيل بلادي فيه سنة 1985.

وندوة السيرة النبوية التي أقامتها جمعية أبي رقراق سنة 1987 والتي شارك فيها وفد من العلماء والاساتذة المصريين، كما يشارك في أكاديمية المملكة المغربية مشاركة فعالة ثلة من المفكرين والعلماء أمثال المرحوم الدكتور عبد المنعم القيسوني، والدكتور محمد حسن الزيات وسواهم.

شهادات

لقد تعددت شهادات الواردين على القرويين والزائرين لها (والملمين بها) على فضلها وفضل علمائها وشيوخها عليهم، وعلى تنمية معلوماتهم ومعارفهم، وكونهم كانوا الجسور الرابطة والموصلة خاصة بين مصر والمغرب، وأنهم رسل الاشعاع العلمي والفكري في ربوعه، وسنقتصر هنا على بعض تلك الشهادات استدلالا وتأكيدا لما أشرنا إليه.

شهادة جلالة الملك محمد الخامس

ألقى جلالة الملك محمد الخامس في افتتاح الاحتفال بمرور المائة بعد الالف على تأسيس جامع القرويين جاء فيه قوله:

«لقد ظلت فاس إحدى حواضر الاسلام الكبرى، وقواعد العروبة العظمى. ومنارا سامقا يهدي رواد المدنية، وموردا عذبا ينهل منه طلاب المعرفة في شتى الاقطار.

شهادة روني ماهو، مدير اليونسكو

«إن هذه الوحدة العميقة والرابطة القوية التي تلم شعث تاريخكم، وتحفظ كيان مجتمعكم ومظاهر ثقافتكم، وتقوم شاهدا على إيمانكم، تطبع جامعتكم بطابعها الفريد الذي ما تزال محتفظة بقيمته حتى الآن»[58]

شهادة الاستاذ عزيز أباظة

باسم مجمع اللغة العربية

إننا معشر المسلمين ندين لجامعة القرويين ولشقيقاتها الزهر بأمرين عظيمين: أولهما انتقال فيض من إشراقات هذه المعاهد إلينا رسخ في نفوسنا العقائد العصم، وأصل في أذهاننا وألبابنا معاني الشريعة السمحة. وثانيهما حرص القرويين وشقيقاتها على العناية بلغة القرآن الكريم مبشرة بها ذابة عنها، وعندي أن الحفاظ على لغتنا شأن لا يقل جلالا وتساميا عن احتفاظنا بشعائرنا وعقائدنا.[59]

شهادة الدكتور محمد البهي، مدير جامعة الازهر

إن جامع القرويين في رسالته حمل مقومات الثقافة، للمجتمع العربي وللوطن العربي، وهو من أجل ذلك يعد مركز هذا التراث الاصيل الذي تدور على أساسه حياة العرب في توجيههم وفي سعيهم في الحياة.[60]

58 - من خطابه في ذكرى القرويين المائة بعد الألف

59 - الكتاب الذهبي ص 50

60 - جامعة القرويين واسهامها في حفظ التراث الاسلامي للدكتور محمد البهي

شهادة الدكتور احمد مختار العبادي

«إن سقوط غرناطة لم يحل دون استمرار الحركة العلمية في المغرب» بل بالعكس زادت هجرات العلماء الاندلسيين الى فاس فأصبحت جامعة القرويين هي المشعل الذي يهتدي بنوره المسلمون»[61]

شهادة الاستاذ أنور الجندي

لقد كانت جامعة القرويين تقف دائما كالمنار العالي في حياة المغرب كله، وترسم صورة العمل الضخم الذي حققته هذه الجامعة الجبارة التي حملت أمانة حماية اللغة العربية، وقاوم رجالها ثلاثة أخطار كبرى: هي محو اللغة العربية وتشويه الاسلام وإيهام ضعاف العقول بأن مبادئه تتنافى مع العلم والترقي، وتمزيق وحدة الشعب عن طريق دعوات الادماج والتجزئة.[62]

تلك لمحة موجزة وجولة مركزة عبر تاريخنا الثقافي والفكري من خلال جامعتي الازهر والقرويين اللتين ظلتا قلعتي أصالة وصمود، ومنارتيي اشعاع ديني وعلمي لا في بلادنا العربية والاسلامية بل في افريقيا وغيرها، قصدت من ورائها التدليل على تواصل العلاقات الثقافية والصلات الفكرية بيننا طوال أكثر من ألف عام، وقد جاءت رحلتنا هذه لتؤكد تلك العلاقات وتوطد تلك الصلات.

61 - العلاقات الثقافية بين غرناطة وفاس للدكتور أحمد مختار العبادي

62 - أثر القرويين في حماية اللغة العربية للاستاذ أنور الجندي

وليأذن لي إخواني هنا في مصر الشقيقة أن أنقل اليهم تحية كريمة من إخوة أشقاء أعزاء في جامعة القرويين العتيدة، تحية ملؤها المحبة الصادقة، والود الشامل، والاماني الصادقة، بأن نبقى بحول الله على الدوام يدا واحدة وقلبا واحد وفكرا واحدا وصفا واحدا.

راجين أن تكون رحلتنا هذه التي أسسنا فيها جمعية الاخاء والصداقة المصرية المغربية عاملا أساسيا وحافزا قويا على توثيق صلاتنا وتأكيد علاقاتنا، حتى نكون في مستوى طموح شعوبنا وقادة وامتنا التي تفردت بين الامم بأنها تعيش بماضيها لمستقبلها، وتنطلق من أمسها الرائع الى غدها المشرق بإذن الله.

الرباط

يوسف الكتاني (*)

(*) ـ محام وأستاذ بكلية الشريعة / فاس

العبدري واتجاهه الأدبي من خلال رحلته (1)

محمد بن عبد العزيز الدباغ

لا تقاس حياة الانسان بالمدة الزمنية التي عاشها، وانما تقاس بمقدار ما استفاده من وجوده في هذه الحياة. ففرق كبير بين انسان خامل لم يعش ال ايامه المحدودة المعدودة، وبين انسان واع اضاف الى حياته حياة من سبقوه، واضفى على واقعه دنيا متحركة صاخبة فتحركت في اعماقه ذكريات جعلته يعيش اعمار الماضين في مختلف حقبهم فطويت له الأيام والسنون، واستطاع ان يجعل الزمن طوع يديه يتصرف فيه حسب امكاناته ويسخره لمنفعته ومنفعة غيره.

ضمن هذه الخاطرة نستطيع ان نضع بعض علمائنا وأدبائنا وبعض قادتنا عبر التاريخ في معيار دقيق نجعل بواسطته النقد

---

1 - ننبه القراء إلى أننا سنربط النصوص داخل هذا البحث برقمين: الأول منهما يشير إلى الرحلة المطبوعة بتحقيق الاستاذ محمد الفاسي والثاني إلى النسخة المخطوطة بخزانة القرويين المسجلة تحت عدد 567.

النزيه حكما مطاعا. وضمنها ايضا يمكننا ان نضع التاريخ نفسه في مكان الزيادة التربوية لتهذيب الانسان وتربيته وتطوير سلوكه خصوصا اذا كان ذلك التاريخ يمثل جوانب النشاط الفكري والثقافي، ويصور احداثا سياسية واجتماعية قد تختلف تفسيراتها باختلاف زمنها أو اختلاف مدونيها.

وخير مثال على ذلك ما كان يجري على اقلام الرحالة المغاربة وغيرهم من خواطر، وما كانوا يسجلونه من وقائع، وما كانوا يلتقطونه من ملاحظات ويقتطفونه من مساجلات ومشاهدات ففي ذلك من الزاد الثقافي ما يعين على التأمل وما يقوي حاسة النقد وما يدفع الى الموازنة والمقارنة.

وقد شعر كثير من رجال الفكر والادب بقيمة ما سجله هؤلاء الرحالون في كتبهم وما دونوه في رحلاتهم فعملوا على اخراجه وتحقيقه للاستفادة منه ولتوظيفه في المجال العلمي والأدبي والاجتماعي. اذ لا مجال للاستفادة من الماضي الا باسترجاع ما دون فيه واخضاعه لمحك النقد واستغلال معطياته لصلحة المستقبل. فكثير من الاخطاء لا تظهر حين ارتكابها ولكنها قد تظهر بعد حين.

هذا زيادة على ان اساليب التدوين تختلف باختلاف مدونيها لذلك كانت دراسة هذه الرحلات رهينة بالبحث عن شخصية من دونوها لمعرفة اخلاقهم وللاطلاع على مستواهم العلمي وعلى مدى ما يملكون من مؤهلات الاخبار وبذلك يمكن الحكم عليهم من حيث الصدق والكذب والمغالات والتقصير والذكاء والغباوة والسماحة والتعصب والجهل والعلم وغير ذلك من الصفات التي تجعلنا نقبل ما دونوه او نرفضه.

ومن فوائد الاطلاع على هذه الرحلات التمكن من معرفة الروابط التي كانت تربط بين الدول والأقاليم في شتى الميادين ولهذه الاسباب كانت العناية موجهة في المغرب من لدن ابائنا ومؤرخينا على نشر بعض هذه الرحلات والترجمة لاصحابها وكان من بين المهتمين بذلك الاستاذ محمد الفاسي الذي اسهم اسهاما مباشرا في تحقيق رحلات حجازية ورحلات سفارية ورحلات سياحية افادت كثيرا من القراء في الاطلاع على نصيب وافر من تاريخ المغرب وتاريخ بعض الدول الشرقية أو غيرها.

ومن الرحلات التي نشرها حينما كان رئيسا لجامعة محمد الخامس بالرباط عام 1968 رحلة ابي عبد الله محمد بن محمد العبدري الحيحي المعروفة بالرحلة المغربية وهي رحلة حجازية قيمة اعتمد في تحقيقها على نسخ كثيرة منها النسخة الموجودة بخزانة القرويين المحفوظة تحت رقم 567.

ومما تمتاز به هذه الرحلة ان مؤلفها رجل قوي الشخصية، حاد الطبع، كثير النقد، لا يجامل في المواجهة، حريص على المعرفة، متتبع لمجالس العلماء، لا يقتصر على الأخذ منهم لأنه كان يريد أن يأخذ ويعطي ويتعلم ويعلم. وكان يعتز بأدبه وعلمه لا مباهاة بما يعرف ولكن املا في أن لا تضيع توجيهاته وتأويلاته التي كان يتوصل اليها باجتهاده وحدقه.

كان هذا الرحالة المغربي يغضب للحق وينصره ويتألم كلما رأى باطلا يتعالى أو ظلما يتطاول، ونستشف من خلال ما كتب انسانا يحب العلم وينتصر للعقيدة السنية، انسانا يتغنى بالبطولة ويلتذ بالحكمة ويعجب بالعبقريات ويؤيد الوحدة ويكره التفرقة ويأسف على ما اصيبت به بعض المدن الاسلامية من الانحطاط والانهيار.

وهو في الوقت ذاته يمتاز بذوق ادبي رفيع ويملك قدرة فائقة على التصرف في قواعد اللغة العربية واستخدام اصول بيانها. الشيء الذي اعانه على تتبع اخطاء بعض الادباء والعلماء أو على ابداء توجيهات اخرى مخالفة لتوجيهاتهم ومغايرة لاختياراتهم. وكان يعتز بالرواية ايما اعتزاز ويفتخر بالاخذ عن بعض العلماء ويتسلسل بعض ما يتلقاه منهم وارجاعه الى مصادره الأولى كما كان يلتذ بالسماع للكتاب الواحد من علماء تختلف درجاتهم واقاليمهم لتقوى بذلك ملكته وليعرف وجوه المعاني للموضوع الواحد من افواه مختلفة وستجد ضمن ما سنقدمه بعض الامثلة الدالة على ما توصلنا اليه من الاحكام المجملة التي وصفنا بها هذا الرحالة المغربي القدير الذي بدأ رحلته من حاحة في الخامس والعشرين من ذي القعدة عام ثمانية وثمانين وستمائة فمر على منطقة سوس ما بين الاطلس الكبير والصغير قاطعا الجنوب المغربي من الغرب الى الشرق منعطفا على طريق تلمسان التي توجه اليها واعجب بها وببعض اعلامها فاقام بها طويلا ولم يغادرها الا في الخامس عشر من شهر ربيع الاول من عام تسعة وثمانين وستمائة ومنها توجه الى مدينة تونس ومنها توجه الى القيروان ثم الى قابس ثم الى طرابلس ثم الى برقة ثم الى الاسكندرية ثم الى القاهرة.

ومن القاهرة قصد مكة المكرمة فوصل الى المحصب يوم الاثنين سابع ذي الحجة من عام تسعة وثمانين وستمائة ثم رحل من الغد وهو يوم التروية ال منى وفي هذا اليوم دخل الى البلد الامين.

وبعد قضاء مناسك الحج توجه الى المدينة المنورة على صاحبها افضل الصلاة والتسليم فوصل اليها يوم الاثنين الثامن والعشرين من ذي الحجة ثم رحل منها يوم الاربعاء الموفي لذي الحجة قاصدا مدينة الخليل فوصل اليها بعد ثمانية ايام من رحيله ومن الخليل توجه الى بيت المقدس ومنه الى القاهرة ثم شرع في الرجوع الى بلاده عن طريق تونس والجزائر ووصل الى مدينة تازا في أواخر رمضان عام تسعين وستمائة وعيد بمدينة فاس ثم رحل منها الى ان وصل الى مدينة ازمور ثم الى مدينة اسفي وعند وصوله اليها قال في رحلته: «وختمت الرحلة بزيارة قبر شيخ الصالحين وقدوتهم شرف المغرب الاقصى وفخره، وشمس زمانه وبدره ابي محمد صالح بن ينصار أفاض الله علينا من بركاته، ومد بصائرنا بنور يستمد من مشكاته ثم من الله علينا بجمع الشمل، والاجتماع بالاهل، له الحمد والشكر كثيرا.

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما يظنان كل الظن ان لاتلاقيا

والحمد لله الذي اعجزت صنائعه شكر الشاكرين، وبهرت بدائعه فكر المتفكرين، فمن نداه همي كل فضل وبلا وجودا وله الحمد كثيرا بدءأ وعودا (مط ص 280 مخ 306)»

ولعل ما تحتوي عليه هذه الرحلة من دقة الاخبار وجمال التعبير وقوة الصراحة كان من عوامل اختيارها لطلبة السلك الثالث بقسم اللغة العربية من كلية الآداب جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس فقد قدم حولها الاستاذ المحاضر العالم السيد عبد القارد زمامة دروسا قيمة كان الهدف منها ابراز قيمة هذه الرحلة في المجال التاريخي والادبي وتعويد الطلبة على مواجهة

النصوص الغنية المتينة ومحاولة استيعابها والاستفادة من موضوعاتها ويرجع اهتمام الاستاذ زمامة بهذه الرحلة الى زمن طويل فقد نشر حولها عام 1961 بحثا جادا بمجلة دعوة الحق بعدديها الثاني والرابع من سنتها الخامسة خص القسم الاول منه لترجمة هذا الرحالة والقسم الثاني لبعض مشاهداته ومدوناته.

وانه ليحق لكل ذي ذوق أدبي ولكل ذي رغبة في المعرفة ان يجعل من مصادر معرفته ما تحتوي عليه هذه الرحلة من وصف وما تتطرق اليه من موضوعات وذلك نظرا لكون مؤلفها قد تحدث فيها عن كثير من الشخصيات العلمية ذات القيمة الادبية او الفقهية أو غيرها ولكونه كان يبحث عن أهل العلم للاستفادة منهم من جهة ولاطلاعهم على ما توصل اليه هو بفهمه وادراكه من جهة اخرى الا انه كان يصاب بخيبة أمل كلما دخل مدينة أو قرية فلم يجد فيها ما يحقق رغبته. فكثير من القلق الذي كان ينتابه في رحلته وكثير من الانفعال الذي كان يتجلى في كتاباته كان مرجعه الى امرين: اما الى انعدام اهل العلم بالمرة واما الى تصدر بعض الادعياء في العلم دون ان يجدوا رادعا وقد اظهر في رحلته جانبا من الامرين معا.

كان العبدري اذا دخل مدينة فلم يعثر فيها على عالم سخط وغضب وأبدى من اجل ذلك اسى كبيرا وأسفا عميقا واعتبر ذلك المكان كأنه معدوم بالمرة اذ لا وجود لمكان علا فيه الجهل وخلا من العلماء ويزيد اساه حدة اذا كان لذلك المكان ماض مجيد فهو قد سافر على اساس انه راغب في المعرفة. آمل في الاستزادة منها فاذا فوجئ بخلو المدن التي زارها من اهل العلم اضطربت نفسه وضاق صدره وسجل اضطرابه وانفعاله باسلوب عنيف قد يصل الى حد الهجاء.

ولعله كان يقصد من وراء ذلك رفع همة سكان تلك المدن ليراجعوا احوالهم وليبحثوا عن طريق خلاصهم من الجهل فلا حياة لهم اذا ظلوا على ما هم عليه من اهمال الطلب وهذا سبب من الاسباب التي يمكن ان نفسر بها حدة اسلوب العبدري. فالذين يتحدثون عنه يذكرون انه كان ذا لسان مقذع وانه كان سبابا ولكن اذا علمنا ان الرغبة في اصلاح تلك المدن والاقاليم وان حماية الفضيلة والحرص على نيوعها وان اظهار الواقع على ما هو عليه كان من اهدافه فيما كتب زال عجبنا ولم يبق لاتهامه بالقساوة والشدة أي مبرر وقد افصح هو بنفسه عن هذه الغاية في مقدمة كتابه حيث قال: (ط ص 2- مخ 3)

«وربما حمل الامتعاض لحزب الفضائل، على فرط تحزب وتألب على فئة الرذائل، فيقع في اللفظ اقذاء واقداع، ويرسم في باب الهمز تمكين مد واشباع ، لا جهل بمواقع الإغضاء من اخلاق ذوي الالباب، ولا ميلا الى ما عابه الشرع من مذموم الاغتياب، وانما هو لغرض صحيح لا يرمى بسهم التقبيح، وهو اعطاء ذي الحق حقه، والا تكون الفضائل لغير اهلها مستحقة، فيكون الفاضل في الوصف مبخوسا. ويرى الناقص في غير منبته مغروسا، وقد يردع المسيء عن اساءته، ما يرى ويسمع من مساءته، ومن التأديب كل ما كف المرء عن زلله، ونية المومن أبلغ من عمله وعلى اني يعلم الله قل ما امتعض لنفسي، أو أزجر في عرضها عنسي، وما اغريت قلمي بالانتصاف ولا اعملته في ذكر ذميم الاوصاف الا لحرمة من الفضل اشلاؤها ممزعة، أو وظيفة من الشرع احكامها مضيعة».

فنحن من خلال هذا النص نرى ان اسلوب العبدري صورة من نفسه وانه مخطط قبل استعماله لم يكتب ما يكتب اعتباطا ولكنه كان يكتب وفق اتجاه تربوي يومن به فهو يرى ان تقويم المنحرف يتطلب زجره ويدعو الى ردعه بأية وسيلة وان نشر الفضائل يقتضي مدح اصحابها وتزكية المتحلين بها.

وهذه النظرة التربوية جعلته يومن بالانسان ويحترمه مادام الانسان ملتزما بالفضيلة فاذا حاد عنها ولم يجعلها شيمته الصالحة فإنه يستحق كل ذم وتحقير. ولهذا كان يهجو الظالم ويهجو الجاهل ويستصغر كل مكان خلا من أهل العلم والعدل.

ان اسلوب العبدري اسلوب هادف لا ينفصل عن شخصيته ولا يبعد عن اخلاقه فهو مترابط متناسق لا ينفصل عن معناه ولا يقع اي تنافر بين معناه ومبناه. انه اسلوب توجيهي بعيد عن النفاق خال من المدارات ولا ادل على ذلك من انه حينما يجد ما يوافق رغبته ينطلق لسانه بالمدح والاطراء وينشرح صدره ازاء كثير مما يرى ويسمع فالاعتبار الاعظم عنده لا يتعلق بالاشياء وانما يتعلق بالانسان حسب ما فسرنا من قبل. ذلك ان المظاهر الطبيعية والعمرانية قد تبقى بعد اندثار الانسان وقد تكون دليلا على جمال الاقليم أو على نصاعة التاريخ ولكنها لا تكون لها قيمتها الحقيقية الا اذا استغلها الانسان الحاضر استغلالا بناء هادفا لتحقيق المستقبل الزاهر والا فانها ستظل تعبيرا خاليا من الروح ويمكن ان ناخذ جانبا وصفيا من رحلته يتعلق بوصف مادي لعين من الماء توجد بمكانين زارهما بعد خروجه من بجاية فقد مر على بني أورار وعلى ميلة فقال (31 مخ 35) «وفي كلتيهما عين تسح وعنصر يجود ولا يشح وبنو أورار اعمر المحلين وعينها اغزر العينين تسقي البلاد نهلا وعلا وتفيض عليه غللا

يشفي غللا. وعين ميلة في داخل البلد ليست بفيض ولا ثمد وقد طويت طيا بديع الاحكام وبنيت بنيانا يدل على فرط اعتناء واهتمام تقف عليه النواظر وقوف لستغراب تصفه الالسنة على جهة الاغتراب وكفى ببلد خلاء وفناء ان لا يحوي ما يوصف الا ماء وبناء».

ان هذه العبارة الاخيرة هي خلاصة رأي العبدري في حكمه على المجتمعات التي زارها وهو رأي له ما يبرره عند رجل يومن بالانسان الصالح النافع ويزدري كل انسان لم يقم بواجبه في أي مجال من المجالات فهو يهجو أهل الظلم من الولاة والحكام ويهجو المدن التي تخلو من أهل العلم والحكمة.

وكان فيما يكتب حريصا على ان يكون الكلام منسقا يعتمد على السجع غير المتكلف ويقتبس كثيرا من المعاني من امثال العرب وحكايات التاريخ وآيات القرآن واحاديث الرسول وقواعد النحو والبلاغة والعروض بحيث يجد القراء الذين لهم خبرة بهذه العلوم والفنون متعة فيما يقرؤون ويلتذون بكثير من فقرات كتابه فلا ينتهون منه الا وهم مبتهجون.

هذا وان رقة عواطفه وجمال نفسه ودقة خبرته لتجعله قوي الملاحظة يتتبع انتاج الادباء والعلماء وينقده نقدا لا يعتمد على الذوق فقط ولكنه يعتمد على أصول واضحة وسيتجلى لنا ذلك في بعض الامثلة التي سننتقيها من رحلته هاته فهو مثلا حينما كان بتلمسان التقى بالشاعر ابي عبد الله محمد بن خميس ذلك الشاعر الجزل العبارة الذي كان يسير على نسق الشعراء العرب الذين يعنون باللفظ والذين يختارون في كثير من الاحيان ما يكون غريبا فقد وجد منه العبدري خير أنيس نظرا لما كان يتحلى به من الصفات المتلائمة مع طبيعته فهو قوي العبارة جميل الذوق لا يبالي بزخارف الحياة.

قال العبدري بعد ان وصف حال تلمسان وما اصيبت به بعد تغير الزمان: (ص 13 مخ 17) «وكنت حين وردتها قد اقمت بها مدة منتظرا للركب فكنت آنس بابن خميس واكثر مجالسته ومفاوضته واعجبني ذهنه وحاله فلني وجدته على حال انزواء وتقلل من الدنيا».

ولم تخل مجالسهما من حوار ادبي ومن انشاد للشعر ومن مناقشة بعض معانيه وصيغه وقد سمع العبدري من ابن خميس قصائد شتى ومقطوعات متعددة نكر بعضها في رحلته هاته فقال : وقد انشدني ابن خميس كثيرا من شعره فمن ذلك قوله في قصيدة : (ص 14 مخ 18)

ومن العجائب ان اقيم ببلدة	يوما واسلم من انى جهالها
شغلوا بدنياهم اما شغلتهم	عني فكم ضيعت من اشغالها
حجبوا بجهلهم فان لاحت لهم	شمس الهدى عبثوا بضوء نيالها

ومن ذلك قوله :

انبت ولكن بعد طول عتاب	وطول لجاج ضاع فيه شبابي
ومازلت والعليا تعني غريمها	اعلل نفسي دائما بمتاب
وهيهات من بعد الشباب وشرخه	يلذ طعامي أو يسوغ شرابي
خدعت بهذا العيش قبل بلائه	كما يخدع الصادي بلمع سراب
تقول هو الشهد المشور جهالة	ولكنه السم المشوب بصاب

وهي قصيدة فيها لوعة من الاسى تتدفق من نفس الشاعر فيعبر بها عن إحساسه ازاء الحياة وما يعتريها من نوائب. وانساق بعد هذه الابيات لذكر شواهد من الماضي، تثبت حقيقة هذه الدنيا، وتظهر ما يعتريها من تقلبات فقال : (ص 15 مخ بتر)

ولكنها الدنيا تكر على الفتى وان كان منها في اعز نصاب
وعادتها الا توسط عندها فاما سماء او تخوم تراب
ولا ترج من دنياك ودا وان يكن فما هوالا مثل ظل سحاب
وما الحزم كل الحزم ال اجتنابها ولشقى الورى من تصطفي وتحلبي
ابيت لها مادام شخصي ان ترى تمر ببالي او تطور جنابي
فكم عطلت من اربع وملاعب وكم فرقت من اسرة وصحاب
وكم عفرت من حاسر ومدجج وكم اشكلت من معصر وكعاب

الى ان يقول:

ولا تحسبوا اني على الدهر عاتب فاعظم ما بي منه ايسر ما بي
وما اسفي الا شباب خلعته وشيب ابى الا نصاب خضاب
وعمر مضى لم اخل منه بطائل سوى ما خلا من لوعة وتصاب
ليالي شيطاني على الغي قادر واعذب شيء محنتي وعذابي
عكسنا قضايانا على حكم عادنا وماعكسها عند النهي بصواب
على احمد المختار ازكى تحيتي فتلك التي اعتد يوم حسابي

ان هذه القصيدة تنبعث من نفس صادقة وتصور نزعة اسى يحس بها من يغادر أيام شبابه دون ان يكون قد رضي عن اعماله في هذا الشباب وهي رغم جمالها ورغم تنسيق عباراتها وتوازن انغامها وتلاؤم موسيقاها احس العبدري بان مقطعها الاخير لا ينسجم مع ما قبله ولهذا قال بعد ذكرها (ص 15 بتر في المخطوط) هذه القصيدة مهذبة الالفاظ والمعاني الذ من نغمات المثالث والمثاني، الا ان مقطعها قلق ناب، لا يلين ولو مضغ بضرس وناب، وليس يلتئم بما قبله ولا يمتزج، ولا يزال السمع به يقلق وينزع».

وهو بهذه الملاحظة يعتبر من اهم النقاد الذين يرون ان الانسجام المعنوي ينبغي ان يكون اصلا في نسج القصيدة فليس هناك أي معنى لوضع مقطع لا يرتبط بما قبله لأن التدرج الى المقطع يجعل المستمع مستأنسا بما يسمع وقد خشي ان يكون حكمه مستعجلا غير مبني على ممارسة ومزاولة واختيار فذكر انه قرا القصيدة مرارا عساه ان يحس بالالتئام أو الالتحام فلم يشعر بذلك ولم يهتد اليه.

وهكذا نرى ان تدخله هذا تدخل ذوقي ذاتي متصل بالربط بين مجريات المعاني في حين اننا نراه يتدخل أحيانا تدخلا لغويا أو عروضيا مبنيا على قواعد مسطرة وقوانين معهودة من ذلك ان ابن خميس حينما قال:

ولكنها الدنيا تكر على الفتى وان كان منها في اعز نصاب
وعادتها الا توسط عندها فاما سماء او تخوم تراب

قال العبدري بعد ذلك : (ص15) «قوله فاما تخوم سماء او تخوم تراب الوجه فيه واما تخوم تراب بتكرير اما بعد حرف العطف وقل ما يؤتى بها غير مكررة الا نادرا كقول القائل :

اما فتى نال العلا فاشتفى او بطل «ذاق الردى فاستراح»

ومن الشعرالذي نكره العبدري في رحلته قول ابن خميس:

ويا برقا اضاء على اوال بما حيا متى جئت الشآما
اثغر امامة انت ابتساما ام الدر الا والي انتظاما
خفقت ببطن واديها لواء ولحت على ثنيتها حساما
امشبه قلبي الضنى احتداما على ماذنت عن جفني المناما
ولم أسهرتني وصددت عني خيالا كان ياتيني لماما

وقد عقب العبدري على بعض هذه الابيات بملاحظات شتى من ذلك انه قال ان الشاعر لم يحذف الف ما الاستفهامية من قوله على ما ذذت عن جفني المناما مع ان القاعدة تقتضي الحذف. (ص17+ مخ 19).

ثم قال: ولو حذف منها لصح الوزن وكان الجزء معقولا ولكنه زحاف قبيح ولو قال صددت أو طردت أو تذود أو نحو ذلك لسلم من الوجهين معا وتخلص من الصورتين جميعا وبالله التوفيق.

فبهذه الملاحظة أظهر ان الخبرة بعلم العروض ليست مقصورة على حفظ المصطلحات ولكنها مرتبطة ايضا بمدى الصلاحية لاستعمالها او اهمالها وان الشاعر بامكانه ان يحتفظ بجمال الايقاع وبالمحافظة على القواعد العامة فالعقل وهو حذف ثاني السبب الثقيل من مفاعلتن وان صح في الوافر عروضيا فإنه غير مستحسن ومما ينبغي ذكره ان ما سجله العبدري حول ابن خميس كان من اهم ما يعتد به من حاولوا الترجمة له او لأدبه خصوصا بالنسبة الى ايام فتوته الاولى فقد نقل الاستاذ عبد الوهاب ابن منصور في كتابه المنتخب النفيس من شعر ابي عبد الله ابن خميس المطبوع بمطبعة ابن خلدون بتلمسان عام 1365 هـ نصا من رحلة العبدري جاء فيه ان ابن خميس كان فتي السن وان مولده عام خمسين وفي هذا النص قال العبدري عن ابن خميس ما ياتي: له عناية بالعلم مع قلة الراغب فيه وحظ وافر من الادب، وطبع فاضل في قرض الشعر. وهي اوصاف دقيقة تدل على ان الحكم لم يرد من العبدري اعتباطا وانما كان مبنيا على تصور صادق ودراسة عميقة لادب هذا الرجل الذي لم يواته الحظ في حياته فانتقل من تلمسان الى سبتة ثم الى بلاد الاندلس حيث اتصل بالوزير ابي عبد الله ابن الحكيم فصار من اقرب

جلسائه الا ان الحياة لم تساله فسقط قتيلا في يوم هجم على الوزير بعض اعدائه فقتلوه وقتلوا بعض من كان معه ومنهم ابن خميس وذلك ضحوة يوم عيد الفطر مستهل شوال ثمان وسبعمائة.

هذا وان من أراد ان يطلع على قدرة هذا الشاعر وعلى ما كان يستسيغ من شعر غيره فليقرأ رحلة العبدري فهي من امهات المصادر التي صورت اخلاقه واظهرت زينة ادبه وتنوع ثقافته ومن الامثلة الصالحة لما ذكرناه تعليقه على قصيدة لابن الفكون فقد ذكر انه لما وصل الى قسنطينة استأنس بالشيخ ابي علي حسن بن بلقاسم بن بادس واستفاد منه بعض الفوائد وسأله عن الاديب ابي علي حسن بن محمد القسنطيني المعروف بابن الفكون فذكر له انه ادركه وهو طفل صغير ولم يحفظ له مولدا ولا وفاة.(ص 33 + مخ 37).

قال العبدري ورمت ان اجد من اروي عنه قصيدته المشهورة في رحلته من قسنطينة الى مراكش فلم اجده فقيدتها هنالك غير مروية وكان القسنطيني كتب بها الى ابي البدر بن مردنيش وهو بقسنطينة وهي هذه:

الا قل للسري بن السري	ابي البدر الجواد الاريحي
ايا معنى السيادة والمعالي	ويا بحر الندى بدر الندى
أمــا وبحقك المبدي جلالا	وما قد حزت من حسب عليّ
وما بيني وبينك من ذمام	وما اوتيت من خلق رضي
لقد رمت العيون سهام غنج	وليس سوى فؤادي من رمي
فحسبك نار قلبي من سعير	وحسبك دمع عيني من اتي
وكنت اظن ان الناس طرا	سوى زيد وعمرو وغير شي
فلما جئت ميلة خير دار	امالتني بكل رشا ابيّ
وكم اورت ظباء بني ورار	أوار الشوق بالريق الشهي

فجئت بجاية فجلت بدوارا | يضيق بوصفها حرف الروي
وفي ارض الجزائر هام قلبي | بمعسول المراشف كوثري
وفي مليانة قد نبت شوقا | بلين العطف والقلب القسي
وفي تنس نسيت جميل صبري | وهمت بكل ذي وجه وضي
وفي مازونة ما زلت صبا | بوسنان المحاجر لوذعي
وفي وهران قد امسيت رهنا | لظامي الخصر ذي ردف دوي
وابدت لي تلمسان بدورا | جلبن الشوق للقلب الخلي
ولما جئت وجدة همت وجدا | بمنخنث المعاطف معنوي
وحل رشا الرباط رشا رباطي | وتيمني بطرف بابلي
واطلع قطر فاس لي شموسا | مغاربهن في قلبي الشجي
وما مكناسة الا كناس | لأحوى الطرف ذي حسن سني
وان تسلا عن ارض سلا ففيها | ظباء صائدات للكمي
وفي مراكش ياويح قلبي | أتى الوادي فطم على القري
بدوربل شموس بل صباح | بهي في بهي في بهي
امتحن مصارع العشاق لما | سعين به فكم ميت وحي
بقامة كل اسمر سمهري | ومقلة كل ابيض مشرفي
اذا انسوني الولدان حسنا | انسيهم هوى غيلان مي
فها انا قد تخذت الغرب دارا | وادعي اليوم بالمراكشي
على ان اشتياقي نحو زيد | كشوقي نحو عمرو بالسوى
تقسمني الهوى شرقا وغربا | فيا للمشرقي المغربي
فلي قلب بارض الشرق عان | وجسم حل بالغرب القصي
فهذا بالغدو يهيم غربا | وذاك يهيم شرقا بالعشي
ولولا الله مت هوى ووجدا | وكم لله من لطف خفي

لقد عقب العبدري على هذه القصيدة بملاحظات دقيقة تدل على ماله من ذوق مرهف وعلى ماله من خبرة في المجال الادبي واللغوي (ص 35+مخ39).

فمن ذلك انه ذكر ان اهل اللغة يقولون عن الغنج والغنج انه الدل وحسن الشكل وذلك غير ملائم مع ما جاء به ابن الفكون عند قوله لقد رمت العيون سهام غنج.

ومن ذلك انه لاحظ ان مخلطبة ذوي الرتب لا يحسن بمثل قوله:

فحسبك نار قلبي من سعير

وعلق علي ذلك بقوله «فاذا نعي على أبي الطيب قوله:

كفى بك داء ان ترى الموت شافيا

وقوله :

انا ما لبست الدهر مستمتعا به   تحرقت والملبوس لم يتحرق

وقد علم ان المخاطب بذلك غير الممدوح فما الظن بهذا».

ومن ذلك انعدام التلاؤم في الترتيب الذي جاء به في قوله:

بدور بل شموس بل صباح   بهي في بهي في بهي

فقد علق العبدري على هذا البيت بقوله :

«نزول مفرط وعكس للرتبة فان الشمس اشهر من الصباح وانور والانتقال من التشبيه بالأعلى الى الأدنى أشبه بالذم منه بالمدح ولا سيما مع الاضراب وقوله بهي في بهي غير منطبق على صدر البيت ولا ملائم له ولو قال بدور في خدور في قصور لجاء عليه البيت اليق من العقد بجيد الحسناء واوفق من الجود للروضة الغناء».

ومن ذلك انه لما أراد التعليق على قول الشاعر:

فلي قلب بارض الشرق عان   وجسم حل بالغرب القصي
فهذا بالغدو يهيم غربا   وذاك يهيم شرقا بالعشي

قال: «هذا كلام غير محصل فان الجسم العري من القلب لا يهيم وانما يهيم القلب وليست الباء هنا ظرفية بمعنى في لان الهيمان لا يتخير الاوقات وما اضعف حبا لا يهيم الا مرة في اليوم وانما هي للالصاق أي هذا اشتياق في وقت الغروب الى الغد وذاك في وقت الشروق الى العشي شوقا من هذا الى الشرق ومن ذلك الى الغرب وهو معنى حسن لو ساعده اللفظ.

وعلى كل حال فاننا نلاحظ ان العبدري حينما كان يتتبع الانتاج الادبي لم يكن يستنقص الشخص بعينه وإنما كان يبحث عن ظواهر جمالية في النص ذاته يدعو لها ويبين كيفية الوصول اليها فهو حين النقد يأتي بالبديل أحيانا ويظهر قيمة التوازن بين اللفظ والمعنى لتبقى جانبية الادب قوية ولتظل الروابط بين نفس الانسان وبين الفن الادبي غير منحصرة في الصورة المحضة او في المعنى المحض ولكن في اطار المزج الفني بين الصورة والمعنى وبين الشكل والمضمون وتلك مزية لا ينالها الا من رهبه الله القدرة على التعبير الجميل والخيال الرائع والفكر العميق.

فاس   محمد بن عبد العزيز الدباغ *

---

* محافظ خزانة القرويين / فاس

حول مخطوط نوازل ابن الحاج وأهمية مادته التاريخية

د.ابراهيم القادري بوتشيش

ختم البحاثة المحقق الثبت، الدكتور محمد بنشريفة مقاله الهام «وقائع أندلسية في نوازل القاضي عياض»[1] بالانطباع التالي حول مخطوط مذاهب الحكام في نوازل الاحكام» لمحمد بن عياض:

«وسيقدم عندما ينشر قريبا هو ونوازل أبي الاصبع ونوازل ابن رشد وغيرها من كتب النوازل القديمة مادة خصبة وثروة لا تقدر للفقهاء والمؤرخين».[2]

---

1 - أنظره في مجلة دعوة الحق العدد 264 - شعبان رمضان المعظم 1407 أبريل ماي 1987 ص 29-35.

2 - نفسه ص 35.

ولا سبيل الى الشك في أن مثل هذا التخريج يعد من الاهمية بمكان، ويأتي لتزكية ما أثارته - منذ أمد - كتابات «جاك بيرك» و«ليفي بروفنسال» وغيرهما حول أهمية النوازل في الكتابة التاريخية.[3]

واذا كانت هذه الالتفاتة الاستشراقية تعد معلما بارزا في تطوير البحث التاريخي - منهجا وموضوعا -، فان التجربة والحق يقال، لازالت - الى الآن - تسير خطواتها الاولى مع طلائع الباحثين المغاربة،[4] ومن ثم فان المزيد من الحفر في تراثنا، والتنقيب عما يختزنه هذا النوع من المصنفات من دخائر، يظل أهم الادوات التي تغني تلك التجربة وتثري تاريخنا، وبالتالي تخطو به في مساره الصحيح، ناهيك عن دورها المسهم في اماطة اللثام عن الجوانب المنسية في حضارتنا.

وعملا بالمساهمة في هذا المسعى، سبق أن نشرت مقالات متواضعة[5]، وأريد اليوم تناول موضوع يصب في نفس المعين،

---

3 - استغل ليفي بروفنسال بعض نوازل ابن سهل في دراسة حركة عمر بن حفصون انظر كتابه: Histoire de l'Espagne Musulmane. T.II p 305. Ed Leiden J. Brill 1950

4 - فضلا عن بعض الباحثين المغاربة الدين وظفوا النوازل في أبحاثهم، أوشك الاستاذ محمد مزين على الانتهاء من دراسة اعداد الدكتوراه تعتمد أساسا على النوازل الفقهية.

5 - أنظر لكاتب هذه السطور: نصوص أندلسية جديدة من مخطوطه «أخبار الفقهاء والمحدثين لابن حارث الخشني. مجلة المناهل عدد 33 سنة 1985 ص: 342-361 وانظر كذلك ما كتبناه في مجلة دار النيابة: وثائق حول التاريخ الاجتماعي والاقتصادي للمغرب والاندلس في العصر الوسيط» العدد 13. سنة 1987.

محاولا «النبش» مرة أخرى في تراثنا الفقهي - التاريخي. وماكنت مزمعا على الكتابة في هذا الموضوع بالذات، لولا جملة وردت عند أستاذنا المحقق الفاحص الدكتور محمد بنشريفة في مقاله السالف الذكر، عندما تحدث عن مجموعات النوازل المشهورة الراجعة الى العصر المرابطي، اذ نكر خمسا منها، وعن الثالثة التي تمثلها نوازل ابن الحاج القاضي الشهيد قال: «ولا أعرف ما اذا كانت موجودة».[6]

نوازل ابن الحاج موجودة بالفعل

ومن حسن طالع يمن المشتغلين في حقل النوازل، أن المخطوط المشار اليه، والذي يجمع بين دفتيه نوازل ابن الحاج، حفظته أيادي القدر من الضياع، وهو موجود في رفوف خزانة الوثائق بالرباط - قسم الارشيفات. وحسب ما أرشدتني اليه معرفتي المتواضعة، فإنني أميل الى الاعتقاد بأن هذا المخطوط لم يتم استغلاله من قبل الدارسين، وهو زعم يدعمه ما ورد عند الاستاذ بنشريفة في قولته السالفة الذكر.

وصف المخطوط

يتألف مخطوط نوازل الحاج من 324 صفحة، مقياسه 15x21 . وتتضمن كل صفحة 23 سطرا، وفي كل سطر حوالي 12 الى 13 كلمة. أما الخط الذي كتب به فهو خط مغربي يتميز برداءته، وصغر حروفه وتداخلها. وقد تلاشت الاوراق الأولى منه واندثرت، حيث لا توجد بها مقدمة ولا نكر لاسم المؤلف ولا دواعي التأليف كما جرت العادة. بل ان أولى صفحاته

6 - بنشريفة. م. س. ص: 31.

تبدأ مباشرة بجواب عن مسألة أجاب عنها «أبو عمر»[7] الذي ابتدأ كلامه بعبارة «قرأت ما خاطبتنا به»، ويبدو أنها اجابة عن نازلة وردت في الاوراق الضائعة. وتوجد بالمخطوط خروم كثيرة، وألوان أحدثتها الرطوبة، وأثرت على جملة من فقرات الكتاب، وهذا في حد ذاته ينهض حجة على تقادمه، وهو يفسر البتر الذي وقع في أوراقه الاخيرة[8]، الشيء الذي لم يمكن الدارس من استقصاء تاريخ النسخ، وان كان من المرجح أنه نسخ في أوائل القرن الثامن الهجري، وهو افتراض يؤكده ما ورد عند أحمد بابا التنبكتي في مصنفه الذي نيل به كتاب الديباج المذهب حيث ذكر في ترجمة عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن محمد بن شعيب بن عبد الملك القيسي ما يلي:[9] «كان فقيها جليلا، قاضيا عدلا راوية، فاضلا صالحا، له تواليف حسنة كأربعين حديثا في أحوال الناس، رتب نوازل ابن الحاج «ومعلوم أن المترجم له توفي سنة 737 هـ.

صحيح أنه بامكان مرتبي النوازل وناسخيها أن يكونوا متعددين، الا أن عدم ورود أسماء لجامعين آخرين - حسب حدود بحثنا - يسمح بالاستقرار على هذا الرأي الى حين يظهر ما ينقضه.

---

7 - أبو عمر هذا هو اختصار لاسمه أبو عمر بن رشيق.

8 - ان الواجب يفرض أن تتجه العناية الى تجليد هذا المخطوط حتى تسلم أوراقه المتبقية من الضياع خاصة أن غلافه أصبح مفصولا عن الاوراق.

9 - كفاية المحتاج ورقة 333 ط

من هو ابن الحاج؟ [10]:

المؤلف - ثقافته - مصادره - طريقته في التأليف

ان سؤالا على هذه الشاكلة كان غير وارد في الحسبان لدى النخبة المفكرة في الغرب الاسلامي الوسيط، خاصة في الاوساط الفقهية - ذلك أن أبا عبد الله بن الحاج تميز بحضور مكثف في الساحة الفكرية، وعل صعيد الفقهاء والقضاة على الخصوص.

ولم تكن كلمته تقل وزنا عن أبي الوليد بن رشد أو القاضي عياض أو أبي المطرف عبد الرحمن الشعبي وغيرهم ممن عاصره من فطاحلة العلماء الذين كان يشار اليهم بالبنان... ولعل ما يترجم شهرته وباعه الطويل، تلك الاشارات المتعددة لاسمه ومصنفه الهام الذي بين أيدينا، حيث يبرزان معا في معظم كتب السير والتراجم.

وقبل اعطاء نماذج من كتب الطبقات التي اهتمت به، لابد من ملاحظة، وهي أن هذه الكتب تذكر شخصا ثانيا يحمل نفس الاسم، وعاش في ذات الفترة. ويتعلق الامر بأبي عبد الله بن الحاج القائد المرابطي الذي استشهد في احدى الغزوات العسكرية بالاندلس، وبالذات حين قيامه بحملة عسكرية ضد شؤون مدينة فاس من قبل الامير المرابطي علي بن يوسف الذي ولى مكانه أبا بكر بن تافلوت بمجرد ما علم باستشهاده [11].

10 - ان أحسن من دقق اسمه هو القاضي عياض الذي ذكر اسمه كما يلي: القاضي الشهيد ابو عبد الله محمد بن أحمد بن خلف بن ابراهيم التجيبي ابن الحاج. انظر: الغنية طبعة بيروت 1402-1982 ص 47.

11 - مجهول: نبذة من تاريخ المغرب الاقصى (مخطوط) ص 204-205

فالراجع أن أبا عبد الله بن الحاج هذا، ليس هو مؤلف النوازل بالرغم مما قد يتبادر الى الذهن، كونه عاش في نفس الفترة، فضلا عن أنه لقي حتفه ضد القوى النصرانية «مقبلا غير مدبر» مما يجعله يستحق لقب الشهيد على غرار ما لقب به الحاج صاحب النوازل. وعلى أي، فان الاول كان من «أهل السيف» يعشق الوغى ويتلذذ بطعم الجهاد، أما ابن الحاج المقصود فهو أبو عبد الله المتوفى سنة 529 هـ في ظروف وملابسات تختلف عن نظيره الانف الذكر.

وقد أفاضت كتب السير والطبقات في التنويه به. فعلى سبيل المثال - لا الحصر - ترجم له صاحب كتاب طبقات المالكية[12] نقلا عن عياض وابن حماد البرنسي بقوله: «وقال ابن حماد البرنسي في مختصر المدارك: أبو عبد الله بن الحاج، كان من أهل العلم والفتوى والتقدم في الاحكام، له كتب مؤلفات ودواوين مصنفات، استشهد يوم الجمعة 26 رمضان من عام تسسع وعشرين وخمسمائة، وهو ساجد في صلاة الجمعة ضربه بالسكين على خاصرته رجل معتوه يقال له ابن درس، وقتله العامة في الموضع الذي قتله فيه».[13]

وأفرد له القاضي عياض ترجمة مسهبة ضمن شيوخه الذين تلقى العلم من أفواههم» فوصفه بأنه كان «أحد الفقهاء الفضلاء... حسن الضبط، جيد الكتب، كثير الرواية، له حظ من الادب، مطبوعا في الفتيا، مقدما في الشورى، صليب الدين، متواضعا، متسمتا حليما»[14].

---

12 - مجهول: طبقات المالكية (مخطوط) ص 299-300

13 - الغنية: ص 47

14 - نفسه ص 47

ويخيل الينا أن شهرته التي طبقت الآفاق، جعلت أصحاب التراجم لا يتورعون عن التعريف به حتى ضمن تراجم اعلام آخرين. فقد عرف به ابن الابار في «معجم أصحاب الصدفي» حين ترجم لحمد بن عتيق بن عطاف الانصاري فذكره ضمن الشيوخ الذين روي عنهم هذا الاخير[15]. كما أورد اسمه في التكملة «عند ترجمة ابن حمدين التغلبي اذ قال مترجما لهذا الاخير: «سمع من أبيه وغيره، وولى قضاء بلده بعد أبي عبد الله بن الحاج الشهيد في شعبان سنة 529 هـ، وكان مقتل ابن الحاج في صلاة يوم الجمعة في الركعة الاولى منها»[16].

ولا نعرف بالضبط الاسباب التي كانت وراء هذا الاغتيال، فحتى القاضي عياض، تلميذه الذي كان يعرفه عن كثب، اقتصر على القول بأنه «جهل السبب في ذلك وكثر التخوض فيه»[17]. الا ان العودة الى ظروف ومعطيات السنة التي قتل فيها، تجعلنا نقف على حدة الصراع بين الفقهاء وشرائح كثيرة من العامة التي أثرت فيها النظريات التصوفية للامام الغزالي، ومن ثم نعتقد أن فعل «المعتوه» لم يكن بمحض الصدفة. فعمليات الاعتداء على الفقهاء لم تصبح غريبة في ذلك العصر، والمصادر تشير الى نهب العامة لمنزل الفقيه القاضي أبي بكر بن العربي، وقد ساعد على ذلك المناخ السياسي المضطرب الذي خيم على الحقبة، والذي حفر في نهاية المطاف قبر المرابطين[18]

---

15 - التكملة ج 2. طبعة مصر 1955 ص 286.

16 - التكملة ج 2 طبعة مصر 1955 ص 286.

17 - عياض: م. س 48.

18 - عن هذه الفترة المضطربة من تاريخ المرابطين انظر: ابن أبي زرع: م.س.ص 171 - عبد الله عنان: عصر المرابطين والموحدين في المغرب والاندلس. القسم الاول: عصر الموابطين طبعة القاهرة 1383 هـ 1964. ص 54 وما بعدها.

وعلى أي حال فقد لفظ ابن الحاج أنفاسه الاخيرة وهو في صلاة الجمعة من عام 529 هـ وهو يتهيأ - دون شك - لا حياء ليلة القدر. غير أنه خلف أثرا لم يمت، أثر فقهي بالغ، هو هذه النوازل التي تنير جوانب هامة من تاريخ الاندلس والمغرب.

هذا عن شخصيته، أما ثقافته فقد كفتنا شهادة ابن حماد البرنسي والقاضي عياض مؤونة البحث عن المكانة المتلقة التي ميزت الفقيه «المثقف» . ولا غرو فان تتبع فتاويه تنم عن اطلاع واسع على سائر المدونات الفقهية، وادراك عميق تتسم بالرصانة وعمق المعرفة، والوصول من خلالها الى تفنيد صحة فتوى أو تزكيتها[19]، كل ذلك ينهض حجة على سعة ثقافته الدينية، وطول باعه في ميدان الفتيا والقضاء، فضلا عن «الحسن الفتوي» الذي أكسبته ممارساته الطويلة، وتجربته العميقة. وحسبنا أنه كان قبلة لطلاب العلم، وقل من لم يجزه أو يأخذ منه قسطا من العلم حتى أنه أعطى مدرسة من كبار الفقهاء من أمثال القاضي عياض[20] وابن حمدين وابن عطاف الانصاريي وغيرهم.

وما مصادره التي اعتمد عليها في تأليف كتابه سوى احدى التجليات لثقافته المتميزة، فمن خلال فحص تلك المصادر، يتبين أنها كانت في غاية الاهمية على عدة مستويات، فهي تتسم أولا بالتنوع والتعدد، ويأتي في طليعتها الكتب الاصيلة مثل موطأ مالك، وابن القاسم، ومدونة ابي سحنون، والعتبي، وابن الماجشون وابن مغيث، كذا مسئل ابن الفخار وأبي الوليد بن رشد، وأبي القاسم بن منظور قاضي اشبلية، وأبو جعفر بن رزق.

---

19 - هذا ما يظهر جليا من خلال معظم القضايا التي ناقشها والاجتهادات التي أبداها.

20 - نكره القاضي عياض في الدرجة الثالثة من شيوخه الذين روي عنهم.

كما يلاحظ اعتماده الكبير على فتاوى إبيه، مصداق ذلك احالاته الكثيرة عليه حيث تتكرر في صفحات المخطوط العبارة التالية: «قال أبي رضي الله عنه».[21] ولكنه يستأنس في معظم فتاويه بفقهاء عصره، وهو مما يحمد له، وكأنه لا يرتاح له ضمير ولا يهدأ له خاطر، الا بعد استفسارهم في مسألة من المسائل التي جرت بين يديه. وقد كان ابن رشد يشكل موئلة الاول فكثيرا ما نكر: «ثم تجاريت المسألة مع القاضي أبي الوليد بن رشد فرأى ذلك»[22] أو «فأفتيت بذلك ووافقني على ذلك القاضي أبو الوليد»[23].

ونحن في غنى عن التذكير بأهمية هذه المصادر، ولا غرو فان كتب الفقه عموما اعتمدتها اعتمادا كليا حتى أن أحد الباحثين الغربيين ذهب الى القول بأن جل كتب الفقه في الغرب الاسلامي ليست سوى تعاليق على أحكام ابن القاسم[24].

أما طريقته في تناول المسائل الفقهية فأول ما يلاحظ استطراداته في نكر مسألة من المسائل، فيقتلها شرحا، ويسهب فيها تحليلا، ويحيلها على مدونات الفقه المالكي. ولا يتوقف عند هذا الحد، بل يسرد قضايا فقهية أخرى تعرض لها قضاة عصره، مبينا عصارة جهدهم في ايجاد أجوبة شافية لها.[25]

---

21 - نوازل ابن الحاج (مخطوط) ص: 10

22 - ابن الحاج: م.س ص 61

23 - نفسه ص 53

24 - M. Bellaire: انظر مقدمته التي قدم بها نشر كتاب تحفة القضاة ببعض مسائل الرعاة للبويعقوبي وذلك في: Les archives Marocaines. Vol. XV. Paris 1909

25 - كقوله : مسألة خاطب بها القاضي أبو القاسم بن منظور الفقهاء بقرطبة في شوال 496 هـ مستدعيا أجوبتهم «انظر م. س - ص 108.

وفضلا عن ذلك، فان طريقته تتميز بضبط كبير، فهو يذكر النازلة بنصها، والتاريخ والمكان الذي وقعت فيه بدقة متناهية مصداق ذلك ما أورده في احدى المسائل التي أجاب عنها حيث قال: «نزلت هذه المسألة بقرطبة في شهر المحرم من سنة اثني عشر وخمسمائة»[26].

ومن جهة أخرى، يظهر واضحا لدى المؤلف نزعته السنية، ودفاعه المستميت عن المالكية والمذهب المالكي، فهو لا يتردد في الطعن في المذاهب الاخرى كما يفهم ذلك من خلال الفتاوي التي أصدرها ضد المعتزلة الذين أطرهم خارج الجماعة[27]، بل ان كثيرا من فتاويه أقحمت الكثير من الاتجاهات «البدعية» في خندق الزندقة[28]، وهو أمر بديهي بالنسبة لفقيه عاش في عصر ازدهار المالكية.

مضمون المخطوط وأهميته التاريخية

ليس بوسعنا طرق المواضيع التي يتضمنها المخطوط أولا بأول، لكن يمكن اختصار القول بأنه يقوي مجموعة من النوازل الفقهية المتنوعة، وهي تدخل ضمن أبواب متعارف عليها لدى معظم أصحاب الفتاوى كباب الزواج والطلاق، والرضاعة، الى غير ذلك مما تتقاسمه عادة كتب النوازل.

---

26 - كقوله : مسألة خاطب بها القاضي أبو القاسم بن منظور الفقهاء بقرطبة في شوال 496 هـ مستدعيا أجوبتهم «انظر م. س - ص 108.

27 - نفسه ص : 310

28 - نفسه ص : 304-305

لكن الملاحظ أن هذه الابواب غير مرتبة ترتيبا محكما، فأولى المسائل التي يبدأ المؤلف بمعالجتها تتعلق بقضايا المرأة والزواج والصداق والكالي، ثم ينتقل بعد ذلك الى مسائل البيوع والشركة ليعود من جديد الى قضايا تدخل في باب النكاح والطلاق والحضانة. بل أحيانا يتغير موضوع النوازل دون اشارة صريحة الى ذلك في عناوين معينة، وهذا ما يلمسه الدارس ابتداء من ص 57 وكذلك ص 102. ولعل هذا الخلط في المواضيع وترتيبها يجعل المرء يتساءل بحق عما اذا كان ثمة أوراق أخرى - غير الاولى والاخيرة - قد طمستها أيادي الدهر.

وكيفما كان الامر، فان ترتيب المواضيع كما يوجد عليها المخطوط في صورته الحالية هو على الشكل التالي:

قضايا الزواج والصداق - مسألة البيوع والشركة - الوصايا والحضانة والطلاق - مسائل الاضرار بالجار - مسائل المياه - مسائل الاقضية - مسائل الشفعة - القراض - وأخيرا مسائل تتعلق بالعقيدة ومحاربة أهل البدع.

ومن خلال استعراض مختلف هذه الابواب، يتبين أن مخطوط نوازل الاحكام يتضمن أهمية فقهية، الا أنه في الواقع لا يقتصر على هذه الناحية فحسب، بل انه يسدي خدمة طيبة للتاريخ الاجتماعي للاندلس، وحتى المغرب اذا اعتبرنا وحدة التشريع، وخضوع المنطقتين معا لسلطة واحدة هي سلطة المرابطين.

فمما يؤكد أهميته الفقهية، هو أن جل الفقهاء اللاحقين، وجدوا في الكتاب المذكور مادة خصبة أشبعت نهمهم، وروت فضولهم الفقهي، وحسبنا أن مؤلفات هؤلاء جاءت زاخرة بأحكام

ابن الحاج.ولا غرو فانهم وجدوا في مصنفه ضالتهم المنشودة.ففي أحكام الازدي الموسومة ب«مفيد الحكام في نوازل الاحكام»[29]، نجد مادة هامة يستند فيها على نوازله. كما أن البرزلي في مصنفه «جامع مسائل الاحكام مما نزل من المفتيين والحكام»[30] يعتمد اعتمادا واضحا عليه. ولم يجد ابن سلمون[31] غضاضة في النقل عنه كما يلاحظ ذلك في فقرات هامة من كتابه. وأيضا فان مؤلفا آخر غير مذكور يرجح أنه عاش في أواخر القرن الثامن وأوائل التاسع[32] يسهب في ذكر فتاويه. ومن المتأخرين الذين استقوا أحكامهم من فتاويه كذلك نجد ابن رحال صاحب كتاب «تضمين الصناع».[33]

ولكل هذه السلسلة من الاستشهادات، دلالتها البالغة في الكشف عن أهمية نوازل ابن الحاج، ناهيك عما يمكن أن تسهم به في اغناء مادة الدارس الحديث للاشكاليات الفقهية في الاندلس.

هذا على الصعيد الفقهي، أما على الصعيد التاريخي، فانها تمدنا بسيل من النصوص الفقهية التي تخدم التاريخ. فعلاوة على كون ابن الحاج يتعرض لنوازل وقعت لبعض أمراء المرابطين كعلي بن يوسف وتميم بن يوسف، فانه يتصدى كذلك

---

29 - بالخزانة العامة قسم الوثائق رقم ق 805

30 - بنفس الخزانة رقم 450. انظر اعتماده عليه مثلا في ص 163

31 - بنفس الخزانة رقم 670. اعتمد عليه مثلا في ورقة 17 و22

32 - عنوانه : كتاب في الفقه يوجد ضمن مجموع د 2198. انظر على سبيل المثال اعتماده عليه في صفحات 61-62-63-64.

33- بنفس الخزانة ضمن المجموع السابق 2198 انظر ما ينقله عنه في صفحة:234.

لقضايا همشها المؤرخون وعملوا على تغييبها في كتبهم، كوضعية الارض، والعملة وتقلباتها، والمعاملات الاجتماعية داخل الاسرة الصغيرة والمجتمع ككل، كذا المظاهر الاجتماعية والعادات والتقاليد. ونكتفي في هذا الصدد بعرض بعض النوازل التي تكشف عن التاريخ الحضاري للاندلس خاصة الجانب الاقتصادي منه باعتباره يشكل القبلة التي أصبحت تستقطب اهتمام الباحثين.

فبخصوص وضعية الارض يزودنا ابن الحاج بنوازل هامة تبين النزاعات القائمة حولها. ففي احدى النوازل تبرز صورة نزاع بين رجل وبني أخته حول قسمة أرض حيث ورد فيها: «الجواب رضي الله عنك في رجل كشف عن موضع كان ينسب اليه وقطع شعراء، وغرسه كرما ثلاثة عشر عاما متقدمة، فلما كان الان، قام عليه بنو أخته فقالوا هذا الكرم الذي غرست لنا فيه حق من قبل أمنا فهو ميراثها في أبيها فقال الغارس المتملك : قسمت مع أمكم وأعطيتها حصتها في مدة قد انقرض الشهود فيها، فقال القائمون انما قسمت أمنا معك السواد، وأما البياض فحقنا باق فيه ولم تقسمه فانكرهم في ذلك وقال: انما قاسمته الجميع وبايديهم مال»[34].

وفي نازلة ثانية يظهر نزاع آخر بين مزارعين تجاوزوا حدود القرية المخصصة لرعيهم الى قرية أخرى تجاورهم، مما استدعى تدخل حاكم الناحية[35].

---

34 - ابن الحاج : م. س. ص 217-218.

35 - نفسه ص 280.

أما في ميدان التجارة، فمن خلال شرح استند فيه ابن الحاج علي احدى فتاوي أبيه تظهر أهمية العنصر اليهودي في هذا المجال. ويتبين أن يهود بلاد المغرب الاقصى ونظرائهم في الاندلس كانوا لا يؤدون العشر في «وطني» كل منهما، بينما يجبران على أدائه كلما اتجه طرف منهما الى بلد الآخر. وفي ذلك يقول ابن الحاج: مسألة: وقال[36] اذا اتجر يهود العدوة وتجولوا فليس عليهم عشر يهود فاس اذا نزلوا بسبتة للتجارة. فلو اتجر يهود العدوة في الاندلس لكان عليهم العشر، وكذلك حكم يهود الاندلس فيها وفي العدوة أيضا»[37].

وعن العملة تطرح احدى نوازل ابن الحاج مشكلة ذات أبعاد خطيرة تتجلى في مشكل انقراض عملة ابن جهور، وظهور سكة ابن عباد في اشبيلية، مع استمرار التداول بالسكة القديمة، حتى أن الفقهاء أفتوا لصاحب دين بالتعامل بالسكة المقطوعة مع مراعاة قيمتها من الذهب. وهناك نص النازلة : «وقال القاضي أبو عبد الله بن الحاج اذا كان للرجل على الرجل دراهم فقطعت تلك السكة فأخبرني بعض اخواننا من ابن جابر فقيه اشبيلية قال: نزلت هذه المسألة بقرطبة أيام نظري فيها للاحكام ومحمد بن عتاب حي، ومن معه من الفقهاء فانقطعت سكة ابن جهور بدخول ابن عباد سكة أخرى، فأفتى الفقهاء أنه ليس لصاحب الدين الا السكة القديمة، وأفتى ابن عتاب بأن يرجع ذلك الى قيمة السكة المقطوعة من الذهب، ويأخذ صاحب الدين القيمة من الذهب»[38].

---

36 - يقصد أباه.

37 - م. س. ص. 295.

38 - ابن الحاج : م. س. ص 29.

وثمة نازلتان ذات صبغة حضارية تتعلق ببعض الخطط التي عرفتها الدولة الاسلامية في الاندلس منذ فترة باكرة، وازدهرت في عصر المرابطين، ونكتفي هنا بذكر خطة صاحب المواريث وصاحب السوق. ولعل أهمية النازلتين تكمن في ما تسلطانه من ضوء حول سلطة كل منهما.

فالنازلة الخاصة بصاحب المواريث تبين نموذجا من تدخلاته في شؤون الاراضي وتنظيمها، والمستفتي يتساءل حول صحة تلك التدخلات : «الجواب رضي الله عنك في رجل له أرض كان يجاورها الوادي، ثم ان ذلك الوادي انقطع عن ذلك المكان، وبقي مدة يبسا فقام صاحب المواريث يطلب ذلك الوادي اليابس ويريد تملكه بما يراه نظرا، فهل له ذلك أم هل الوادي اليابس المذكور لاهل الضفتين المتلاصقتين وكيف ان وجب لصاحب المواريث هل له أكثر من الماء في ذلك الوادي، وهل له اعتراض في الولائج اللاصقة به، بين لنا الجواب في ذلك[39].

ونفس الشيء ينطبق عن النازلة التي تدور حول سلطة المحتسب والمجالات التي له حق التدخل فيها. وهاك نص النازلة:[40].

«الجواب رحمك الله في صاحب السوق يريد التسعير على أهل السوق في غير المأكول والمشروب، مثل ما يبيعه العطارون وغيرهم من الحناء والفلفل وأشباه ذلك. هل ترى ذلك جائزا، وان كان جائزا هل يدخله من الاختلاف ما يدخل في تسعير المأكول والمشروب».

---

39 - نفسه ص 112

40 - ابن الحاج : م.س.ص. 289-290.

وبعد، فهذه نماذج كان القصد منها التعريف بأهمية مخطوط نوازل ابن الحاج، وما يزخر به من مادة تاريخية. وثمة وثائق هامة يتضمنها هذا المخطوط سنعمل على نشرها لاحقا بحول الله.

مكناس   ابراهيم القادري بوتشيش (*)

---

* - أستاذ التاريخ المغربي والأندلسي / كلية الآداب - مكناس

المختصر الطريف في علم العروض للعالم أبي محمد القرطبي*

تقديم وتحليل :

إدريس العلوي البلغيثي

مدخل :

اهتم المغاربة والاندلسيون بعلم العروض، فألفوا فيه عدة مصنفات، تمثل المطولات تارة، والمختصرات أخرى، ونظموا فيه الأراجيز لتسهيل حفظه وتحصيله. وتفننوا فيه أيما تفنن حتى بذوا فيه إخوانهم المشارقة الذين يرجع إليهم الفضل في ابتكاره والإبداع في فنونه.

وقد احتفظت لنا كتب التواجم بالعديد من أسامي هذه المصنفات، أخص بالذكر منها : مطول سعيد بن فتحون التجيبي[1]، ومختصره، اللذين يتميزان بالطابع الموسيقي.

---

* - ترجمته في: التكملة: 879، وبرنامج الرعيني:141، والذيل والتكملة، بقية السفر الرابع، ص:191، تحقيق: د. إحسان عباس. وفقهاء مالقة وأنباؤهم (مخطوط) ص:115 .والإحاطة:405/3،والنفح: 227/3، وتذكرة الحفاظ: 1396.

1 - ترجمته في : الذيل والتكملة : 40/4، وبغية الملتمس، رقم: 813، وبغية الوعاة: 256، وطبقات الامم: 68.

وكتاب العروض لأبي عبد الله محمد ابن أحمد الحداد الوادي آشي[2]،الذي مزج فيه بين الأنحاء الموسيقية،والآراء الخليلية[3]، ورد فيه على سعيد بن فتحون. ومقدمة في العروض لأبي الحسن علي بن أحمد بن لبال الشريسي[4].

وقد بلغ علم العروض أوج ازدهاره بالغرب الاسلامي في عصر الموحدين، حيث ظهر علماء جلة، أثروا المكتبة المغربية الأندلسية بمؤلفات هامة؛ كمجموع مؤلفنا أبي محمد القرطبي، الذي قال عنه ابن عبد الملك المراكشي[5] : «أتقن ترتيبه، وأجاد تهذيبه».

والعروض لأبي العباس أحمد الشريسي[6]، وكتابي : العروض والقوافي لأبي علي الشلوبين[7]. ومجموعات أبي

---

2 - ترجمته في : المطمح :80 ، والذخيرة، ق : 2/1 : 691، والتكملة : 143/2، والذيل والتكملة : 10/6 ، تحقيق : د. إحسان عباس، والإحاطة : 333/2، والمغرب : 143/2، النفح : 502/3، المحمدون من الشعراء : 99، الخريدة : 2/ 204، الوافي : 86/2، والفوات : 283/3، والمسالك : 400/11.

3 - انظر : الاحاطة : 334/2، والنفح : 502/3.

4 - انظر : صلة الصلة : 108، والتكملة : 673، والتحفة : 44، والمغرب : 303/1، والرايات : 23، والنفح : 492/3، 64/4، 231.

5 - الذيل والتكملة : 208/4

6 - انظر : التكملة : 111، وبرنامج الرعيني : 90، وبغية الوعاة : 143، والنفح : 115/2، 392، 446/3، والمنهل الصافي : 354/1، الوافي بالوفيات : 77/7.

7 - ترجمته في : التكملة : 658، والذيل والتكملة : 386:2/1. تحقيق : د. محمد ابن شريفة، والمغرب : 129/2، والقدح المعلي :150والنفح : 472/4، 416/7، البغية : 364، والديباج : 185، والشذرات : 232/5.

القاسم أحمد البلوي[8] الثلاثة في العروض، وهي : كبير، ومتوسط، وصغير، مع مختصر في القوافي، وكلها مجموعة في ديوان واحد، قال في صدره[9] : «ورجوت ألا يحتاج مع تناهيه في البيان وإبداء شرحه للعيان إلى مقرئ يشرحه، إذ لا أترك للناظر فيه مغلقا لا يفتحه، وجعلته تأليفين : مختصرا ومطولا. أبدأ منهما بالمختصر أولا، فالمختصر يجزى ويكفى، والمطول يكمل ويشفي، أسمى المختصر ب «المقطوف من تدقيق وضع الميزان لعلم العروض والأوزان»، وأسمي المطول ب «المعطوف من تحقيق العيان للفرش والمثال في غاية البيان»، ينال بالأول فتح الباب ومنح اللباب ورشف الرضاب في الاقتضاب، ويدرك بالثاني تمكين الابهام في الافهام وتحقيق الاحكام للأحكام، فجلوتهما عروسين على منصتين ناويا منصتين جلوة الحسناء على منصة الأجزاء، وجلوة البارعة الجمال، على منصة الكمال». ولما فرغ من هذا الثاني عقبه بقول مقتضب في القوافي وافتتحه بقوله : «كثيرا ما قفي العروضيون علم العروض بعلم القوافي فجعلوهما في الاتصال والاقتران بمنزلة القوادم مع الخوافي، فاقتديت بهم في ذلك، وسلكت في هذا التأليف تلك المسالك». ولما أتم غرضه من هذا الكتاب، وصله بمختصر في العروض سماه : «عمدة الاقتصار وزبدة الاختصار» وكتاب العروض لأبي الطيب صالح بن يزيد بن شريف[10]، والوافي في علم القوافي أيضا.

---

8 - ترجمته في : الذيل والتكملة : 2/1 : 453-460، والقدح المعلى : 120-122، وانظر : الذيل والتكملة : 1/8 ص: 11-13، تحقيق : د. محمد بن شريفة، والنفح : 325/3 ومجلة «دعوة الحق»، العدد: 266، السنة : 1408-1987، ص : 30-48.

9 - الذيل والتكملة : 455:2/1.

10 - انظر : الذيل والتكملة : 263/4، والنفح : 486،147/4، 602/5،489،488، وأزهار الرياض : 47/1، ومسالك الابصار : 480/11.

وقد ضاعت - بشديد الأسف - معظم هذه المصنفات، ولم يصلنا منها إلا النزر اليسير، منها مختصر القرطبي الذي حفظه لنا المؤرخ الكبير ابن عبد الملك المراكشي في موسوعته النفيسة : «الذيل والتكملة»، لقيمته العلمية[11]: «لما أجريت هذه الغريبة رأيت من تمام الاشادة بمطلع اياتها، الافادة بإيراد أبياتها واختصار ما يتعلق [...][12]». وقبل البدء في عرض نصوص هذا المختصر وتحليله، يحسن التعريف بصاحبه.

التعريف بالمؤلف :

هو عبد الله بن الحسن بن أحمد بن يحيى بن عبد الله الانصاري، يكنى أبا محمد، وينسب إلى مالقة، مسقط رأسه، وإلى قرطبة، موطن أهله، الذين يعرفون ببني عبد الله.

ولد بمالقة[13] يوم الاثنين لثمان بقين من ذي القعدة عام ستة وخمسين وخمسمائة (556 هـ)، ونشأ في بيت علم وفضل، وتتلمذ على أبيه الحسن، وعل شيوخ مالقة المتميزين، الذين كانت مجالسهم حافلة بشتى ضروب العلوم والآداب والفنون.

تصدر للإقراء وتدريس العلم ابن عشرين سنة أو نحوها[14]، ولم يمنعه نبوغه في هذه السن المبكرة من التجوال في حواضر الأندلس الزاهرة، ولقي شيوخها الاجلة، وأخذ عنهم في إشبيلية وغرناطة ومرسية، وعبر على سبتة، وأخذ عن شيوخها الافذاذ، وأجاز له هؤلاء الشيوخ جماعة، كما أجاز له من أهل المشرق جماعة وافرة من شيوخه.

---

11 - الذيل والتكملة : 196/4.

12 - محو بمقدار كلمة.

13 - Malaga، تقع في جنوب شرق الأندلس.

14 - انظر: الذيل والتكملة، 192/4، وفقهاء مالقة (مخطوط)، ص: 115.

وقد قال ابن عبد الملك المراكشي في حقه[15] :
«كان في وقته ببلده كامل المعارف صدرا في المقرئين المجودين، رئيس المحدثين، وإمامهم، واسع المعرفة، مكثرا، ثقة، عدلا، أمينا، مكين الدراية[16]، رائق الخط، ورثه عن أبيه وأورثه بنيه[17]، نبيل التقييد والضبط، ناقدا، ذاكرا أسماء رجال الحديث وطبقاتهم وتواريخهم، وما خلوا به من جرح وتعديل، وهذا الفن من فنون العلم كان أغلب عليه وشهر به[18]، لا يدانيه أحد في ذلك، إلاآحاد من أهل عصره[19]، عزيز النظر، متيقظا، متوقد الذهن كريم الخلال، حميد العشرة، دمثا، متواضعا، حسن الخلق، محببا إلى الناس، نزه النفس[20]، جميل الهيئة، وقورا، معظما عند العامة والخاصة[21]، دينا، زاهدا، ورعا، فاضلا، نحويا ماهرا، ريان من الأدب، قائلا الجيد من الشعر، مقصدا ومقطعا. وقدجمع ابنه الأستاذ أبو بكر أحمد المدعو حميدا تأليفا حسنا في أخباره. وكان له بجامع مالقة الأعظم مجلس عام سوى مجلس تدريسه يتكلم فيه على الحديث إسنادا ومتنا بطريقة أعجز عنها الكثير من أكابر أهل زمانه».

---

15 - الذيل والتكملة : 194/4.

16 - في الإحاطة «الرواية»، ج:3 /405.

17 - ساقطة من الإحاطة.

18 - ساقطة من الإحاطة.

19 - ساقطة من الاحاطة.

20 - في الاحاطة «نزيه».

21 - في الاحاطة «الخاصة والعامة».

وقـال عنه ابن عـسكر[22]. «هو الأسـتـاذ العـالم الفـاضل المحدث أبو مـحـمـد عـبـد الله القـرطبي، علم من أعـلام الديانة والمعارف، وروضـة علم ظلها على الجمـيـع وافـرة[23]. كان رحـمـه الله جليل المقـدار مـدركا مـحـدثا، راوية، عـارفـا، مـتـفننا، ورعـا زاهدا، جـمـيل الهـيـئة، كـثـيـر التـواضع، مع وقـار عظيـم ونزاهة نفس».

اشـتـغل بالتـدريس، والخطابة بجامع مـالقة، وكـان حـريصـا على نشر العلم وإفادته.

وقد جمع بين مزيتي الشعر والنثر، ومن أشعاره، قوله في التجنيس :

لعمرك ما الدنيا وسرعة سيرها   بسكانها إلا طريـق مجـاز
حـقـيقـتـهـا أن المقام بغيـرهـا   ولكنهم قـد أولعـوا بمجـاز

وقوله :

سـهرت أعـين ونامـت عيـون   لأمـور تكون أو لا تـكـون
فـاطـرد الهم ما اسـتـطعـت عن   النفس فحملانك الهموم جنون
إن ربا كفاك بالأمس ما كان   فسيكفيك في غد ما يكون

وأشـهـر مـصـنفـاتـه : «مـجـمـوع نبـيل فـي قـراءة نافع»، و«تلخـيـص أسـانيـد الموطأ»، الذي قـال في حـقـه العـالم الفـذ أبو عـبـد الله ابـن الأبار :[24] «وهـو مما دل على سـعـة حـفظه وحـسن ضبـطه».

22- فقهاء مالقة وأبناؤها، ص : 115.
23- استواء المعنى يكون بـ «علم ظلها... وارف».
24- التكملة : 882.

و «المبدئ لخطأ[25] الرندي[26]، الذي قال في قيمته ابن عبد الملك المراكشي[27]: «ظهر فيه شفوفه، وإدراكه وتبريزه في جودة التعقب وتحقيقه وإتقانه»، و«مجموع العروض»، المذكور سابقا.

وتوفي أبو محمد القرطبي سحر ليلة السبت أو فجر يومها، ودفن إثر صلاة العصر من يوم السابع لربيع الآخر سنة إحدى عشرة وستمائة.

وقد رثاه الأديب أبو محمد عبد الله بن حسن البرجي[28] بقصيدة عصماء، من مقتطفاتها، قوله :

غربت فسيف الدين ليس له غرب ... وغبت فلا شرق يضئ ولا غرب
لئن أوحشت تلك المعاهد والحمى ... فأد معنا من دون واكفها الغرب
وإن ضاق ربع الأنس والصبر بعدكم ... فإن فناء الحزن بعدكم رحب
نبك العلا والمجد والعلم والتقى ... فمأتم أحزاني نوائحه الصحب
أسلو وبحر العلم غيضت مياهه ... ومحيى رسوم العلم يحجبه الترب
عزيز على الإسلام أن يودع الثرى ... مسدده الأهدى(29) وعالمه الندب
بكى العالم العلوي والسبع حسرة ... أولئك(30)حزب الله ما فوقهم حزب
على القرطبي الحبر أستاذنا الذي ... على أهل هذا العصر فضله الرب

25- في الذيل والتكملة : «خطأ»، السفر : 453:2/5.
26- رد الرندي عليه بكتابه : «الخبى في أغاليط ابن القرطبي».
27- نفس المصدر : 208.
28- انظر : الذيل والتكملة : 218/4، وأنباء مالقة : 118.
29- في الإحاطة : «مسدده الأسرى».
30- في الإحاطة : «أولئكم».

مختصره :

يتضمن مختصر أبي محمد القرطبي البحور الخليلية الخمسة عشر، وبحر المتدارك للأخفش، وما يعتريها من زحاف وعلل، وهي مرتبة على الشكل التالي : الطويل، والمديد، والبسيط، والوافر، والكامل، والهزج، والرجز، والرمل، والسريع، والمنسرح، والخفيف، والمضارع والمقتضب، والمجتث، والمتقارب وأخيرا المتدارك.

دوافع تأليفه :

يروي لنا ابن عبد الملك المراكشي الدافع الذي جعل الكاتب يؤلف هذا المختصر الهام بقوله[31] : «قرئ عليه يوما باب الابتداء بالكلم التي يلفظ بها من إيضاح الفارسي وكان أحسن الناس قياما عليه، فتكلم على المسألة الواقعة في ذلك الباب المتعلقة بعلم العروض، وكان في الحاضرين من أحكم صناعة العروض فجاذبه الكلام في المسألة وضايقه في المباحثة حتى أحس الأستاذ من نفسه التقصير، إذ لم يكن له قبل كبير نظر في العروض، فكف عن الخوض في تلك المسألة وهمه ذلك وشغل باله واشتد عليه وانصرف إلى منزله وعكف سائر يومه عليتصفح علم العروض، حتى فهم أغراضه وحصل قوانينه[32] وصنف فيه مختصرا نبيلا».

يستخلص من هذه الرواية أن حاجة القرطبي إلى علم العروض، لمساجلة أنداده مجالس العلم وحلقات الدرس، وإدلائه بدلوه في كثير من قوانينه وفنونه، هي التي دفعته الى تأليف هذا المختصر الطريف، الذي ييسر للمتعلم تحصيل هذا العلم واستيعاب قواعده.

---

31 - الذيل والتكملة : 196/4.

32 - في الإحاطة : «تواليفه».

منهجه :

نهج المؤلف في «مختصره» طريقة جديدة في البحور الستة عشر للشعر العربي، ترتكز على وحدة البيت، وتنويع أضرب أعاريضه بالتصرف في جانب الصيغ، مع الاعتماد على الدوائر الخليلية الخمس : المؤتلفة، والمختلفة، والمجتلبة، والمشتبهة، والمنفردة.

ولم يغفل بحر المتدارك، الذي اخترعه الأخفش، وتبادله الفك مع بحر الرمل في الدائرة الخامسة.

وعني بالزحاف، وذكر ما يجري منه في الأعاريض والأضرب وجوبا وجوازا، وما يعتري حشو البيت جوازا وشذوذا.

وذكر انفكاك بحور كل دائرة على حدة، ابتداءا من الأصل، مظهرا بذلك اقتداره، وذكاءه، ونفوذ فهمه.

وقد حدد هذا المنهج ابن عبد الملك المراكشي بقوله[33] : «أبدع فيه بنظم مثله في صدور خمسة، لخمس دوائر الشعر العربي، ينفك من كل صدر أشطار دائرته وأعاريضها، ونظم لكل شطر أيضا عجزا تعرف به أنواع ضروبه».

إنها طريقة مثلى في تعلم علم العروض، بذل المؤلف في ابتكارها ووضع قواعدها جهدا جهيدا، أسعفته فيها ملكته الأدبية وموهبته الشعرية.

33- الذيل والتكملة : 196/4.

وإطرائي لهذه الطريقة لا يعني أنها موسومة بالكمال والتمام، فقد وقع المؤلف في هفوات، سأنكر - بمشيئة الله - ما أدركته منها حسب معرفتي المتواضعة بهذا العلم الخضم.

ولا تنقص هذه الهفوات من قيمة المختصر العلمية والفنية، خصوصا إذا علمنا أن صاحبه عالم فذ. وأديب جهبذ، ومؤلف بارع، أوتى الحكمة وفصل الخطاب.

تقديم المختصر وتحليله

1 - فللطويل[1]: وله عروض[2] واحدة[3] وثلاثة أضرب[4]: سالم[5] ومقبوض[6] ومحذوف[7]:

فدم دائبا تسنى وتدنى أمانيا (مقبوضة)

طويل الأيادي ما تسامي معاليكا (سالم)[8]

معاليا (مقبوض)[9]

معال (محذوف)[10]

مثال قبض فعولن: فدم د[11]: أباء، وثلمه دائبا[12]، وشرمه دأبا[13] وقبض مفاعيلن حذف ياء الأيادي[14]، ومثال العروض المحذوفة الشاذة: أمان[15]، والضرب الشاذ المقصور: معاليك[16]

---

1 – أصله: فعولن مفاعيلن أربع مرات في مصرعي البيت: الصدر والعجز. ومثاله في المصرع قول الشاعر الجاهلي امرئ القيس في مطلع معلقته:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ... بسقط اللوى بين الدخول فحومل

قفانب | كمن ذكرى | حبيبن | ومنزلي ... بسقطل | لوى بينـد | دخول | فحوملي

فعولن | مفاعيلن | فعولن | مفاعلن ... فعولن | مفاعيلن | فعولن | مفاعلن

تابع

2 - العروض : اسم الجزء الذي في آخر النصف الأول من البيت (الصدر) وهي مؤنثة، ويجمع على أعاريض على غير قياس. ومثاله في البيت السابق : و منزل.

3 - وتكون : مقبوضة.

4 - الأضرب : ج ضرب وهو اسم الجزء الذي في آخر النصف الثاني من البيت (العجز)، وهو مذكر، ومثاله في البيت السابق : فحومل.

5 - سالم : (مفاعيلن).

6 - مقبوض : محذوف الخامس الساكن من التفعيلة : (مفاعلن).

7 - محذوف : الذي حذف السبب الخفيف من آخر التفعيلة : (مفاعي) وتصير : (فعولن).

8 - وتقطيعه :

فدمْ دا	ثبن تَسْنى	وتدنى	أمانيا	طويلل	أيادى ما	تُسامي	معاليكا
فعولنْ	مفاعيلنْ	فعولنْ	مفاعلن	فعولنْ	مفاعيلن	فعولن	مفاعيلنْ
			(مقبوضة)				(سالم)

9 - وتقطيعه :

فدم دا	ثبن تسنى	وتدنى	أمانيا	طويلل	أيادى ما	تسامى	معاليا
فعولنْ	مفاعيلنْ	فعولنْ	مفاعلن	فعولنْ	مفاعيلن	فعولنْ	فعولنْ
			(مقبوضة)				(مقبوض)

10 - تقطيعه :

فدم دا	ثبن تسنى	وتدنى	أمانيا	طويلل	أيادى ما	تسامى	معال
فعولنْ	مفاعيلنْ	فعولنْ	مفاعلنْ	فعولنْ	مفاعيلن	فعولنْ	فعولنْ
			(مقبوضة)				(محذوف)

11 - فدم د = فعول، وأصلها قبل إجراء القبض : فدم دا = فعولن.

12 - دأبا = فعْلن، وأصلها قبل إجراء الثلم : فعولن، فذهب أول حركتها : عولن، فصارت : فعْلن.

والثلم : خرم في الوتد الخماسي (فعولن).

ومثاله مع الكف قول الشاعر :

شاقتك أحداج سليمى بعاقل فعيناك للبين تجودان بالدمع

تابع

تقطيعه :

شاقتْ	كأحداج	سليمى	بعاقلن	فعينا	كللبين	تجودا	نبدْ معى
فَعْلَنْ	مفاْعيلْ	فَعُولُنْ	مَفاْعِلُنْ	فعولُنْ	مفاْعيلْ	فعولُنْ	مفاْعيلُنْ
(أثلمْ)	(مكفوف)		(مقبوضة)		(مكفوف)		(سالم)

الكف : حذف السابع الساكن : (مفاعيلن، مفاعيل).

13 - دَائبا = فعْلُ، وأصلها قبل إجراء الثرم : فعولن : فذهب أول الجزء (ف)، وسقط الخامس الساكن (ن)، عُولُ، وتصير التفعيلة، فَعْلُ.

والثرم : هو اجتماع الخرم والقبض، وهو قبيح، فالخرم، هو ذهاب أول حركة من وتد الجزء الأول من البيت، وأكثر ما يقع في البيت الأول، وقد يقع قليلا في أول عجز البيت، ولا يكون أبداً إلا في وتد، وقد أنكره الخليل لقلته فلم يجزه، وأجازه الناس. (انظر العمدة، ج: 144/1).

ومثال الثرم، قول الشاعر :

هاجك ربعى دارس الرسم باللوى لأسماء عفى آيه المور و القطر

هاج	كربعيد	رسررس	مبللوا	لأسما	أعففاءء	يهلمو	رولقطرو
فَعْلُ	مفاْعيلُنْ	فعولُنْ	مفاْعلُنْ	فعولُنْ	مفاْعيلُنْ	فعولُهْ	مفاْعيلُنْ
							(أثرم)

14 - القبض في «الأيادي» (فعولن)، حذف «الياء» (الخامس الساكن)، أياد (فعول).

15 - الأصل فيها : أمانيا (مفاعلن)، وبعد إجراء الحذف (يا)، صارت : أمان (مفاع)، ونقلت إلى (فعول)، وهو شاذ في العروض.

16 - القصر، هو : حذف ساكن السبب الخفيف، وتسكين متحركه، ومثاله: معاليكا (مفاعيلن) في الضرب الصحيح، معاليك (مفاعيل)، وهو شاذ أيضا في هذا البحر.

2 - وللمديد[1] : وله ثلاث أعاريض[2] وستة أضرب[3] :

آ لها آ، وبيتها :

دائباً تُسنى وتدنى أمانيا (مجزوءة)

مديد البذل للعارفات (كالعروض)[4]

بَ لها جَ وبيتها :

دائباً تسنى وتدنى أمانٍ (محذوفة)

مديد البذل للعارفات (مقصور)[5]

للعارف (محذوف)[6]

للعرف (أبتر)[7]

جـ لها بَ، وبيتها :

دائباً تسنى وتدنٍ امان (محذوفة لازمة الحنين)

مديد البذل للعُرْفِ (كالعروض)[8]

للعُرْفِ (أبتر)[9]

خبن «فاعلن: تُسْن[10] ،و«فاعلاتن»:تدن[11] ، وكفّه:«أمانيا»[12]، وفيه المعاقبة[13] : الصدر والعجز والطرفان[14].

---

1 - أصل المديد : فاعلاتن فاعلن، أربع مرات، وهو في الاستعمال مجزوء : فاعلاتن فاعلن فاعلاتن، مرتين.والمجزوء : هو ماحذف جزءا عروضه وضربه.

تابع

2 - أعاريضه : سالمة، ومحذوفة، ومحذوفة مخبونة.

3 - وأضربه، سالم، ومقصور، ومحذوف، وأبتر، ومحذوف مخبون، وأبتر.

4 - تقطيعه :

دائبنتس	نيوتْدْ	نيأمانن	مدد يدل	بذللل	عارفاتي
فاعلاتنْ	فاعلنْ	فاعلاتنْ	فاعلتنْ	فاعلنْ	فاعلاتنْ
		(مجزوءة سالة)			(سالم)

تنبيه : لم يستقم وزن العروض بـ «أمانيا» فأبدلتها ب: «أمانٍ».

5 - تقطيعه :

دائبنتس	نيوتْدْ	نيأمن	مدد يدل	بذللل	عارفاتْ
فاعلاتنْ	فاعلنْ	فاعلنْ	فاعلتنْ	فاعلنْ	فاعلانْ
		(محذوفة)			(مقصور)

تنبيه : لم يستقم وزن «أمان» في العروض، فأبدلتها : «أمن».

6 - تقطيعه :

دائبنتس	نيوتْدْ	نيأمن	مدد يدل	بذللل	عارفى
فاعلاتنْ	فاعلنْ	فاعلنْ	فاعلتنْ	فاعلنْ	فاعلنْ
		(محذوفة)			(محذوف)

7 -

دائبنتس	نيوتْدْ	نيأمن	مدد يدل	بذللل	عُرفى
فاعلاتنْ	فاعلنْ	فاعلنْ	فاعلتنْ	فاعلنْ	فعلنْ
		(محذوفة)			(مبتور)

البتر : اجتماع الحذف (إسقاط السبب الخفيف من آخر الجزء) مع القطع (حذف ساكن الوتد المجموع وتسكين ما قبله).

8 - تقطيعه :

دانبنتس	نيوتُذْ	نامنْ	مدد يدل	بذللل	عرفى
فاْعلاْتنْ	فاْعلنْ	فعِلنْ	فاْعلتنْ	فاْعلنْ	فاْعلاتنْ
		(مجنوفة مخبونة)			(محنوف مخبون)

الخبن : حذف الثاني الساكن من التفعيلة، مثل : فاعلن، فعلن.

9 -

دانبنتس	نيوتُذْ	نامن	مدد يدل	بذللل	عُرفي
فاْعلاْتنْ	فاْعلنْ	فعِلنْ	فاْعلتنْ	فاْعلنْ	فعْلنْ
		(محذوفة مخبونة)			(مبتور)

10 - الخبن في : «تُسْنِ» (فاع) من فاعلن، تُن (فع).

11 - والخبن في : «تُذْنِ» (فاع) من فاعلاتن، تن (فع).

ومثال البيت المخبون، قول الشاعر :

ومتى ما يَع منك كلاماً   يتكلم فيجبك بعقل

ومتيما	يعمن	ككلا من	يتكللم	فيجب	كبعقلى
فعلاتنْ	فعلنْ	فعلاتنْ	فعلاتنْ	فعلنْ	فعلاتنْ

فجميع أجزاء البيت مخبونة.

12 - الكف في «أمانيا» (فاعلاتن)، أماني (فاعلات)

ومثال البيت المكفوف، قول الشاعر :

إن يزال قومنا مخصبين   صالحين ماتقوا واستقاموا

إن يزال	قومنا	مخصبين	صالحين	متتقو	واستقامو
فاْعلاتَ	فاْعلنْ	فاْعلاتَ	فاْعلاتَ	فاْعلنْ	فاْعلاتنْ
(مكفوف)		(مكفوفة)	(مكفوف)		

تابع

13- والمعاقبة : هي أن يتقابل سببان في جزءين، فهما متعاقبان السقوط، يسقط ساكن أحدهما لثبوت ساكن الآخر، ويثبتان جميعا، ولا يسقطان جميعا، والمعاقبة بين سببي جزءين من جميع الأوزان في أربعة أنواع : المديد، والرمل، والخفيف، والمجتث. (انظر العمدة، ج: 149/1).

فإذا جاء : فاعلاتن فاعلاتن هكذا : فاعلاتن معلاتن، فهو: الصدر.

وإذا جاء على هذه الصورة : فاعلات فاعلاتن، فهو : العجز.

14- والطرفان : هو أن يجرى الزحاف على هذا النحو: فاعلاتن فعلات فاعلاتن.

ومثال الطرفين، قول الشاعر :

ليت شعري هل لنا ذات يوم ... بجنوب فارع من تلاقي

ليت شعري	هللنا	ذاتيومن	بجنوب	فارعن	منتلاقي
فاْعلاتنْ	فاْعلنْ	فاْعلاتنْ	فعلاتَ	فاْعلنْ	فاْعلاتنْ

(بين الألف والنون)

إضافة :

وأضاف بعضهم : الشكل إلى زحاف المديد، وهو مركب من الخبن والكف.

ومثاله قول الشاعر :

لمن الديار غير هن ... كل داني المزن جون الرباب

لمندد	يارغيـ	يرهنن	كللداني	مزنجو	نرر بابي
فعلاتَ	فاْعلنْ	فعلاتَ	فاْعلاتنْ	فاْعلنْ	فاْعلاتنْ

3 - وللبسيط[1] : وله جـَ[2] و و[3]

آ لها بَ، وبيتها :

تُسنى وتدنى امانياً فدم داما (لازمة الخبن)

فينا بسيط اللهى مأمول هاميها (كالعروض)[4]

ميها (مقطوع)[5]

بَ لها جـَ، وبيتها :

تسنى وتدنى امانيا فدم (مجزوءة معراة)

فينا بسيط اللهى مأمول هام (محذوف)[6]

مأمولها (كالعروض)[7]

مأمولا (مقطوع)[8]

جَ لها آ، وبيتها :

تسنى وتدنى امانيا دم (مجزوءة مقطوعة)

فينا بسيط اللهى مأمولا (كالعروض)[9]

.وينفك المديد على أصله من،دائبا[10]،والبسيط من تُسنى[11]

---

1 - أصل البسيط : مستفعلن فاعلن، أربع مرات، وهو يستعمل تارة مثمنا وأخرى مجزوءا مسدسا.

2 - له ثلاث أعاريض : الأولى مخبونة في المثمن، والثانية : مجزوءة سالمة، والثالثة : مجزوءة مقطوعة.

3 - وله ستة أضرب، الاولان للعروض الأولى، وهما : مخبون، ومقطوع، والثلاثة الأخرى للعروض الثانية، وهي : مذال، وسالم، ومقطوع ، والضرب الأخيرللعروض الثالثة، وهو : سالم.

تابع

4 - تقطيعه :

تُسنيوتد	نياما	نيْينْفدُم	دأما	فينا بسيـ	طللهى	مأمولها	ميْها
مسْتفعلنْ	فاْعلنْ	مستفعلنْ	فعلنْ	مستفعلنْ	فاْعلنْ	مستفعلنْ	فعلنْ
			(مخبونة)				(مخبون)

5 - تقطيعه :

تُسنيوتد	نياما	نيْينْفدُم	دأما	فينا بسيـ	طللهى	مأمولي	يها
مستفعلنْ	فاْعلنْ	مستفعلنْ	فعلنْ	مستفعلنْ	فاْعلنْ	مستفعلن	فعلْ
			(مخبونة)				(مقطوع)

القطع : من علل النقص، وهو : حذف ساكن الوتد المجموع، وإسكان ما قبله، نحو: فاعلن، بيحذف (النون)، ويسكن (اللام) وتصير : فاعلْ، وتقلب إلى : فعْلُن.

6 - تقطيعه :

تُسنيوتد	نياما	نيْيا فدم	فينا بسيـ	طللهى	مأمولهامْ
مستفعلنْ	فاْعلنْ	مستفعلن	مستفعلنْ	فاْعلنْ	مستفعلانْ
		(مجزوءة معراة)			(مذال)

تنبيه :

جرى في ضرب العروض المجزوءة الإذالة، بدل الحذف، الذي وقع للمؤلف في خلط.

والإذالة : زيادة حرف ساكن على ما آخره وتد مجموع.

7 - تقطيعه :

تُسنيوتد	نياما	نيْيا فدم	فينا بسيـ	طللهى	مأمولها
مستفعلنْ	فاْعلنْ	مستفعلن	مستفعلنْ	فاْعلنْ	مستفعلنْ
		(مجزوءة معراة)			(مجزوءمعرى)

المعرى : هو السالم من العلة بالزيادة.

تابع

8 - تقطيعه :

تسنيوتد	نياما	نيْيا فدم	فينا بسيـ	طللهى	مأمولا
مسْتفعلنْ	فاعلنْ	مستفعلن	مستفعلنْ	فاعلنْ	مفعولنْ
		(مجزوءة معراة)			(مجزوء مقطوع)

9 - تقطيعه :

تُسنيوتد	نياما	نيْيا دم	فينا بسيـ	طللهى	مأمولا
مسْتفعلنْ	فاعلنْ	مفعولنْ	مستفعلنْ	فاعلنْ	مفعولنْ
		(مجزوءة مقطوعة)			(مجزوء مقطوع)

إضافة :

يسمى البيت المقطوع عروضا وضربا، مخلعا، ويرى الخليل أن العروض المقطوعة لا تجامع غير الضرب المقطوع، والكسائي يرى خلاف ذلك. (انظر: مفتاح العلوم. ص: 533).

10 - ينفك المديد على أصله من السبب الخفيف بعد الوتد المجموع الأول من وزن الطويل، ومثاله : دائبا = فاعلن.

وانفكاك المديد من الطويل يتم بالشكل التالي :

فدم	دائباً تسنى
فعو	لن مفاعيلن
	فاعلاتن

11 - وينفك وزن البسيط من الطويل من مقام أو سبب من الجزء (عيلن)، مثاله : تسنى (مستف).

ومن الطويل يجرى على الشكل التالي :

فدم دائبا	تسنى وتدنى أمانيا
فعو لن مفا	عيلن فعولن مفاعلن
	مستفعلن فاعلن

4 - وللوافر[1] : وله ب[2] وجـ[3] :

آ لها آ، وبيتها :

نما نبأٌ أشاد به رسولٌ (مقطوف)

بوافر نعمةٍ شمل الجميعا (كالعروض)[4]

بَ لها بَ، وبيتها :

نما نبأ اشاد به (مجزوءة)

بوافر نعمة شملا (سالم)

شمْلا (معصوب)

. العصب[7] تسكين باء «نبأ»، والعضب[8] حذف نون «نما»، والقصم[9] اجتماعهما، والعقل[10] تسكين باء «نبأ» ونقل حركة الهمزة إليها - قلت: أحسن من هذا تسهيل همزة نبأ بالحذف، والجمم[11] اجتماعه مع العضب، والنقص[12] تسكين باء «نبأ» ونقل همزة «أشاد» إليها، والعقص[13] اجتماعه مع العضب.

---

1 - أصل الوافر : مفاعلتن، ست مرات، وهو يسدس على الأصل تارة، ويربع مجزوءا أخرى.

2 - ولمسدسه عروض واحدة : مقطوفة، ولمربعه عروض واحدة : سالمة.

3 - ولعروضه الأولى ضرب واحد مثلها، ولعروضه الثانية ضربان، الأول : سالم، والثاني : معصوب.

تابع

4 - تقطيعه :

جميعا	متنشملل	بوافر نع	رسولن	أشاد بهى	نمانبؤن
فعولن	مفاعلتن	مفاعلتن	فعولن	مفاعلتن	مفاعلتن
(مقطوف)			(مقطوفة)		

القطف : من علل النقص، وهو: إسقاط السبب الخفيف وتسكين ما قبله. وهو مركب من الحذف والعصب.

5 - تقطيعه :

متنشملا	بوافرنع	أشاد بهى	نمانبؤن
مفاعلتن	مفاعلتن	مفاعلتن	مفاعلتن
(سالم)		(مجزوءة سالمة)	

6 - تقطيعه :

متنشملا	بوافرنع	أشاد بهى	نمانبؤن
مفاعيلن	مفاعلتن	مفاعلتن	مفاعلتن
(معصوب)		(مجزوءة سالمة)	

7 - العصب، هو: تسكين الخامس المتحرك، نحو: «نمانبأ» (مفاعلتن)، تسكين «باء» (نبْأ) = عيلن، وتصير التفعيلة : مفاعيلن.

8 - العضب، هو : إسقاط المتحرك الأول من الوتد المجموع في الجزء الصدري، ويسمى الخرم، وقد أنكره الخليل لقلته، ولم يجزه. نحو : «نمانبأ» = مفاعلتن، إسقاط «نون» : نما (مفا)، فتصير : «مانبأ» مفتعلن.

9 - القصم، هو: اجتماع العصب مع العضب، نحو : «نما نبأ» = مفاعلتن، تصير : «ما نبْأ» = مفعولن.

تابع

10- العقل، هو : حذف خامس التفعيلة المتحرك، نحو: «نبأ» نأ، وتصبح في الجزء : نمانأ» = مفاعلن.

11- الجمم : اجتماع العقل مع العضب، نحو قول الشاعر :

أنت خيـر من ركب المطايا   وأكرمهم أخا وأبا وأماً

أنت خي	رمنركبل	مطايا	وأكرمهم	أخنوأبن	وأممن
فاعلنْ	مفاعَلتنْ	فعولنْ	مفاعلتنْ	مفاعلنْ	فعولنْ

(أجم)

فمفاعلتن، جرى عليها حذف المتحرك الأول من الوتد المجموع (الميم)، فاعلتن، ثم حذف الخامس المتحرك منها، (التاء)، فصارت: فاعلن.

12- والنقص : مركب من العصب والكف، مثل : «نما نبأ» تسكين (الباء)، وحذف (النون) : نما نبأْ = مفاعيلُ.
(مفاعلتن : مُفاعلْتن، مُفاعلْتُ : مفاعيلُ).

13- والعقص، هو: اجتماع النقص مع العضب، مثل قول الشاعر :

لولا ملك رؤف رحيم   تداركني برحمته هلكتُ

لولام	لكنرؤفن	رحيمن	تداركني	برحمتهي	هلكتو
مفعولْ	مفاعلتنْ	فعولنْ	مفاعلتنْ	مفاعلتن	فعولنْ

(أعقص)

فمفاعلتن، جرى عليها تسكين الخامس المتحرك : (مفاعلْتن)، وحذف السابع الساكن فيها : (مفاعلْتُ)، وحذف المتحرك الاول في الوتد (فاعلْتُ)، فتصير : مفعُولُ.

5 - الكامل[1] : وله جـ[2] وو[3]

آ لها جـ، وبيتها :

نبأ أشاد به رسولكم نما (تامة)

فتكاملت فرحات نائينا بهِ (كالعروض)[4]

نائِيْنا بِهْ (مقطوع ممنوع..)[5]

حـ لها د، وبيتها:

نبأ أشاد به نما فتكاملت فرحات نادى (مرفل)[6]

فرحات نادْ (مذال)[7]

فرحاتنا (معرى)[8]

فرحاتُ (مقطوع)[9]

• ينفك الوافر[10] على أصله من «نما» والمديد[11] من «نبا»، ومواضع[12] الاضمار والوقص والخزل : العصب والعقل والنقص في الوافر.

---

1 - أصل الكامل : متفاعلن، ست مرات : يسدس على الأصل تارة، ويربع مجزوءا أخرى.

2 - وله عروضان، الأولى : تامة، والثانية : مجزوءة سالمة.

3 - وله ستة أضرب : الأول : تام، والثاني : مقطوع، وهما للمسدس، والثالث : مرفل، والرابع : مذال، والخامس : معرى، والسادس : مقطوع، والأضرب الأربعة الأخيرة للمربع.

تابع

4 - وتقطيعه :

نبؤ ناشا	دبهيرسو	لكموتما	فتكاملت	فرحاتنا	دينابهي
مُتَفَاْعِلُنْ	مُتَفَاْعِلُنْ	مُتَفَاْعِلُنْ	مُتَفَاْعِلُنْ	مُتَفَاْعِلُنْ	مُتَفَاْعِلُنْ
		(تامة)			(تام)

5 - وتقطيعه :

نبؤ ناشا	دبهيرسو	لكموتما	فتكاملت	فرحاتنا	ديناب
مُتَفَاْعِلُنْ	مُتَفَاْعِلُنْ	مُتَفَاْعِلُنْ	مُتَفَاْعِلُنْ	مُتَفَاْعِلُنْ	فعلاتن
		(تامة)			(مقطوع)

إضافة :

ولهذة العروض، ضرب ثالث : أحذ مضمر، مثاله : قول الشاعر :

لمن الديار برامين فعاقل درست وغير آيها القطرُ

لمن ديا	ربرامتي	نفعاقلن	درست وغي	برأيهل	قطرو
مُتَفَاْعِلُنْ	مُتَفَاْعِلُنْ	مُتَفَاْعِلُنْ	مُتَفَاْعِلُنْ	مُتَفَاْعِلُنْ	فَعْلُنْ
		(تامة)			(أحذ مضمر)

الحذذ : حذف الوتد المجموع برمته، والاضمار : تسكين الثاني المتحرك، نحو: متفاعلن، متفا، فَعِلُن، فَعْلُنْ.

6 - وتقطيعه :

نبؤ نأشا	دبهينما	فتكاملت	فرحاتنادي
مُتَفَاْعِلُنْ	مُتَفَاْعِلُنْ	مُتَفَاْعِلُنْ	متفاعلاتن
	(مجزوءة تامة)		(مجزوء مرفل)

الترفيل : زيادة سبب خفيف على ما آخره وتد مجموع.

7 - وتقطيعه :

نبؤ ناشا	دبهينما	فتكاملت	فرحاتنادْ
مُتَفَاْعِلُنْ	مُتَفَاْعِلُنْ	مُتَفَاْعِلُنْ	متفاعلانْ
	(مجزوءة تامة)		(مجزوء مذال)

الإذالة : زيادة حرف ساكن على ما آخره رتد مجموع.

8 - وتقطيعه :

نبؤ ناشا	دبهينما	فتكاملت	فرحاتنا
مُتَفَاْعِلَنْ	مُتَفَاْعِلُنْ	متفاعلن	مُتَفَاْعِلَنْ
	(تامة)		(معرى)

تابع

9 - وتقطيعه :

نبؤ ناشا | دبهينما   فتكاملت | فرحاتو
متفاعلن | متفاعلن   متفاعلن | فعلاتن
(تامة)   (مقطوع)

إضافة : لمسدس الكامل عروض ثانية : حذاء ولها ضربان، أولهما، أحذ، وثانيهما : أحذ مضمر.

مثال العروض الحذاء والضرب الأحذ، قول الشاعر :

لمن الديار عفى مرابعها   هطل أجش وبارح ترب

لمنديا | رعفيمرا | بعها   هطلنأجش | شوبارحن | تربن
متفاعلن | متفاعلن | فعلن   متفاعلن | متفاعلن | فعلن
(حذاء)   (أحذ)

ومثال العروض الحذاء والضرب الأحذ المضمر، قول الشاعر :

ولانت أشجع من أسامة إذ   دعيت نزال ولجّ في الذعر

ولانتأش | جعمنأسا | متإذ   دعيتنزا | لولججفذ | ذعرى
متفاعلن | متفاعلن | فعلن   متفاعلن | متفاعلن | فعلن
(حذاء)   (أحذ مضمر)

10 - ينفك الوافر على أصله من «نما» (مفاا)، نحو :

نمافتكا | ملتفرحا
مفاعلتن | مفاعلتن

11 - وينفك المديد من «نبا» (فعلا)، نحو :

نبؤن أ | شاد
فعلات | فا

12 - تتفق الزحافات الستة: الاضمار (مفرد)، والوقص (مفرد)، والخزل (مركب من الاضمار والطي)، والعصب (مفرد)، والعقل (مفرد)، والنقص (مركب من العصب والكف)، في البحرين : الكامل والوافر.

فالإضمار في صدر الكامل يقابل العصب في عجز الوافر.

مثاله : مُتفاعلن (فرعية) (مركبة من : سببين ووتد مجموع) مفاعلتن (أصلية) (مركبة من : وتد مجموع وسببين)

مستفعلن (فرعية)   مفاعيلن (أصيلة)

تابع

فالتغييران يصيبان (السبب الثقيل) من التفعيلتين.

وبرد عجز التفعيلة الثانية (الوافر) على صدرها، تصبح كتفعيلة الكامل (المضمرة) : عيلن مفا = مستفعلن.

وبهذا تتعادل التفعيلتان : متفاعلن = عَلْتُن مفا

مستفعلن = مستفعلن

والوقص في صدر تفعيلة الكامل، يقابل العقل في عجز تفعيلة الوافر.

مثاله: مـ(تـ)ـفاعلن (فرعية) مفاعـ(لـ)ـتن (أصيلة)

مفاعلن	مفاعتن
مفاعلن (أصلية)	مفاعلن (أصلية)

وتبقى تفعيلة الوافر على نفس الحال برد عجزها على صدرها.

علن مفا = مفاعلن.

والخزل في صدر جزء الكامل يقابل النقص في عجز جزء الوافر، مثاله :

متْفاعلن	مفاعلتن
متْفعلن	مفاعلْت
مُفْتعلن	مفاعيلُ

وبرد عجز جزء الوافر على الصدر يصبح كجزء الكامل :

علْتُ مفا

مفتعلن

وبهذا تتعادل التفعيلتان : متفعلن = علْت مفا

مفتعلن = مفتعلن

6 - وللهزج[1] : آ[2] وب[3]، وبيتها :

أخى راعى أماديحى (مجزوءة)

وتهزيجى أراعيكا (كالعروض)[4]

أراعى (محذوف)[5]

. حذف ياء «أماديح» قبض[6]، وحذف ياء المتكلم كف[7]، وحذف همزة «أخى» خرم[8] - أمر من وخيت - واجتماعه مع الكف حزب[9] وهو خىْ رَعْىَ، ومع القبض شتر[10] وهو: خيرُعى.

---

1 - أصل الهزج : مفاعيلن ست مرات، وفي الاستعمال مجزوء مربع.

2 - له عروض واحدة : سالمة.

3 - وله ضربان، أولهما، سالم، وثانيهما : محذوف.

4 - وتقطيعه :

أخيراعى	أماديحى	وتهزيجى	أراعيكا
مفاعيلن	مفاعيلن	مفاعيلن	مفاعيلن
	(مجزوءة سالمة)		(سالم)

5 - وتقطيعه :

أخيراعى	أماديحى	وتهزيجى	أراعى
مفاعيلن	مفاعيلن	مفاعيلن	فعولن
	(مجزوءة سالمة)		(محذوف)

6 - القبض : حذف الخامس الساكن من التفعيلة، مثل : «أماديح» (مفاعيلن)، أمادح (مفاعلن).

7 - والكف : حذف السابع الساكن من التفعيلة، مثل : «أماديحى» (مفاعيلن) أماديح (مفاعيل).

8 - والخرم، ذهاب أول حركة من وتد الجزء الأول من البيت، مثل : «أخى» (مفا)، خى (فا)، في «أخى راعى» مفاعيلن : خيراعى (مفعولن).

9 - الخرب : اجتماع الخرم مع الكف، مثل : خى رعْىَ = مفعول، وأصلها : «أخى راعى»، مفاعيلن.

10 - الشتر : اجتماع الخرم مع القبض، مثل : خيرُعى = فاعلن، والأصل فيها : أخى راعى : مفاعيلن.

7 – وللرجز[1] : دَ[2] و هَ[3] :

آ لها بَ، وبيتها :

راعى أماديحى ونل نولا أخي (تامة)

للراجز المهدى لكم أمداحُهُ (كالعروض)[4]

أمداحَهْ (مقطوع)[5]

ب لها آ، وبيتها :

راعى أماديحى ونل (مجزوءة)

نولاً أخي للراجز (كالعروض)[6]

جـ هي الضرب، وبيتها :

راعى أماديحى ونل للراجز (مشطور)[7]

دَ هي الضرب، وبيتها :

راعى ونل للراجز (منهوك)[8]

. حذف أولى الياءين من «أماديحى» خبن[9]، وحذف الثانية طى[10]. وحذفهما خبل[11].

---

1 – أصل الرجز : مستفعلن ست مرات، ويستعمل مسدساً تارة على الأصل، ومربعاً مجزوءاً أخرى، ويثلث مشطور الثالث خلافاً لمذهب الخليل، ويثنى منهوكاً رابعه، على قول الخليل ومن تابعه دون الأخفش، ويوحّد مشطور منهوك على قول الزجاج وحده.

تابع

2 - وله عروضان : سالمتان، وعروضان: مشطورة، ومنهوكة، وهما الضرب.

3 - وله ثلاثة أضرب، تام، ومقطوع، ومجزوء سالم.

4 - وتقطيعه :

راعيأما	نيحيونلْ	نولنّاخي	لررا جزل	مهْد يلكم	أمداحهو
مستفعلنْ	مستفعلنْ	مستفعلنْ	مستفعلنْ	مستفعلنْ	مستفعلنْ
		(تامة)			(تام)

5 - وقطيعه :

راعيأما	نيحيونلْ	نولنّاخي	لررا جزل	مهْد يلكم	أمداحهْ
مستفعلنْ	مستفعلنْ	مستفعلنْ	مستفعلنْ	مستفعلنْ	مفعولنْ
		(تامة)			(مقطوع)

6 - وتقطيعه :

راعيأما	نيحيونلْ	نولنّاخي	لرراجزي
مستفعلنْ	مستفعلنْ	مستفعلنْ	مستفعلنْ
	(مجزوءة سالمة)		(مجزوء سالم)

7 - وتقطيعه :

راعيأما	نيحيونل	لرراجزي	
مستفعلنْ	مستفعلنْ	مستفعلنْ	(مشطور)

[المشطور : ما حذف نصفه.]

8 - وتقطيعه :

راعيونل لرراجزي

مستفعلنْ مستفعلنْ (منهوك)

المنهوك : ما حذف ثلثا شطريه، وبقي الثلث الآخر.

9 - الخبن : حذف الثاني الساكن من السبب الخفيف الأول، مثل : «أمانيحي» : مفاعيلن، أمانحي (حذف الياء)، مفاعلن.

10 - الطي : حذف الثاني الساكن من السبب الخفيف الثاني، مثل : «أمانيحي» مفاعيلن، أمانيح (حذف الياء)، مفاعيلُ.

11 - الخبل : مركب من الخبن والطي، مثل : «أمانيحي» مفاعيلن، أمانح (حذف الياءين للسببين الخفيفين)، مفاعلُ.

8 - وللرمل[1] : وله بَ[2] وو[3] :

آ لها جـ، وبيتها :

عى أماليحى ونل نولاً أخى (محذوفة)

قد رملنا نرتجى ذاك المنالا (متمم)[4]

ذاك المنال (مقصور)[5]

ذاك المنا (محذوف)[6]

بَ لها جـ، وبيتها :

عى أماليحى ونلنا (مجزوءة)

قد رملنا نرتجى ذاك (مسبغ)[7]

نرتجى ذا (معرى)[8]

نرتجى (كالعروض)[9]

إستدرك الزجاج عروضا بيتها :

عى اماليحى ونل (مجزوءة مخرومة)

قد وصلنا نرتجى (كالعروض)[10]

. حذف ياء «عى» خبن[11]، وحذف ياء «أماليح» كف[12]، وحذفهما شكل[13]، ومعاقبته[14] كالمديد. انفكاك الهزج[15] على أصله من : أخى وراعى أماليحى ونل نولاً، والرجز[16] من: راعى، والرمل[17] من: عى.

---

1 - أصل الرمل : فاعلاتن، ست مرات، ويسدس على الأصل تارة، ويربع مجزوءا أخرى.

تابع

2 - وله ثلاث أعاريض، الأولى : محذوفة، والثانية مجزوءة سالمة، والثالثة : مجزوءة مخرومة.

3 - وله سبعة أضرب : ثلاثة للعروض المحذوفة، وهي : سالم، ومقصور، ومحذوف، وثلاثة للعروض المجزوءة، وهي : مسبغ، ومعرى، ومحذوف.

4 - وتقطيعه :

عيأ ما نى	حيونلنو	لنأخي	قدر ملنا	نرتجيذا	كلمنا لا
فاعلاتن	فاعلاتن	فاعلن	فاعلاتن	فاعلاتن	فاعلاتن
		(محذوفة)			(تام)

5 - وتقطيعه :

عيأ ما نى	حيونلنو	لنأخي	قدر ملنا	نرتجيذا	كلمنال
فاعلاتن	فاعلاتن	فاعلن	فاعلاتن	فاعلاتن	فاعلان
		(محذوفة)			(مقصور)

6 - وتقطيعه :

عيأ ما نى	حيونلنو	لنأخي	قدر ملنا	نرتجيذا	كلمنا لا
فاعلاتن	فاعلاتن	فاعلن	فاعلاتن	فاعلاتن	فاعلاتن
		(محذوفة)			(محذوف)

7 - وتقطيعه :

عيأ ما نى	حيونلنا	قدر ملنا	نرتجيذاك
فاعلاتن	فاعلاتن	فاعلاتن	فاعلاتان
	(مجزوءة سالمة)		(مسبغ)

التسبيغ : زيادة حرف ساكن في آخر السبب الخفيف.

8 - وتقطيعه :

عيأ ما نى	حيونلنا	قدر ملنا	نرتجيذا
فاعلاتن	فاعلاتن	فاعلاتن	فاعلاتن
	(مجزوءة سالمة)		(معرى)

9 - وتقطيعه :

عيأ ما نى	حيونلنا	قدر ملنا	نرتجى
فاعلاتن	فاعلاتن	فاعلاتن	فاعلن
	(مجزوءة سالمة)		(محذوف)

تابع

الضرب : محذوف، وليس سالما، كما جاء مثبتا في البيت.

10 - وتقطيعه :

عيأ ما دى	حيوتل	قد وصلنا	نرتجى
فاْعلاتنْ	فاْعلنْ	فاْعلاتنْ	فاْعلنْ
	(محذوفة)		(محذوف)

العروض : محذوفة، والضرب مثلها. وقد اختلط الأمر على المؤلف، فعد الحذف خرما، وهو - كما سبق تبيينه - لا يقع إلا في وتد الجزء الأول من البيت.

11 - الخبن في «عى»، حذف «الياء» ثاني السبب الخفيف : ع=ف وبائتلافه مع الوتد المجموع : عاما (فعلا).

12 - والكف في «أماديح»، حذف «الياء» السابع الساكن في الجزء، أماد، وبائتلافه مع السبب الخفيف الأول يصبح : عياماد : فاعلاتُ.

13 - الشكل في «عى أمادى» (فاعلاتن) : «عاماد» (فعلات)، باجتماع الخبن مع الطى.

14 - المعاقبة، من زحاف الحشو، كما سبق ذكره - وهو تعاقب سببين في السقوط، ويقع في أربعة أنواع : المديد، والرمل، والخفيف، والمجتث. (انظر العمدة، ج : 149/1).

15 - وانفكاك الهزج على أصله من :

أخى راعى أماديحى وذل نولا

أخيراعى	أماديحى	وذلنولن
مفاْعيلنْ	مفاْعيلنْ	مفاْعيلنْ

16 - وانفكاك الرجز من الهزج، ابتداء من السبب الخفيف الأول :

أخى راعى أماديحى وتهزيجى أرا

راعيأما	ديحيوته	زيجيارا
مستفعلنْ	مستفعلنْ	مستفعلنْ

17 - وانفكاك الرمل من الهزج والرجز، ابتداء من السبب الخفيف الثاني، مثاله من الهزج :

عى أماديحى واهزيجى أراعى

أخى را	عيامادى	حيوتهزى	جياراعى
	فاْعلاتنْ	فاْعلاتنْ	فاْعلاتنْ

ومثاله من الرجز :

را	عيامادى	حيوتهزى	جياراعى
	فاْعلاتنْ	فاْعلاتنْ	فاْعلاتنْ

9 - وللسريع[1] : د[2] ود[3] :

آ لها جـ، وبيها :

فاخش الردى فئ خف أنب قدانى (مطوية مكسوفة ممنوعة من الخبل)

وأقبل سريع الخبر وأتى هداك (مطوى موقوف ممنوع من الخبل)[4]

وأتى هدى (كالعروض)[5]

واته (أصلم)[6]

---

1 - وأصل السريع : مستفعلن مستفعلن مفعولات، مرتين. ويستعمل مسدساً على الاصل تارة، ومثلثا مشطورا أخرى.

2 - وله عروضان، أولاهما : مطوية مكسوفة، والثانية : مخبولة مكسوفة. وعروض مثلثه المشطور.

3 - وله أربعة أضرب، الأول : مطوى موقوف، والثاني : مطوى مكسوف، والثالث : أصلم، وهي للعروض الأولى، والضرب الرابع : مخبول مكسوف مثل العروض الثانية.

والعروض المثلث المشطور، هي ضربها : الموقوفة والمكسوفة.

4 - وتقطيعه :

فخشر ردى	فئخفأنب	قدانى	وقبلسرى	علخبروا	تيهداك
مستفعلن	مستفعلن	فاعلن	مستفعلن	مستفعلن	فاعلان
		(مطوية مكسوفة)			(مطوى موقوف)

تذكير :

الطى : حذف الرابع الساكن، ثاني السبب الخفيف الثاني.

الكسف : حذف آخر الوتد المفروق.

الوقف : تسكين آخر الوتد المفروق .

5 -

فخشر ردى	فئخفأنب	قدانى	وقبلسرى	علخبروا	تيهدى
مستفعلن	مستفعلن	فاعلن	مستفعلن	مستفعلن	فاعلن
		(مطوية مكسوفة)			(مطوى موقوف)

أ لها آ، وبيتها :

فاخش الردى فئ أنب قداني (مخبولة مكسوفة)
واقـــبل ســـريع الخـــيـــر وانت هدى
(كالعروض)(7)

جـ هي الضرب، وبيتها :

فاخش الردى واقبل سريع الخيرات (مشطور موقوف ممنوع من الطى ملتزمه الرنف)(8)

د هي الضرب، وبيتها :

فاخش الردى واقبل سريع الخير (مشطور مكسوف ممنوع من الطى)(9)

. حذف همزة «فئ» خبن(10)، ونقل حركة «أنبْ إلى فاء» «خَفْ» طى(11)، واجتماعهما خبل(12). ـ نقصه التنبيه على صيرورة «فـ» أمراً من الوفاء ـ.

6 - وتقطيعه :

فخشر ردى	فخففأنب	قداني	وقبلسرى	علخيروا	تيهى
مستفعلن	مستفعلن	فاعلن	مستفعلن	مستفعلن	فعلن
		(مطوية مكسوفة)			(أصلم)

الصلم هو : خذف الوتد المفروق برمته من آخر الجزء : مفعولات، مفعو : فعْلن.

7 - وتقطيعه :

تابع

فخشر ردى | فئخفأنب | قدانى وقبلسرى | علخبروث | تيهدى
مستفعلنْ | مستفعلنْ | فاعلنْ مستفعلنْ | مستفعلنْ | فعلنْ

(مخبولة مكسوفة) (مخبول مكسوف)

الخبل : اجتماع الخبن مع الطى، مفعولات : معُلات، ومع الكسف : معلا، فعلن.

8 - وتقطيعه :

فخشررنى | وقبلسرى | علخيرات
مستفعلنْ | مستفعلنْ | مفعولانْ (مشطور موقوف ممنوع من الطى ملتزمه الردف).

الردف : التقاء الساكنين.

9 - وتقطيعه :

فخشررنى | وقبلسرى | علخيرى
مستفعلنْ | مستفعلنْ | مفعولنْ (مشطور مكسوف ممنوع من الطي).

10 - الخبن في: «فئ»، هو حذف الهمزة (ثاني السبب الخفيف)
وفي : فئ أنب، مستفعلن.
فخف أنب، مفاعلن.

11 - والطى في : «خفْ» هو حذف «الفاء» (الرابع الساكن، ثاني السبب الخفيف الثاني).
وفي : فئ أنب، مستفعلن.
فئخانب، مُفْتعلن.

12 - والخبل في: «فئ خف» مُسْتفْ.َ هو، حذف ثاني السببين الخفيفين (الهمزة والفاء)، أي اجتماع الخبن مع الطي، فخْ : (مُت).
وفي : «فئ خف أنب»
«فخأنب» مُتعلن، فعلتن.

10- وللمنسرح[1] : وله جَ[2] وجَ[3]

آ لها آ وللمحدثين فيها ثان، وبيتها :

فئ خفْ انب قد انيت فاخش الردى

ولتنسرح عن آثامك الأولِ (لازم الطي، ممنوع الخبل)[4]

آثامك الأولى (مقطوع يلزمه الردف)[5]

ب هي الضرب، وبيتها :

ولتنسرح عن أثام[6]

جـ هي الضرب، وبيتها :

ولتنسرح عن اثم[7]

وللمحدثين : دَ لها بَ، وبيتها :

فئ خفْ إنبْ قد أنيت (مجزوءة مكسوفة ممنوعة عن الطي لازمة الخبن)

لتنسرح عن أثام (موقوف ممنوع من الطي يلزمه الخبل)[8]

عن اثم (كالعروض)[9]

. نقل حركة همزة «أأنيت» إلى دال «قدْ» خبن[10] في مفعولات، وحذف ألفها طي[11] فيه، واجتماعهما خبل[12]، وحال مستفعلن كحاله في السريع[13]، والتزم بعض الناس في الثاني من المحدثة الردف[14].

---

1 - الأصل في المنسرح : مستفعلن مفعولات مستفعلن، مرّتين، ويستعمل مسدسا، ومنهوكا.

تابع

2 - وله ثلاث أعاريض، الأولى : سالمة، والثانية : منهوكة، وهي الضرب، والثالثة : مجزوءة مكسوفة.

3 - وله أربعة أضرب، الأول : مطوى، والثاني : مقطوع، وهما للعروض الأولى، والثالث : موقوف، والرابع : مجزوء مكسوف، وهما لعروض المحدثين.
هذا فضلا عن ضربى عروض المنهوك، الموقوف، والمكسوف.

4 - وتقطيعه :

فنخفانبْ	قد أنيت	فخشررى	ولتنسرح	عنا أثام	كلاولى
مستفعلنْ	مفعولاتُ	مستفعلن	مستفعلنْ	مفعولاتُ	مفتعلنْ
		(سالمة)			(مطوى)

لا يصح الخبل في ضربه، وهو اجتماع الخبن مع الطى.

5 - وتقطيعه :

فنخفانبْ	قد أنيت	فخشررى	ولتنسرح	عنا أثام	كلأولى
مستفعلنْ	مفعولاتُ	مستفعلنْ	مستفعلنْ	مفعولاتُ	مفعولنْ
		(سالمة)			(مقطوع)

يلازم الردف : ضربه.

6 - وتقطيعه :

ولتنسرح	عناأثام
مستفعلنْ	مفعولانْ
	(موقوف)

وهذا بيت : المنهوك : الموقوف.

تذكير : البيت المنهوك : ما حذف ثلثا شطريه، وبقي الثلث الآخر، ولا يكون إلا في البحر السداسي الأجزاء.

تابع

7 - وتقطيعه :

عنائمى	فنخفأنب
مفعولن	مستفعلن

(مكسوف)

وهذا بيت المنهوك : المكسوف

8 - وتقطيعه :

عنا أثامْ	لتنسرح	قد أأنت	فنخفأنب
مفعولان	مفاعلن	مفعولن	مستفعلن

(مجزوء موقوف) (مجزوءة مكسوفة)

9 - وتقطيعه :

عنا أثمْ	لتنسرح	قد أأنت	فنخفأنب
مفعولن	مفاعلن	مفعولن	مستفعلن

(مجزوء مكسوف) (مجزوءة مكسوفة)

10 - الخبن في «قدْ» حذف الدال، ثاني السبب الخفيف، ومثاله : قد أأنيت (مفعولات)، فأأنيت : مفاعيل.

11 - والطي في : «قد أأنيت» : (حذف الألف «ثاني السبب الخفيف»)، قدْ أنيت : فاعلاتُ.

12 - والخبل في : «قد أنيت» : (حذف الألف «ثاني السببين الخفيفين)، فأنيت : فعلات.

13 - تتفق زحاف «مستفعلن» في المنسرح والسريع، وهي : الخبن، والطي، والخبل.

14 - تعويض ما نقص من الجزء، والمعروف أن منهوك المنسرح يلزمه حرف المد، وهو المطرد عند العروضيين.

11- وللخفيف[1] : وله جـَ[2] وهـ[3]
آ لها بَ، وبيتها :

خف انب قد انيت فاخش الردى (تامة)

بالخفيف اجزأ صاحبا من هواكا (كالعروض)[4]

من هوى (محذوف)[5]

بَ له آ، وبيتها :

خف انب قد انيت فاخش الردى (محذوفة)

بالخفيف اجزا صاحيا من هوى[6]

جـَ لها بَ، وبيتها :

خف انب قد انيت فئ (مجزوءة)

بالخفيف اجزا صاحيا (مجزوء)[7]

اجز صاح (مجزوء مقصور)[8]

. فيه المعاقبة[9]. نقل حركة همزة «أنب» إلى فاء «خف» خبن[10]، وحذفها كف[11]، واجتماعهما شكل[12] - هذا في فاعلاتن، وحذف ألف «أنيت» خبن[13] مستفعلن، وحذف خاء «فاخش» كف[14]، واجتماعهما شكل[15]، ولا طي[16] فيه لكون وسطه وتداً مفروقاً، وحذف واو «هواكا» تشعيث[17] في الضرب الأول.

---

1 - أصل الخفيف : فاعلاتن مس تفع لن فاعلاتن، مرتين.
وهو في الاستعمال مسدس على الأصل، ومربع مجزوء.

تابع

2 - وله ثلاث أعاريض، الأولى : تامة، والثانية : محذوفة، والثالثة : مجزوءة سالمة.

3 - وله خمسة أضرب، الأول : تام، والثاني : محذوف، وهما للعروض التامة، والثالث : محذوف للعروض المحذوفة، والرابع : مجزوء سالم، والخامس : مجزوء مقصور وهما للعروض المجزوءة السالمة.

4 - وتقطيعه :

خفانبْقد	أأنيتفخ	شرردى	بلخفيفج	زأصاح ين	منهواكا
فاعلاتنْ	مسْتفعلنْ	فاعلنْ	فاعلاتنْ	مسْتفعلن	فاعلاتنْ
					(تام)

تنبيه : جاءت العروض : محذوفة، ولتكتمل يجب إضافة سبب خفيف، قدرته بـ : فيْ، فصارت : شرردى فيْ : فاعلاتن.

5 - وتقطيعه :

خفانبْقد	أأنيتفخ	شرردى فيْ	بلخفيفج	زأصاح ين	منهوى
فاعلاتنْ	مسْتفعلنْ	فاعلاتنْ	فاعلاتنْ	مسْ تفع لنْ	فاعلنْ
		(تامة)			(محذوف)

6 -

خفانبْقد	أأنيتفخ	شرردى	بلخفيفج	زأصاح ين	منهوى
فاعلاتنْ	مسْتفعلنْ	فاعلنْ	فاعلاتنْ	مسْ تفع لنْ	فاعلنْ
		(محذوفة)			(محذوف)

7 - وتقطيعه :

خفانبْقد	أأنيتفيْ	بلخفيفج	زأصاح يا
فاعلاتنْ	مسْتفعلنْ	فاعلاتنْ	مسْ تفع لنْ
	(مجزوءة سالمة)		(مجزوء سالم)

8 - وتقطيعه :

خفانبْقد	أأنيتفيْ	بلخفيفج	زأصاحن
فاعلاتنْ	مسْتفعلنْ	فاعلاتنْ	مفعولنْ
	(مجزوءة سالمة)		(مجزوء مقصور)

تابع

9 - المعاقبة : بين نون : فاعلاتن، وسين : مستفعلن، وألف : فاعلاتن أو فاعلن بعدها.

10 - الخبن في «خف أنب»، هو حذف الفاء (ثاني السبب الخفيف) ويصبح الجزء : خانب = فعلن.

11 - والكف، هو : حذف السابع الساكن من الجزء : فاعلاتن، فاعلات، وليس حذف ثاني السبب الخفيف كما وهم المؤلف.

12 - الشكل : اجتماع الخبن مع الكف، مثل : خف أنب قد = فاعلاتن، خانبق = فعلات.

13 - والخبن في «أنيت»، هو حذف الألف (ثاني السبب الخفيف)، أأنيت = مس تفع، أنيت = مُتَفع.

14 - والكف في «فاخش»، هو : حذف الخاء (السابع الساكن) في الجزء : أأنيتفخ = مس تفع لن، أأنيتف = مستفعلُ.

15 - والشكل في : «أأنيتفخ»، هو حذف الألف، والخاء، من الجزء، أنيتفَ = مفاعل.

16 - الطي : لا يقع إلا في الجزء المؤتلف من سببين خفيفين ووتد مجموع، مثل : مستفعلن، متفاعلن، مفعولات، ولا يقع في الجزء الذي وسطه وتد مفروق، مثل: مس تفع لن.

17 - التشعيث، هو : حذف أول أو ثاني الوتد المجموع، مثل: «من هواكا» في الضرب الأول من العروض التامة، «من هاك» : مفعولن، أو «من واكا» : مفعولن.

<u>إضافة :</u>

اختلف العروضيون في كيفية إجراء التشعيث، فمنهم من يسقط أول متحركي الوتد (فاعلاتن)، ويقدر المشعث : (فالاتن)، ثم ينقله إلى (مفعولن)، ومستنده التشبيه بالخرم، ومنهم من يسقط ثاني متحركيه، ذهابا إلى (مفعولن). ومنهم من يسقط ساكن الوتد (فاعلتن)، ويسكن ثاني متحركيه (فاعلتن)، ويقدر المشعث : (فاعلتن) بسكون اللام، ثم ينقله إلى (مفعونن)، ومستنده التشبيه بالقطع الواقع فيه اجزاء. ومنهم من يسقط الساكن قبله بالخبن، ويسكن اول الوتد (فعلاتن)، ويقدر المشعث، (فعلاتن) بسكون العين، ثم ينقله إلى (مفعولن). وذلك أن تجعل مستنده : التشبيه بالاضمار، بعد أن تشبه: (فعلا) من : (فعلاتن)، بالفاصلة. (انظر : مفتاح العلوم، ص : 556).

12- وللمضارع[1] : آ[2] لها آ[3] : وبيتها :

أنب قد انيت فاخشهْ (مجزوءة)

ولا تضارع جهولا (مجزوء)[4]

. يكف جُزْءَاه : فكف[5] مفاعلين بحذف ألف «أأنيت» وتحقيق همزته، وكف فاعلاتن بحذف ألف «فاخش» على حد الاعراب، ويقبض[6] مفاعيلن خاصة، - وقد تقدم في البيت - ولم يسمع قبض فاعلاتن وحقه أن يجوز[7]، ولاخبن[8] فيه لكون ساكنه وسط وتد مفروق، وزحاف مفاعيلن على المراقبة[9]، ويصير بالشتر[10]: نُبْ قدَ أنيت، وبالخرب[11] : نِبْ قد أنيت.

---

1 - وأصل المضارع مسدس، مفاعيلن فاعلاتن مفاعلن، مرتين، ثم استعمل مجزوءاً مربعا.

2 - له عروض واحدة، مجزوءة سالمة.

3 - وله ضرب واحد : مجزوء سالم.

4 - وتقطيعه :

أنبقدأأ	نيتفخشهْ	ولا تضا	رعْ جهولن
مفاعيلن	فاْ ع لا تنْ	مفاْعلَنْ	فاْع لا تنْ
	(مجزوءة سالمة)		(مجزوء سالم)

5 - الكف في: «أأنيت» يجرى بحذف الالف (السابع الساكن) من الجزء «أنب قد أأ» (مفاعيلن)، ويصير: أنبقدأ (مفاعيلُ)، وفي: «فاخش»، يجرى بحذف الهاء من الجزء : نيتفخشه، (فاع لاتن)، فيصير : نيتفخش (فاعلاتُ). ولعل الأمر اختلط على المؤلف فعد الخبن (حذف ثاني السبب) كفا (حذف السابع). يقع الكف في جزءى المضارع : مفاعيلن، وفاع لاتن.

تابع

6 - وقبض «مفاعيلن»، هو حذف ثاني السبب الخفيف الثاني (الياء)، ويصير : مفاعلن، كما سبق.

7 - أجاز المؤلف القبض في «فاع لا تن»، وهو شاذ، (الرجوع إلى بحر المديد).

8 - لا يجوز الخبن في «فاع لا تن»، لكون ساكنه (الألف) وسط وتد مفروق (فاع).

إضافة :

ولا يجوز الشكل في «فاع لا تن».

9 - المراقبة، أن يتقابل السببان في جزء واحد، فيسقط ساكن أحدهما، ولا يسقطان جميعا ألبتة، وكذلك لا يثبتان جميعا، وهي من جميع الأوزان في : المضارع، والمقتضب، ومثاله : «ولا تفا» = مفاعلن (حذف ياء السبب الخفيف الأول) بدل : مفاعيلن. ويسقط فيها أيضا «نون» مفاعيلن (مفاعيل)، فتأتي «مفاعيلن» : مقبوضة أو مكفوفة.

فائدة :

والفرق بين المراقبة والمعاقبة : أن سببي المعاقبة يثبتان معاً (مفاعيلن، وأن سببي المراقبة لا يثبتان معاً (مفاعلن أو مفاعيل). وأن المعاقبة في جزءين إلا ما كان من مفاعيلن في الطويل والهزج، ومستفعلن في الرجز. وأن المراقبة في جزء واحد، (انظر: العمدة، ج: 150/1).

10 - والشتر في «أنب قد أأنيت» (مفاعيلن)، «نُبْقَدَأْ» (فاعلن) بحذف أول الوتد المجموع، وثاني السبب الخفيف الأول.

11 - الخرب في «أنب قد آنيت» (مفاعيلن)، «نب قد انيت» (فاعيل) ← (مفعول). بحذف أول الوتد المجموع (الألف)، وثاني السبب الخفيف الثاني (الألف).

13- وللمقتضب[1] : آ[2] لها آ[3]، وبيتها :

قد انيت فاخش ردى (مجزوءة مطوية ممنوعة من الخبل)
فذا العمر مقتضب (كالعروض)[4]

. خبن[5] مفعولات وقد تقدم في البيت، وطيه[6] بتحقيق همزة «أنيت» وحذف ألفه، كلاهما على المراقبة[7].

---

1 - أصله مسدس : مفعولات مستفعلن مستفعلن، مرتين، ثم استعمل مجزوءاً مربعاً.

2 - وله عروض واحدة : مجزوءة مطوية.

3 - وله ضرب واحد : مجزوء مطوى مثل العروض.

4 - وتقطيعه :

قد أأنيت	فخشردى	فذ لعمر	مقتضبو
مفعولات	مفتعلن	مفاعيلُ	مفتعلن
	(مجزوءة مطوية)		(مجزوء مطوى)

لا يصح فيه الخبل (اجتماع الخبن مع الطى)

5 - الخبن في : مفعولات، قد أأنيت، فأأنيت : (معولات)، مفاعيل (بسقوط الفاء من السبب الخفيف الاول).

6 - والطى في: مفعولات، قد أأنيت، قدْ أنيت : مفْعلات، فاعلات (بسقوط الالف من السبب الخفيف الاول).

7 - سقوط الفاء، والألف، جرى بالمراقبة: أي بتقابل السببين في جزء واحد، كما سبق تبيينه.

14- وللمجتث[1]: آ[2] لها آ[3]، وبيتها :

انيت فاخش الردى فئ (سالم)
للبرّ فالعيش مجتث (كالعروض)[4]

: خبن[5] جزءيه بحذف ألف «أأنَيت» ولام «الردى» وكفهما[6] بحذف خاء «فاخش» وهمزة «فئ»، وانيت فشا الردى: شكل[7] مستفعلن، وهو عجز[8] : فاخش ردى فَ شكل فاعلاتن، وهو طرفان[9] وزحافه على المراقبة[10]، ولا يصح طي[11] مستفعلن كما لم يصح في الخفيف، وشطر السريع : فاخش الردى فئ خفف أنب قد أنيت، والمنسرح من «فئ»، والخفيف من «خف»، والمضارع من «أنب»، والمقتضب من «قد أأنيت»، والمجتث «أأنيت»، ولم تستعمل الثلاثة الأخيرة إلا مجزوءة[(12,14:09)].

---

1 - أصل المجتث مسدس : مستفعلن فاعلاتن فاعلاتن، مرتين، واستعمل مجزوءاً مربعا.

2 - وله عروض واحدة : سالة.

3 - وله ضرب واحد : سالم مثل العروضة.

4 - وتقطيعه :

أأنيتفخ	شرردىفئ	للبررفل	عيشمجتثْ
مستفعلن	فاعلاتن	مستفعلن	فاعلاتن
	(مجزوءة سالة)		(مجزوء سالم)

5 - الخبن في جزءيه : «أأنيت» و«الردى» يكون بحذف الثاني الساكن من الجزء (ثاني السبب الخفيف). أنيت = مفا، ويصير في الجزء: أنيتفخ = مفاعلن. وبحذف الثاني الساكن من الجزء (ثاني السبب الخفيف)، شرردى فئ = فاعلاتن، ويصير، بحذف (الراء)، لا (اللام) كما توهم المؤلف، شردى فئ = فعلاتن.

تابع

6 - والكف في الجزئين أيضا، يجرى على الشكل التالي :

ففي : «أأنيتفخ»، نحذف (الخاء) (السابع الساكن)، ويصبح الجزء، أأنيتف = مستفعلُ.

وفي : «شرردى فئ»، نحذف (الهمزة)، ويصبح : شرْريفَ = فاعلاتُ.

7 - الشكل في «انيت فاخش» (مستفعلن)، أنيتفَ= مفاعلُ، (بإجراء : الخبن والكف معاً).

وفي «شرردى فئ» (فاعلاتن)، شرَنيف = فعلاتُ، (بحذف حرفي : الراء والهمزة).

8 - والعجز : هو إجراء الزحاف على ثاني الجزء لمعاقبة ما بعده، مثل : شكل مستفعلن : مُتَفْعلُ، مفاعل.

وما بعده هو جزء : فاعلاتن.

9 - الطرفان : هو إجراء الزحاف على أول الجزء لمعاقبة ما قبله وآخره لمعاقبة ما بعده.

مثل : شكل فاعلاتن: فعلات.

وما قبله: جزء مستفعلن، وما بعده : مستفعلن.

10 - زحاف المراقبة، كما سبق تبيينه، هو إسقاط ساكن أحد السببين في جزء واحد، ولا يسقطان جميعا ألبتة، ولا يثبتان، مثل :

حذف سين : «مستفع لن»، مفاعلن.

أو حذف نون : «مستفع لن»، مستفعل.

وحذف السين والنون في: مستفع لن، يعد معاقبة، وليس مراقبة.

تنبيه :

لا يجرى في «فاعلاتن» الضربى الكف والشكل، وأجاز بعضهم فيه التشعيث : (فاعلاتن = مفعولن).

11 - يمتنع الطى في : «مستفع لن»، وفي بحر الخفيف : خن أنب قد أنيت فاخش الردى» (فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن)، وشطر السريع : «فاخش الردى فئ خف أنب قد أنيت» (مستفعلن مستفعلن مفعولان)، والمنسرح[1]: «فئ خف أنب قد انيت فاخش الردى» (مستفعلن مفعولات مستفعلن)، والمضارع : «أنب قد انيت فاخشه» (مفاعيلن فاع لا تن). والمقتضب[ب] : «قد انيت فاخش ردى» (مفعولات مفتعلن).

تابع

تنبيه :

ا - يجرى الطي في المنسرح عروضا وضربا.

ب- ويأتي المقتضب مجزوءا مطوى العروض والضرب، وعلى المراقبة بين خبن مفعولات وطيه.

ولعل المؤلف وقع في خلط بين هذين البحرين والبحور التي لا يجرى فيها الطي.

ويمتنع الطي أيضا في المجتث : «أأنيت فاخش الردى فيّ» (مستفعلن فاعلاتن).

كما يمتنع فيه الخبل.

12 - والبحور الثلاثة : المضارع، والمقتضب، والمجتث، تستعمل مجزوءة، أي مربعة، برغم أنها مسدسة الأصل.

فائدة :

إن الطي لا يجرى إلا في البحور التالية : البسيط، والرجز، والسريع، والمنسرح، والمقتضب.

15- وللمتقارب[1]: ب[2] وو[3]

آ لها دَ، وبيتها :

فهبْ كم ترى نائياً عن وصاتي (تامة)

تقاربْ إلى موصل نصح ناهي (كالعروض)[4]

نصح ناه (مقصور مردف)[5]

نصحنا (محذوف)[6]

نصحا (أبتر)[7]

بَ لها بَ، وبيتها :

فهب كم ترى نائياً (مجزوءة محذوفة)

تقارب إلى موصل (كالعروض)[8]

موصى (أبتر)[9]

. حذف ميم «كم» قبض[10]، وحذف فاء «فهب» ثلم[11]، وحذفهما ثرم[12]، ويجتمع مع آ المقصور والمحذوف في القصيدة الواحدة[13]، والمقصورة «وصاة تقارب» فيأتي ساكنان ولا يكون ذلك في غير هذا الباب، والمحذوف من «وصاة قارب».

---

1 - أصل المتقارب: فعولن، ثماني مرات، ويستعمل مثمنا على الأصل تارة، ومسدسا مجزوءا أخرى.

2 - وله عروضان، الأولى : تامة، والثانية : مجزوءة محذوفة.

تابع

3 - وله ستة أضرب، الأول: تام، والثاني: مقصور مردف، والثالث: محذوف، والرابع: أبتر، وهي للعروض الأولى، والخامس : مجزوء محذوف، والسادس: أبتر، وهما للعروض الثانية.

4 - وتقطيعه :

فهبْكمْ	ترى نا	ئين عن	وصاتي	تقاربْ	إلى مو	صلننص	حنا هي
فعولنْ	فعولنْ	فعولنْ	فعولنْ	فعولنْ	فعولنْ	فعولنْ	فعولن
			(تامة)				(تام)

5 - وتقطيعه :

فهبْكمْ	ترى نا	ئين عن	وصاتي	تقاربْ	إلى مو	صلننص	حنا هْ
فعولنْ	فعولنْ	فعولنْ	فعولنْ	فعولنْ	فعولنْ	فعولنْ	فعولْ
			(تامة)				(مقصور مردف)

الردف:

هو عوض من النقصان (فعولن، فعولُ، فعولْ)، يلتقي فيه ساكنان، ويقع في الكامل المقطوع : (متفاعلن، متفاعلُ، متفاعلْ، فعلاتن) والرمل المقصور: (فاعلاتن، فاعلاتُ، فاعلاتْ، فاعلانْ)، والمتقارب المقصور: (فعولن، فعولُ، فعولْ).

6 - وتقطيعه :

فهبْكمْ	ترى نا	ئين عن	وصاتي	تقاربْ	إلى مو	صلننص	حنا
فعولنْ	فعولنْ	فعولنْ	فعولنْ	فعولنْ	فعولنْ	فعولنْ	فعلْ
			(تامة)				(محذوف)

7 - وتقطيعه :

فهبْكمْ	ترى نا	ئين عن	وصاتي	تقاربْ	إلى مو	صلننص	حن
فعولنْ	فعولنْ	فعولنْ	فعولنْ	فعولنْ	فعولنْ	فعولنْ	فعْ
			(تامة)				(أبتر)

البتر :

اجتماع الحذف (إسقاط السبب الخفيف من آخر الجزء)، مع القطع (إسقاط ساكن الوتد المجموع، وإسكان ما قبله)، (فعولن. فعو. فعُ، فعْ أو فلْ).

تابع

8 - وتقطيعه :

فهبكم	ترى نا	ئين	تقارب	إلى مو	صلن
فَعَوْلَنْ	فعوْلَنْ	فَعَلْ	فعوْلَنْ	فعوْلَنْ	فَعَلْ
		(مجزوءة محذوفة)			(مجزوء محذوف)

9 - وتقطيعه :

فهبكم	ترى نا	ئين	تقارب	إلى مو	صى
فعوْلنْ	فعوْلَنْ	فَعَلْ	فعوْلنْ	فعوْلَنْ	فَعْ
		(مجزوءة محذوفة)			(مجزوء أبتر)

10 - القبض في : «فهب كم»، حذف «الميم» (الخامس الساكن)، فهبك: فعولُ.

11 - والثلم في: «فهبكم»، حذف «الفاء»، هبكم : فَعْلن.

12 - والثرم في : «فهبكم»، حذف «الفاء» و«الميم» (الخرم+القبض)، هبْك : عول، فَعْلُ.

13 - يجوز في (آ) : (عروض البيت السالم الضرب)، القصر والحذف، أجازه الخليل، وأبته جماعة من العروضيين.

مثال القصر : «وصاةْ تقارب»، فعولْ. وأما «تقارب» فهي: سالمة (فعولن).
ومثال الحذف : «وصاة قاربْ»، وصا : فعُو. فَعَلْ.

16- وللمتدارك[1] : وهو محدث لم يحكه الخليل -: وله أ[2] لها أ[3]، وبيتها :

كم ترى نائباً عن وصاتى فهب (تامة)

ولتدارك ألم يأن أن تتقى (كالعروض)[4]

. حذف لام «ولتدارك» خبن[5]، وحذف همزة «ألم» قطع[6]، وفك[7] أحدهما من الآخرين.

---

1 - وأصله : فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن، مرتين، ويستعمل مثمناً على الأصل تارة، ومسدسا مجزوءا أخرى.

2 - وله عروض واحدة : تامة.

3 - وله ضرب واحد تام مثلها.

4 - وتقطيعه :

كم ترى	نائبن	عنوصا	تيفهب	ولتدا	ركالم	يانأن	تتقى
فاْعلنْ	فاْعلنْ	فاْعلنْ	فاْعلنْ	فاْعلنْ	فاْعلنْ	فاْعلنْ	فاْعلنْ
			(تامة)				(تام)

5 - الخبن في «ولتدارك»، حذف «اللام» (ثاني السبب الخفيف)، «وتدا» = فَعِلُنْ.

6 - والقطع في «ألم» : حذف «الميم» (ساكن الوتد المجموع، وتسكين ما قبله)، وليس «الهمزة»، كما ذهب المؤلف سهواً. ومثاله في الجزء : «ركَالِمْ» (فاعلن)، ركَالْ، رَكالْ = فاعلْ، فعْلُن.

7 - يفك المتدارك من المتقارب في مثل : فهب | كم ترى نائياً

فعو | لن فعولن فعو

| فاعلن فاعلن... (بعد الوتد المجموع)

ويفك المتقارب من المتدارك، في مثل :

كم | ترى نائبا عن وصاتى

فا | علن فاعلن فاعلن

| فعولن فعولن... (بعد السبب الخفيف)

إضافة : للمتدارك عروض ثانية : مجزوءة سالمة، ولها ثلاثة أضرب، الأول : سالم مثلها، والثاني: مخبول مرفل، والثالث: مذال.

الاعتماد على الدوائر الخمس الموحدة
لأوزان البحور الخليلية

اعتمد المؤلف في منهجه الجديد على الدوائر الخليلية الخمس، ويتضح ذلك في الصور التالية:

1 - صورة الدائرة الأولى :

وتحتوي على ثلاثة بحور :

ا - الطويل، وضابطه : فعولن مفاعيلن
ب - المديد، وضابطه : فاعلاتن فاعلن
جـ - البسيط، وضابطه : مستفعلن فاعلن

وتسمى هذه الدائرة بالمختلفة، لاختلاف ما فيها من الضابط :

1 - الخماسي : (فعولن، فاعلن)
2 - السباعي : (مفاعيلن، فاعلاتن، مستفعلن)

وتأتلف هذه الأجزاء من أسباب وأوتاد :

فعولن : وتد مجموع (--°) + سبب خفيف (-°).
فاعلن : سبب خفيف (-°) + وتد مجموع (--°).
مفاعيلن : وتد مجموع (--°) وسببان خفيفان(-°-°).
فاعلاتن : سبب خفيف (-°) + ووتد مجموع (--°) + وسبب خفيف (-°)
مستفعلن: سببان خفيفان (-°-°) + ووتد مجموع (--°).

وهي نوعان :

أ - أصلية : (فعولن، مفاعيلن)، وتد مجموع + سبب خفيف أو سببان خفيفان.

ب- وفرعية : (متولدة عن الأصلية)، (فاعلن، فاعلاتن، مستفعلن).

ففاعلن : أصلها فعولن، بتقديم السبب الخفيف، وتأخير الوتد المجموع : لن فعو، فصارت : فاعلن.

وفاعلاتن، أصلها فاع لاتن (وتد مفروق (-°-) + سببان خفيفان (-°-°)، بتقديم السببين الخفيفين وتأخير الوتد المفروق : تن لا فاع.

الدائرة المختلفة

الطويل
المديد
البسيط

أصل الطويل : قدمٍ دائباً تسني وتدنى أمانيا

فعو لن مفاعيلن فعولن مفاعلن

فك المديد : | فاعلا تن فاعلن فاعلاتن

فك البسيط : | مستفعلن فاعلن

2 - صورة الدائرة الثانية :

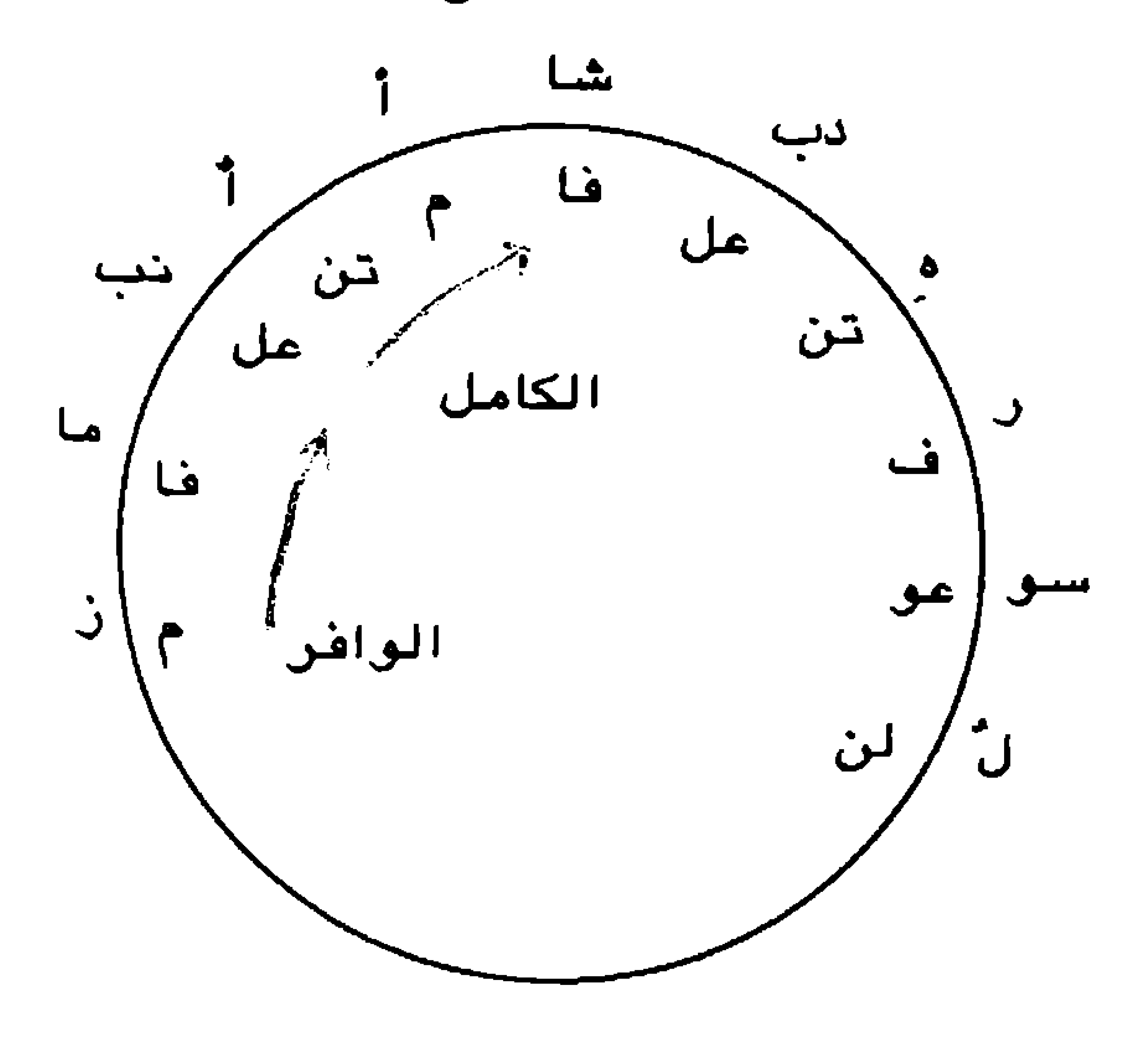
وتحتوي على بحرين، هما :

ا - الوافر، ضابطه : مفاعلتن.
ب - الكامل، ضابطه : متفاعلن.

وتسمى : مؤتلفة، لعدم اختلاف ضابطي البحرين، فهما : سباعيان.

ويأتلف جزء الوافر (مفاعلتن) من وتد مجموع (مفا) وسببين، ثقيل (عَلَ)، وخفيف (تن)، والتفعيلة : أصلية.

أما جزء الكامل (متفاعلن)، فيأتلف من سببين : ثقيل (مُتَ)، وخفيف (فا)، ووتد مجموع (علن). والتفعيلة : فرعية، متولدة من الأصلية : مفاعلتن، علتن مفا، متفاعلن.



الدائرة المؤتلفة

أصل الوافر : نما نبأ أشاد به
مفا علتن مفاعلتن

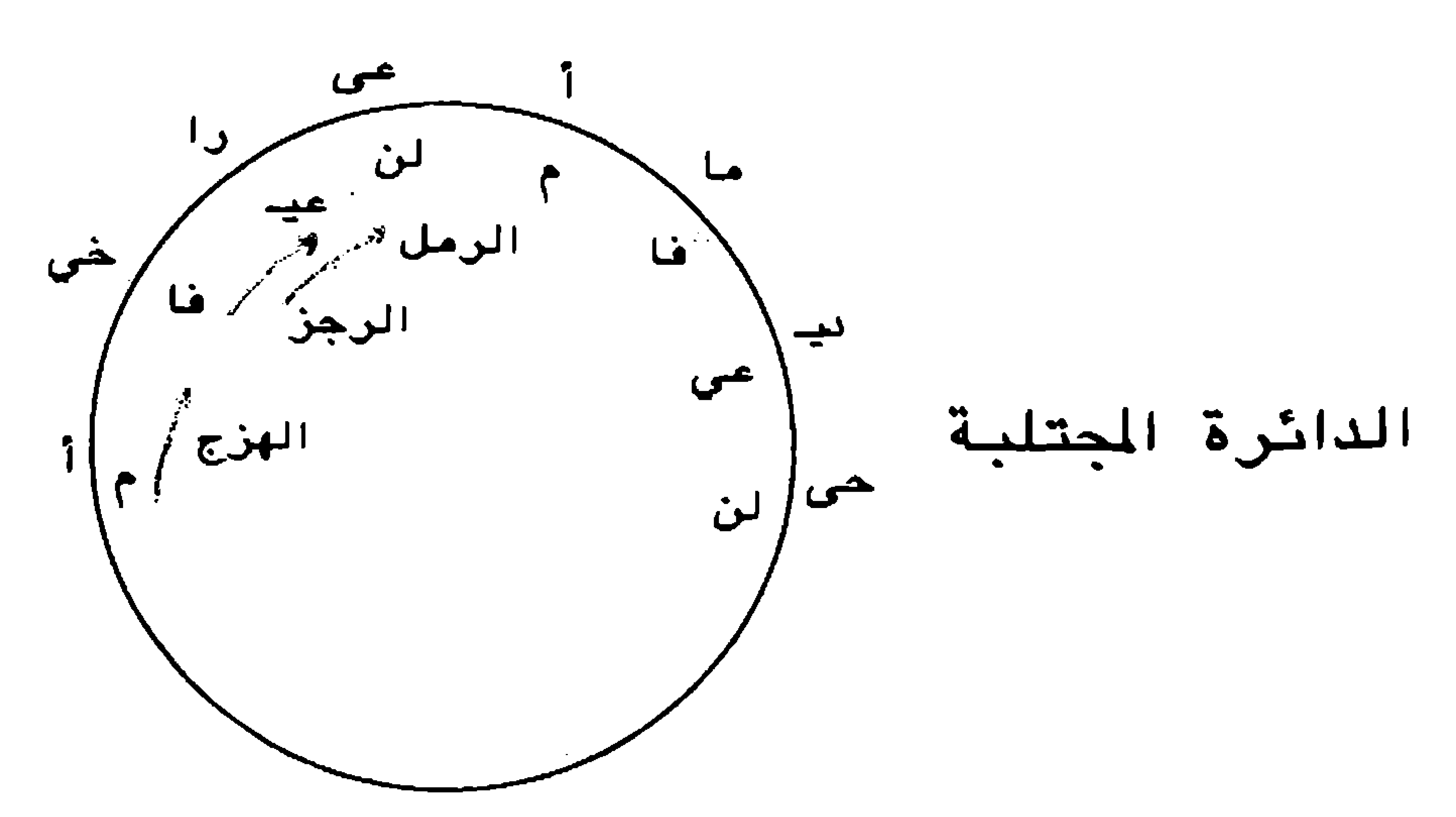
فك الكامل : | متفاعلن

3 - صورة الدائرة الثالثة :

وتحتوي على ثلاثة أبحر، هي :

ا - الهزج، ضابطه : مفاعيلن.
ب - الرجز، ضابطه : مستفعلن.
جـ - الرمل، ضابطه : فاعلاتن.

وتسمى: مجتلبة، لاجتلابها الأجزاء من الدائرة الأولى، مفاعيلن من الطويل، ومستفعلن من البسيط، وفاعلاتن من المديد.



أصل الهزج : أخى راعى أماديحى
مفا | عيلن مفاعيلن
فك الرجز : | مستفعلن
فك الرمل : | فاعلاتن

4 - صورة الدائرة الرابعة

وتحتوي على ستة أبحر، وهي :

ا - السريع : مستفعلن مستفعلن مفعولات

ب - المنسرح : مستفعلن مفعولات مستفعلن

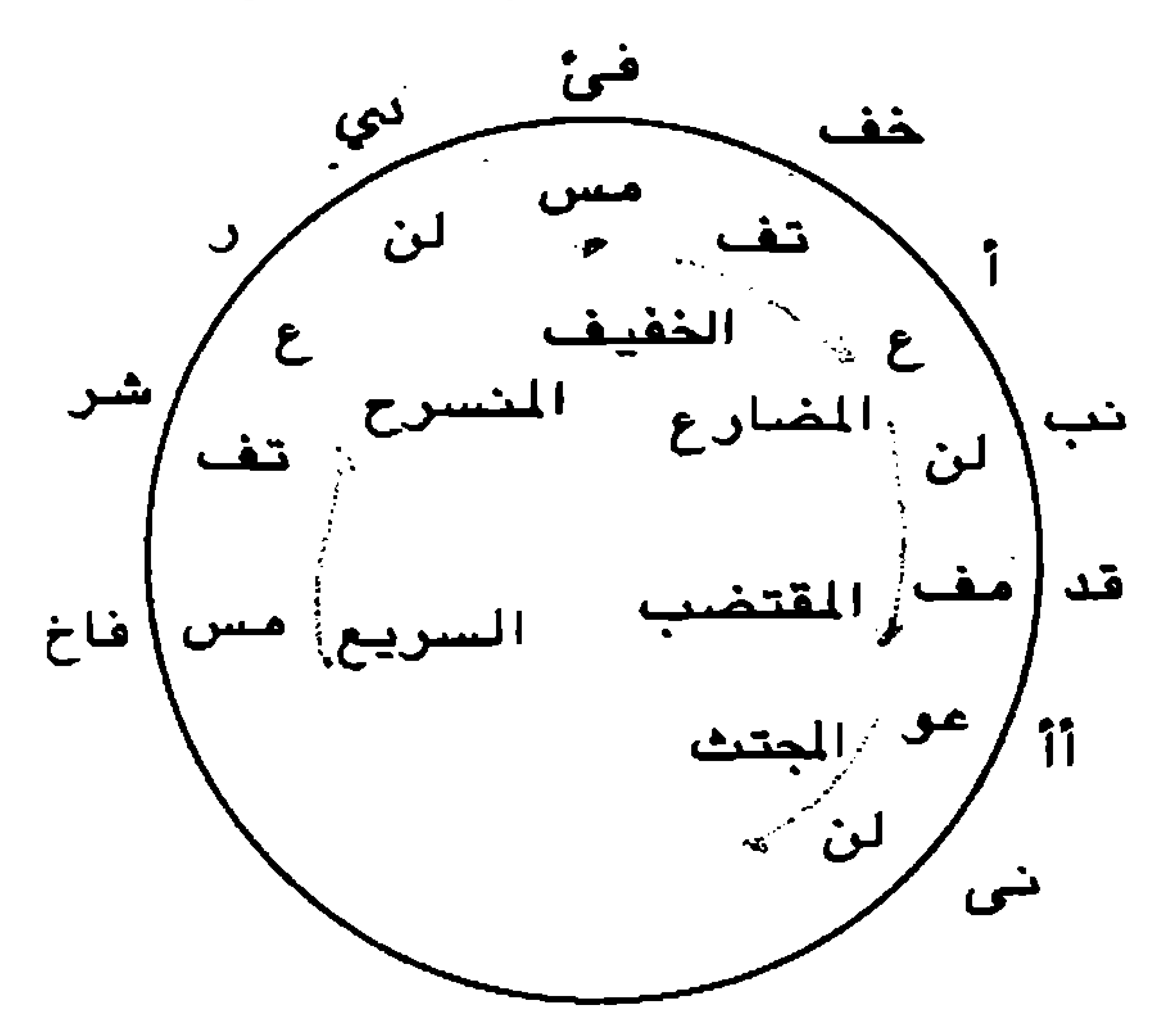
جـ - الخفيف : فاعلاتن مس تفع لن فاعلاتن (يقطع: تَفْع عن طرفيها)

د - المضارع : مفاعيلن فاع لا تن مفاعيلن (بقطع : فاع عما بعدها)

هـ - المقتضب: مفعولات مستفعلن

و - المجتث : مس تفع لن فاعلاتن فاعلاتن (بقطع : تفع عن الطرفين)

وتسمى هذه الدائرة : مشتبهة، لاشتباه أجزاء بحورها.



الدائرة المشتبهة

أصل السريع : فاخش الردى فئ خف أنب قد انى

مستفعلن | مستفعلن مفعولن

فك المنسرح : مستفعلن

فك الخفيف : فاعلاتن

فك المضارع : مفاعيلن

فك المقتضب : مفعولات

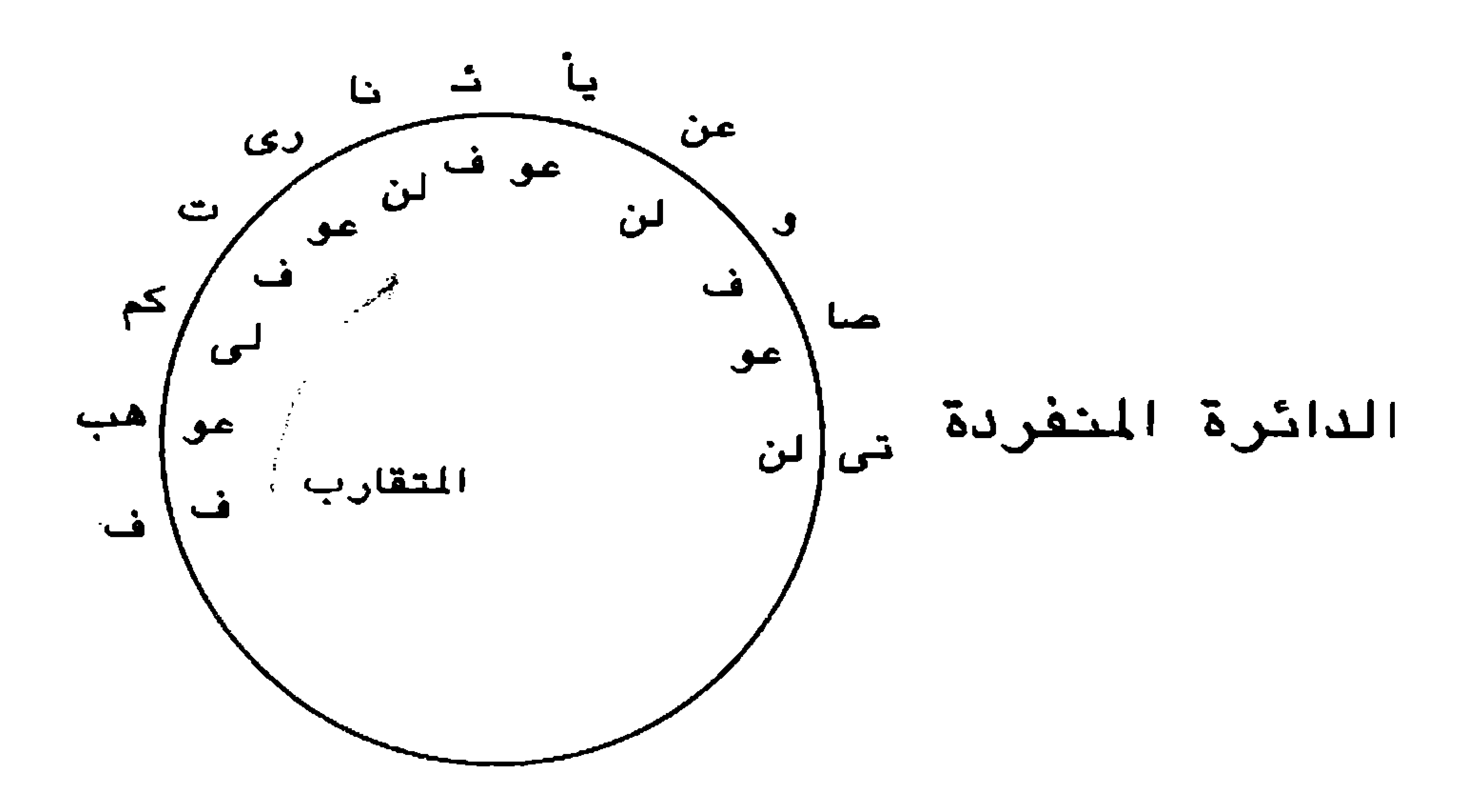
فك المجتث : مس تفع لن

5 - صورة الدائرة الخامسة :

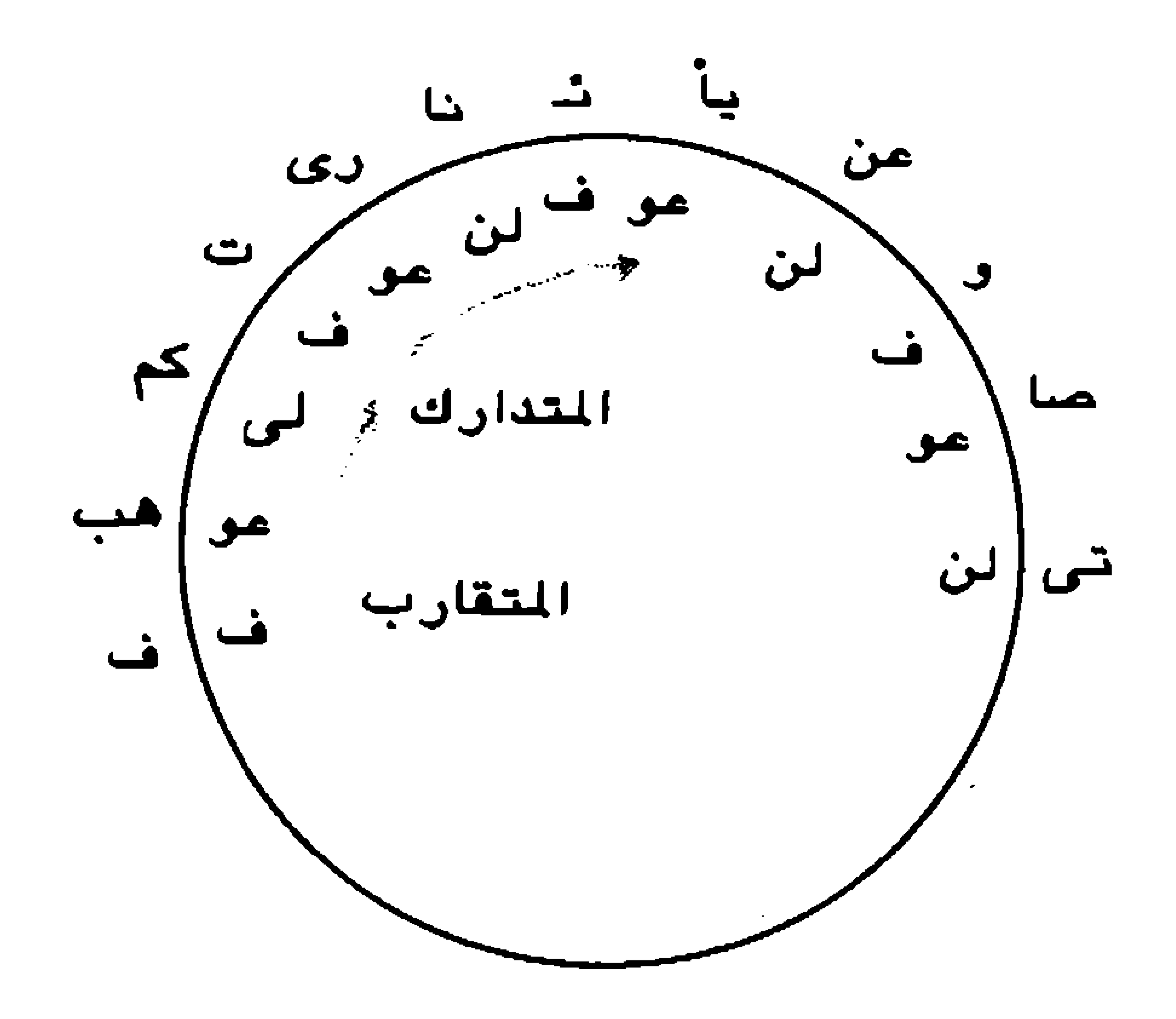
وتتضمن بحراً واحداً هو :

١ - المتقارب، ضابطه : فعولن

وتسمى : منفردة، لاشتمالها على بحر واحد.



فائدة : ويمكن إضافة بحر المتدارك للأخفش إلى الدائرة الخامسة، لتفرعه على المتقارب، كما يبدو من الرسم التالي :



الدائرة المنفردة (2)

أصل المتقارب : فهب كم ترى نائياً وصاتى

فعو لن فعولن فعولن فعولن

فك المتدارك : فاعلن فاعلن

مكناس

إدريس العلوي البلغيثي(*)

---

* أستاذ بالمدرسة العليا للأساتذة / مكناس

الله أكبر

أحمد عبد السلام البقالي

قالت لها أمها :

- خذي (مارك)، وفرجيه على (ضريح محمد الخامس) ريثما يطيب العشاء.

وحاولت (آمنة) التملّص من المهمة الشاقة، فانجليزيتها الضعيفة لا تقوى على حديث طويل. ولكن والدتها لم تمهلها، توجهت الى (مارك) قائلة :

- كفى تلفزيونا ! (آمنة) ستفسّحك في (ضريح محمد الخامس) القريب من هنا.

(آمنة) في الثالثة عشرة، رشيقة، مرهفة، قليلة الثقة بنفسها، رغم نكائها، ولكنها متقدمة في دراستها الثانوية، وتتقن العربية والفرنسية، وتتعلم الانجليزية.

ورافقت مارك الى الضريح الجميل... كان مخها يدور بسرعة. لم تكن تفكر فيما ستقوله له عن الضريح بقدر ما كانت تفكر في كيف ستقوله له بانجليزيتها المحدودة.

كان (مارك) قد جاء الى (المغرب)، لاول مرة، لزيارة أخته (أيلين) المتزوجة بخال (آمنة). وعرفت (آمنة) من حديثه مع والدها، الديبلوماسي القديم، أن (مارك) مهتم بالاسلام، رغم أنه مسيحي، ولا يمانع في أن تعتنقه أخته، مادامت متزوجة بمسلم.

وكان هو الذي تطرق الى الموضوع مع والدها أثناء شاي المساء، قال له :

«رأيت (ايلين) مهتمة بقراءة القرآن في ترجمته الانجليزية، والتمعن في آياته ومعانيه. وقد قالت لي انها فوجئت بغنى هذا الكتاب السماوي الذي لم يسبق لها أن قرأته، وثرائه الروحي، والفكري، ودقته وشموليته في تنظيم المجتمع الاسلامي، واحترامه للأديان السماوية الأخرى...

وعقب والدها بما معناه أن الاسلام مجهول في الغرب، بل وأسيء فهمه بسبب التنافس بين الأديان، ولاسباب تاريخية يطول شرحها، وخصوصا بعد قيام (اسرائيل).

وفهمت (آمنة)، وهي تنصت الى (مارك)، أنه كان يحكي عن مواجهة بين أخته (أيلين) وأبيه حين رآها مستغرقة في قراءة القرآن، فأخذ يمازحها بقوله :

«هل تعدين نفسك للبس اليلشماك (الحجاب) ؟ وماذا سيكون موقفك حين تكتشفين أن (لعلي) زوجك ثلاث زوجات أخريات ؟!»

وحكى (مارك) عن كيف أنها أجابته بلهجة جادة وحازمة : «أعتقد أنه ينبغي لك أن تقرأ هذا الكتاب أولا ؟ سيصحح كثيرا من مفاهيمك الخاطئة عن الاسلام !

فسأل الوالد مهتما : «مثل ماذا؟»

فأجابت بثقة العالم : «مثل حكاية (الياشماك) السخيفة هذه، فغطاء الوجه ليس مفروضا على المرأة المسلمة، كما تصور ذلك الأفلام الغربية التافهة، وكذلك تعدد الزوجات، فقد حرمه القرآن بطريقة غير مباشرة واضحة... فقد اشترط العدل بين الزوجات، وهو شرط تعجيز، فحتى لو عدل الرجل في تقسيم النفقة، فانه لا يستطيع العدل في تقسيم الحب، ولا بد له من زوجة مفضلة !»

وقرأت له من المصحف : «فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة» ثم : «ولن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم».

وكررت الآية الأخيرة مرتين، وأضافت :

«وهذا منع صريح للتعدد !»

ونظرت الى الوالد، وقالت : هل بقيت لك أفكار مثل هذه تريد مناقشتها ؟

قال (مارك) : «ومن ثم كف الوالد عن ممازحتها في هذا الباب. واحترمنا جميعا شعورها. وفي نفس الوقت زاد فضولنا لمعرفة ما في الكتاب الاسلامي المقدس من أسرار».

فعقّب أبو (آمنة) : «أنا الآخر كنت أجد لذة خاصة في محو بعض هذه المفاهيم الخاطئة من أذهان الجمهور الذي كان يأتي للاستماع لمحاضراتي، عبر الولايات المتحدة أيام كنت دبلوماسيا هناك، وكان يفاجئهم دائما قولي أن من شروط اعتناق الاسلام، الايمان بالاديان السماوية السابقة، كاليهودية والمسيحية، والتصديق بنبوة موسى وعيسى، عليهما السلام، وبالكتابين المقدسين : التوراة والانجيل. وكانوا يفتحون أفواههم حين أقول: «أن المسيحي واليهودي، حين يدخلان الاسلام، فانهما لا يضحيان بروح عقيدتيهما، بل يضيفان اليها عقيدة أجد، وأسمى، وأكثر قربا من الفطرة البشرية..».

ومن فحوى ما فهمته (آمنة) وأخوها (محمد) من نقاش والدهما مع (مارك) أن هذا أصبح من المؤلفة قلوبهم، وأن عليهم جميعا أن يسلكوا في البيت سلوكا اسلاميا مثاليا، ما استطاعوا، مادام الشاب معهم، فاذا هداه الله الى الاسلام - كما قال أبوهم - فسيكون لهم في ذلك فضل كبير، وأجر من الله كثير.

وهذا ما جعل مسؤولية الخروج مع (مارك) ثقيلة على كاهل (آمنة) الفتيّ، وعودها الطري، ولكنها قبلت التحدي، مدفوعة برغبتها في الأجر والثواب، وخرجت مع (مارك) الى ساحة الجامع الفسيحة العارية، وقد اصطفت فيها السواري الاسطوانية العتيقة، وهيمنت عليها من الشمال الغربي (صومعة حسان) الشهيرة التي قوض زلزال (الشبونة) جزأها الأعلى منذ أربعمائة سنة، وانهار سقف المسجد الذي كان يتسع لعشرة آلاف مصل.

وبهرت (مارك) زخارف المسجد الحديث الذي أقيم على جزء من أرض الجامع القديم.

وكـانـت الـشـمـس تميل الـى المغـيـب. ومـع اقـتـرابـهـا مـن هوائيات التلفزيون على سطوح مـدينـة (الاوداية) المطلة من على نهر (أبـي رقـراق) والمحـيـط الأطـلسـي، بدأت (آمـنـة) تحس بمغص خفيف يزداد اقترابا وحدة مع دنو أذان المغرب.

وحالفها التوفيق في شـرح مـا كانت تريد شـرحـه (لمارك). وسألها (مارك) عن المدينة الواقعة عبر نهر (أبي رقراق) فقالت: «أنها (سلا) وهي مدينة أقدم من (الرباط) العاصمة».

وشرحت له كيف أن موقع العاصمة يتمتع بجانبية خاصة لبناء المدن، فـهـو يجـمـع خـمـس مـدن كـانـت فـي المـاضي كـاملة الاسـتـقـلال، آهلة بالسكان، وهـي (الاوداية) و(شـالـة) و(الـتـواركـة) التي تضم القصر الملكي، الى جانب (سلا) و(الرباط). وكلها تقع داخل دائرة لا يتعدى قطرها الثلاثة كيلومترات !

وغابت الشمس، وسمعت (آمنة) قرقعة البوق والمؤذن يعده لأذان المغرب، فزادت حدة مغصها... وعرفت لماذا أحست به في البداية، فقد كانت مشغولة عنه بالكلام مع (مارك)..

كان أحد مؤذني جامع آخر قريب ذا عاهة صوتية واضحة تجعل صوته كريها مزعجا، الى جانب انعدام الحاسة الموسيقية عنده بحيث كان يصدر عنه زعيق نشاز ينفر ولا يبشر، وخصوصا حين يقع على آذان الزوار الأجانب الذين يعج بهم المكان.

وأيقنت (آمنة) المرهفة الاحساس أن العالم سينهار من حولها، وأنها ستلوذ بالفرار، ولن تعود الى بيتها أبدا، اذا جاء من حظها ذلك المؤذن الرهيب ! فاغمضت عينيها، ووضعت كفيها الرشيقتين على أذنيها في خشية وتوقع، وأخذت تبتهل الى الله

أن ينقذها من ذلك الحرج الكبير. ومن ذلك الصوت المنكر الذي لا بد سينفر (مارك) من الاسلام الذي بدأ قلبه ينشرح له !

وفكرت أن تفرّ به من هناك. ولكن هيهات، فصوت المكبر يغطي الحي بأكمله !

واستجاب الله دعاء (آمنة) البريئة الطاهرة، وهدّأ من روع قلبها المؤمن الصغير، فانطلق من أبواق مسجد وصومعة الضريح صوت مؤذن رائع بأذان الحرم المكي الشريف ينعش النفوس، ويرعش الأكباد، ويحبب للمومنين الاستجابة لنداء الله.

وتنفست (آمنة) الصعداء، ونزل العبء الثقيل عن كتفيها الصغيرتين، وابتعد شبح المؤذن البشع، وما كان سيتركه في نفس (مارك) من آثار سيئة باقية.

ونظرت الى وجهه الوسيم مرتسما على حمرة الشفق القاني، وهو ينظر الى مصدر الصوت السجيّ العامر بالايمان والحنان، وقد أحس بخدر ناعم، ونشوة عارمة تسري في جميع حواسه.

ورأت (آمنة) بعين قلبها الطاهر سهبا شاسعا من الزهور البيضاء تتفتح في مكان ما من قلب (مارك).

الرباط أحمد عبد السلام البقالي(*)

---

* - شاعر وقصاص مكلف بمهمة بالديوان الملكي

المصطلح النقدي في أخبار أبي العباس السبتي لابن الزيات(*)

د. جعفر بن الحاج السلمي

هل يمكننا أن نتحدث عن مصطلح نقدي أدبي، يستعمله ابن الزيات التادلي، (-627 هـ) في كتابه «أخبار أبي العباس السبتي» أي عن لغة علمية واصفة للنصوص الأدبية فيه، حاملة لمفاهيم محددة، تصف النص الأدبي وما يتعلق به، وتصنفه، بناء على تصورات واضحة له؟ وإن كان هذا ممكنا، فما طبيعته وما وظيفته ؟ وما مدى نجاحه ؟ ثم ماذا يمكننا أن نستخلص منه، ونحن نبحث عن هويتنا الثقافية المغربية القديمة ؟

---

* - بحث ألقي بكلية الآداب بتطوان في 26 رجب 1410 موافق 23 فبراير 1990 في اطار مجموعة البحث في اللغة والعلوم الانسانية.

إننا نعلم، في البدء، أن كتاب أخبار أبي العباس السبتي هو كتاب موضوعه سيرة الأديب الصوفي أبي العباس أحمد الخزرجي السبتي. (524-601 هـ)، أي إنه كتاب تاريخ وتصوف وسيرة في أصله. ولندع مؤلفه يتحدث عنه بنفسه. قال ابن الزيات : «أما بعد فإني لما شرعت في تأليف أخبار صالحي المغرب، الذين جمعتهم في كتابي الموسوم بالتشوف الى رجال التصوف، أشار علي جملة من الفضلاء، أن أنكر فيهم الشيخ الفقيه الصالح، أبا العباس أحمد بن جعفر الخزرجي المعروف بالسبتي، فتوقفت في ذالك، إذ لا يكفي في ذكره الاختصار، لما وقع فيه من الاختلاف. فرأيت أن أفرد ذكره، وأبسط أخباره، حتى يعلم من ذالك، الواقف بذالك على مجموع عيون أخباره، حقيقة أمره. وبالجملة، فإن شأنه من عجائب الزمان. وإنما أثبت من أخباره ما ينوب عن العيان ... وسأثبت لك من أخباره ما تقضي به العجب.»[1]

ان التأريخ للصالحين هو عمل ديني وإيديولوجي قبل كل شيء. لكن التأريخ إذا كان ذا طابع أدبي، فإنه يصير هو نفسه نصا أدبيا حاملا لقيم أدبية معينة، فضلا عن قيمته الدينية والسياسية. ان هذا ما يتضح في عنوان الكتاب نفسه. وهو ما سوف نرجع إليه. فلنرصد معالم معجم نقدي مستعمل وموظف في «أخبار أبي العباس السبتي» بدءا قبل أن نتناول إشكالاته.

---

1 - التشوف : 451.

إن كل المادة الاصطلاحية النقدية الموظفة ترتد إلى أربعة أشياء:

أ - معجم واصف للنص الأدبي : الخبر، الأخبار، عيون الأخبار. مجموع عيون الأخبار، الباب، القصة، عجائب، عجيب، الفضائل.

ب - معجم واصف للمتلقي في علاقته مع النص : التشوف، الاستشراف، الواقف، قضاء العجب.

ت - معجم واصف بعملية تحمل النص وروايته : أخبر، قال، حدّث، سأل، سمع، أنشد، حضر، وقف، صحيح، مشهور.

ث - معجم واصف للتقييد : ذكر، الافراد، الاختصار، البسط.

لنرجع الآن الى «استشراف» إشكالات المعجم الاصطلاحي النقدي، ولنبدأ بالمعجم الاخير، معجم التقييد والتسجيل.

أ - إن «الذكر» حسب لسان العرب، حفظ الشيء ونكره، وهو أيضا الشيء يجري على اللسان.[2] إن هذا الخيط اللغوي سوف يقودنا الى اكتشاف مجموعة من الأشياء بخصوص «أخبار العباس» من حيث هو نصّ أدبي. إن الذكر إذ يوظفه ابن الزيات، ولاسيما في المقدمة، يدلّ دلالة على نزعة دفينة ومكشوفة الى إحياء ذكرى أبي العباس السبتي وحفظها وترديدها. واذ يتعلق الأمر بعملية التقييد، فإن المصطلح يعكس انتقال ذكرى أبي العباس من نص شفهي تردده الألسنة، الى نص مكتوب يقف عليه «الواقف»، بكل ما للتقييد من تنفذ في الصياغة، وإعادة لها.

لاشك «الذكر» يحيل على موضوع أو «مذكور»، وهذا المذكور إما أن يكون فردا أو جماعة. أي إما أن يكون كلا أو جزءا من كلّ. وإذ يتعلق الأمر برجل «شأنه من عجائب الزمان، كان، رحمه الله، قد أعطي بسطة في اللسان، وقدرة على الكلام. لايناظره أحد الا أفحمه،... يأخذ بمجامع القلوب، ويسحر العامة والخاصة ببيانه..»[3] فلا بد لمذكور هذه صفته إذن أن يكون كلا كاملا متكاملا، أي بنية مستقلة ذات وظائف وعلاقات داخلية، لاجزءا من كل أومنظومة مرجعية، مثلما هو الحال في التشوف وأوليائه السبعة والسبعين بعد المئتين. هذه البنية لابد أن تعادل بنية أخرى وتقابلها، وقد تناقضها، هي بنية التشوف.

وبناء عليه، جاز لهذا «الذكر» أن يطرح مشاكله التي هي «الإفراد» و«الاختصار» و«البسط» لكون المذكور، وهو الثابت والبطل الاشكالي، «لما وقع فيه من الاختلاف»[4] إشكاليا. ان هذا هو الذي سيجعل الذكر عملية إفراد وبسط للمذكور، يتحرك في فضائه النص. وهو ما يتطلب منا بحثا أعمق عن مفهوم البسط والاختصار.

2 - إن عملية «البسط»، مثل عملية الذكر، تستلزم موضوعا أو مبسوطا. والمبسوط هو هنا النص الزياتي. ولما كان المبسوط يتحدث عن مذكور إشكالي، فإن عملية الذكر تستلزم بالضرورة اصطلاحات اسمية ووصفية للوقوف «على حقيقة أمره»[5] هنا يوظف ابن الزيات المصطلحات الآتية : الخبر، الأخبار، عيون الأخبار، القصة، الباب، وهو المعجم الواصف للنص الأدبي. بل إن عنوان الكتاب ليس الا «أخبار أبي العباس السبتي». ولنبدأ من هنا.

---

2 - لسان العرب : 308/4.

3 - التشوف : 451.

4 - التشوف : 451.

5 - التشوف :451 .

ان العنوان يحيل على شيء مهم، وهو التعددية الداخلية للنص الزياتي، في دائرة وحدته طبعا.

ان الامر لا يتعلق بخبر مفرد، طويل أو قصير، بل يتعلق بمجموعة من الأخبار، وفي لسان العرب: «والخبر بالتحريك واحد الاخبار. [كأن الاصل هو الأخبار لا الخبر.] والخبر ما أتاك من نبإ عمن تستخبر. ابن سيدة : الخبر النبأ»(6) والمعنى اللغوي يحيل، في علاقته بالسارد أو الكاتب، على شيء مهم، هو الطابع الموضوعي للنص المكتوب، وحياد الكاتب في عملية الكتابة أو الذكر. إنه ينفي كل تدخل من الكاتب، في الظاهر على الأقل، في الصياغة بالزيادة والنقصان والخيال والتخيل. ويعرض مادة يفترض أنها سردية وقصيرة ونثرية وواقعية. ولما كان الخبر عند البلاغيين هو ما احتمل في ذاته الصدق والكذب، وكان احتمال ورود الكذب في الخبر بشقيه، الأخلاقي والخيالي، قويا، فإن ابن الزيات التادلي لا ينسى، وهو يثبت من الأخبار «ما تقضي به العجب» أن يستعين بالله، ويسأله العصمة من الخطإ والزلل.(7)

إن الخبر، عند ابن الزيات، ليس معنى لغويا وبلاغيا فقط، بل هو تصور معين لنسق من العناصر السردية، تميز بينه وبين القصة. وهو ما يعطي لكلتا الكلمتين بعدا اصطلاحيا خاصا، يجوز أن نؤطره، ونحن نبحث عن ملامح نظرية مغربية للأجناس الادبية.

---

6 - لسان العرب : 227/4.

7 - التشوف : 451.

إن الخبر، إذن، نص سردي، قد يطول وقد يقصر، قد يحتوي على عقدة ويتلعب به قانون الظاهر والباطن وقد لا يفعل. لنقرأ النصين التاليين من أخبار أبي العباس السبتي :

(1)

«حدّثني أبو الحسن علي بن زكريا قال : سمعت أبا العباس السبتي يقول : أنا هو القطب.»[8]

ان هذا النص على قصره تام. يشتمل على سارد هو ابن الزيات، يتكلم بضمير المتكلم، وراوية معلوم، هو أبو الحسن علي بن زكريا، وموضوع أو مذكور هو أبو العباس السبتي، وصيغ التحمل والإسناد : حدّثني. قال. سمعت.

(2)

«وحدّثني أبو الحسن علي بن أحمد الصنهاجي قال : احتبس المطر في بعض الأوقات، فقال أبو الحسن البلنسي الجنان لأبي العباس : أما ترى ما فيه الناس من احتباس المطر؟ فقال له : إنما احتبس لشح الناس. فلو تصدقوا لمطروا. فقل لأصحابك من الفلاحين تصدقوا بقدر ما أنفقتم تمطروا. فقال له أبو الحسن : لن يصدقني أحد. ولكن مرني في خاصة نفسي، فما أمرتني به أفعله. فقال : تصدق بمثل ما أنفقت. فقال : إذا مطرت أخرجت من ثمن الغلة مثلما أنفقت. فقال له : إن الله تعالى لا يعامل بالدين. ولكن استسلفها. فاحتال فيها، وتصدق بها كما أمره.

8 - التشوف : 465.

قال أبو الحسن : فخرجت الى البحيرة التي كنت اعتمرتها، والشمس شديدة الحرارة، وقد أيست من المطر، ورأيت جميع ما غرسته قد أشرف على الهلاك، فأقمت ساعة، فرأيت سحابة قد أمطرت البحيرة الى أن رويت، وبلت ثيابي، وظننت أن الدنيا كلها كذلك قد أمطرت. فلما خرجت من البحيرة، رأيت المطر لم يجاوزها.

وهذه القصة مشهورة صحيحة. سمعت أبا يعقوب الحكيم وجماعة يحدثون بها. وكان أبو العباس يعضدها بحديث حذيفة المخرج في الصحيحين.[9]

إن هذا النص تام أيضا. يشتمل على سارد ورواة معلومين ومجهولين، ومذكور هو أبو العباس، وموضوع هو احتباس المطر ونزوله الكرامي على أبي الحسن البلنسي الجنان، وعلى صيغ التحمّل والاسناد. ويسميه ابن الزيات «قصة» لاشتماله على عقدة وحبكة سردية لا يتوفر عليها النص السابق. فما العلاقة بين هذين النموذجين، وكيف يشتركان في مصطلح الخبر، وكيف يفترقان ؟

إن النصين كليهما يشتركان في وحدة «المذكور» الذي هو أبو العباس، والمبسوط الذي هو الموضوع المتعلق به. وهما جميعا من نوع «الخبر». غير أن بينهما علاقة عموم وخصوص. فكلاهما خبر، غير أن الثاني منهما «قصة». فالخبر أعم من القصة. والقصة أخص من الخبر، وإذا كان ابن الزيات قد سمى الثاني منهما باسم القصة، فإن النص الأول يبقى بغير تسمية أو اصطلاح. لكننا نقترح له مصطلحا نستعيره من ابن الزيات نفسه هو مصطلح «المنزعة»[10] وفي لسان العرب : «المنزع والمنزعة : ما يرجع اليه الرجل من أمره ورأيه وتدبيره. وقيل : المنزعة قوة عزم الرأي والهمة»[11]

---

9 - التشوف : 466-467.

10 - التشوف : 470.

11 - لسان العرب : 352/8.

إن المنزعة، إذن، نص فيه رأي يعبر عنه، ليس فيه شروط القصة من حبكة وحوار وما الى ذالك يجادل القصة في صياغة أخبار أبي العباس. وكلاهما محكوم بقانون الظاهر والباطن. فما هو هذا القانون اذن ؟

لنتأمل القصة الزياتية الآتية :

«قال : وجلس أبو العباس السبتي يوما بدكان صديقه أبي يعقوب الحكيم، الى أن جاءه رجل خليع فقال له : أطعمني فإني جائع. فقال له أبو العباس : ليس عندي شيء. ثم عاد عليه ثانيا وثالثا وهو يقول : ليس عندي شيء. ثم قال لأبي يعقوب : هل عندك ثمن خبزة ؟ فدفع له أبو يعقوب درهما، فاشترى به خبزة ودفعها اليه. ثم قال له : لعلك قلت في نفسك : كيف أعطي ما أخذ مني هذا الخليع ؟ فقال له : لقد خطر ذالك ببالي. فقال له : لو لم يكن خليعا، لكنت أنت ذ لك الخليع، ففداك ولم تعرف قدر ما أنعم به عليك».[12]

إن هذا الخبر، وغيره أيضا، يحيل على قصة الخضر وموسى في القرآن الكريم، ويعيد صياغة إشكالية الشريعة والحقيقة، والظاهر والباطن، إن أبا العباس السبتي يستسلف ثمن الخبزة ليشتريها لرجل خليع هاتك لحرمات الشريعة، وكان غيره من الأتقياء أحرى بها وأولى. وهو ما فعله الخضر اذ أقام جدارا متهدما في قرية أهلها لؤماء. وأبو يعقوب الحكيم ينكر عليه هذا. وهو ما فعله موسى من قبل،[13] ثم يبادر أبو العباس السبتي الى تأويل ما لم يستطع أبو يعقوب الحكيم له تفسيرا. كما فعل الخضر من قبل.

---

12 - التشوف : 466.

13 - سورة الكهف : آية 77

إن قصة موسى والخضر، في دلالتها على ازدواجية الحقيقة والشريعة، والتفسير والتأويل، ومفارقاتهما، تظل دائما النموذج الأعلى للخبر الزياتي. وإذا كان من القصص ما يصرح بهذا، فإن منها ما يعميه، وإن كان مصوغا على القالب الأصلي. وهو ما توضحه القصة الآتية :

(3)

«حدّثني أبو عبد الله محمد بن خالص الانصاري قال : حدّثني أخي أحمد قال : حدّثني أبو يعقوب الحكيم قال : خرجت مع الفقيه السبتي من باب الدباغين، وقد أوقد فرن الجيارين، والريح جوفية تهب بالدخان الى جهتنا. فقال أبو العباس : أي ريح تريد أن تهب ؟ فقلت : الريح الشرقية. فقال لي : تهب الآن. قال : فرأيت الريح قد هبت شرقية، فحملت الدخان الى جهة أخرى».[14]

ان هذه القصة تفتقد، في الظاهر، عنصر الإنكار الذي يصاحبه، وتفتقد عنصر التأويل الذي يلازم الباطن. لكننا اذا قرأناها في سياقها الاخباري، أدركنا أن عنصر الانكار الذي يلازم الظاهر، موجود في المتلقي أو «الواقف»، الذي لابد أن ينكر أن يتحكم بشر في هبوب الريح، والذي يسارع عنصر التأويل الملازم للباطن الى محاصرته وطمسه. إن عنصر التأويل هنا هو فكرة الاحسان التي تصرح بها المنازع والقصص.

---

14 - التشوف : 473.

ان الاحسان هو الثابت البنيوي المصرّح به، والمعمّى في الخبر الذي ينقل على سواء «الواقفين» «الموسين» الى «الخضرية» ان الاحسان هو الطريقة الى الحقيقة. ولا بل للحقيقة من شريعة تعكسها، وطريقة توصل اليها. وظهور هذه الطريقة أو استتارها يؤول في النهاية الى واحد هو الحقيقة. «ومن شدة الظهور الخفاء»[14] إن ظهور العناصر وخفاءها ليس الا تنويعا على القصة/النموذج الأصلي.

إن هذه الأخبار التي «يبسطها» ابن الزيات، كانت، في الأصل، «كثيرة عجيبة»[15] لكن عملية نقلها من الشفهي الى الكتابي، استلزمت من ابن الزيات أمرين :

1 - الاختصار، بما فيه من إرباك للنص الأول، وإعادة لصياغته وبنائه وتدخّل فيه.

2 - انتقاء الروايات الشفهية، وانتخاب «العيون»[16]، وطرح الباقي لأنه من غير العيون. قال في لسان العرب : «والعين عند العرب حقيقة الشيء، يقال : جاء بالأمر من

عين صافية، أي من فصّه وحقيقته... وعين كل شيء خياره...[17]

14 (مكرر) - ديوان البوصيري : 5. (من القصيدة الهمزية)
15 - التشوف : 454.
16 - التشوف : 454.
17 - لسان العرب : 305/3.

إن القصص المبسوطة، اذن، هي من العيون، أي الحقائق. انها إذن «قصص عينية» سواء بنيتها وخطابها في هذا. واذ كانت هذه الأخبار تتعلق بالحقيقة، واذ كانت الحقيقة تفضل كل شيء، لأنها أصل كل شيء، فإن «أخبار أبي العباس السبتي» هي خيار أخباره. لأن «عين كل شيء خياره.»[18]

وبناء عليه، لنا أن نقول إن هذا المصطلح، بما فيه من نزعة للمقارنة والتفضيل، على طريقة نقاد العرب القدامى، يحيل، في واقع الامر، على مجموعة الأخبار التي دونها غير ابن الزيات، والتي لم تصلنا، والتي تمنعنا من تلمس وجه العينية. يقول ابن الزيات : «وأخباره كثيرة عجيبة. وقد جمعها أصحابه، وكتبوا من كلامه كثيرا. وفي هذا القدر الذي ذكرته كفاية لمن أراد أن يستشرفها.»[19]

ان الانتقائية في التدوين والتقييد، جعلت من أخبار أبي العباس نصا متعدد التمظهرات، وإن توحد موضوعه. وقد لاحظ ابن الزيات شيئا من هذا فقال : «حتى يعلم من ذالك الواقف بذالك، على مجموع عيون أخباره، حقيقة أمره».[20] ان المجموع حسب لسان العرب، «الذي جمع من هاهنا وماهنا، وإن لم يجعل كالشيء الواحد».[21] ان هذه التعددية الداخلية التي يعكسها مصطلح «مجموع» لا تعني الفوضى داخل النص. إن شكلا من أشكال التنظيم لنصوص أخبار أبي العباس قد وقع.إن مجموع عيون أخبار أبي العباس تنتظمها «أبواب» أي مجموعات صغرى. وهذه «الأبواب» تحمل أسماء تشي بطابعها الموضوعاتي، وتعكس الوظيفية المقصودة في ترتيب الأخبار بقصصها ومنازعها.

---

18 - نفس المصدر.

19 - التشوف :470.

20 - نفس المصدر : 451.

21 - لسان العرب : 53/8.

ان العينية، التي تعكس الافضلية و«الحقيقية» استلزمت من ابن الزيات الحرص على ضمان توفير هذا الطابع لنصوص الاخبار. وإذا كانت المقامات، وهي التي لا تطرح إشكالية الظاهر والباطن وهي تحاول ضمان السيطرة على المتلقي، ولو في الخيال، تستعير من علم مصطلح الحديث بعض أدواته الإجرائية وتوظفها، فإن ابن الزيات قد تبنى مصطلح الحديث وتوسع فيه، وهو يسعى الى إقناع «الواقف» بحقيقية نصوص الاخبار، ليضع فيها كل ثقته. بل إن مصطلحات مثل : أخبر، قال، حدث، سأل، سمع، حضر، وقف ، صارت لها وظائف عميقة. بل إنها صارت تشكل في بناء نص الخبر، مؤشرات على ابتدائه وانتهائه. إن هذا التناظر القائم في بناء كل من المقامة و«الخبر» هو الذي جعل ابن الزيات نفسه يشرح مقامات الحريري شرحا نبيلا. بل يستعير اسما لشرحه هذا من المعجم الصوفي. إن شرحه يحمل عنوان : نهاية المقامات في دارية المقامات.[22]

أما وقد صار الخبر نسقا لغويا أدبيا مبنينا، فقد لزم أن يعرض نفسه على المتلقي. أي أن ينفتح على عالم الانسان الذي سوف يسمعه أو يقرأه. ان انفتاحه على عالم الانسان هو جدل معه، وجدل بين اللغة والأدب والإنسان. وهذا الجدل يولّد في نفس الإنسان «التشوف» الى «أخبار» أبي العباس. وفي لسان العرب : «تشوفت الى الشيء أي تطلعت» و«تشوف الشيء وأشاف ارتفع»[23] «وفي حديث سبيعة أنها تشوفت للخطاب أي طمحت وتشرفت»[24] اذن، «التشوف» تطلع نفساني الى الأعلى، الى «أخبار» أبي العباس.

22 - البلغة : رقم 421.

23 - لسان العرب : 185/9.

24 - نفس المصدر : 186/9.

ان النص إذن، ليس مجموعة لغوية مبذولة للمتلقي بذلا مجانيا، بل هو شيء سام يتشرف المتلقي بالارتفاع اليه، إن «خبر» «الخاصة» لايمكن الا أن يكون أعلى من «العامة». وهو يفرض نفسه عليها بالأرستقراطية العرفانية الكامنة فيه. أليس كتاب أخبار إبي العباس السبتي ملحقا بـ «التشوف الى رجال التصوف» أو هذا ما يوحي به العنوان ومقدمة المؤلف على الأقل[25]

لاشك أن «خاصية» الخبر و«عينيته» تجعلان بينه وبين المتلقى مسافة بعيدة من الصعب عليه أن يطويها وهو من العامة :

وما طويت أرض لنا من كرامة   ولكننا طرنا بأجنحة الحب[26]

يلزمه في البدء أن يتشوف، ثم بعدئذ، يلزمه أن «يستشرف». وفي لسان العرب : «وتشرف الشيء واستشرفه : وضع يده على حاجبه. كالذي يستظل من الشمس، حتى يبصره ويستبينه... والاستشراف أن تضع يدك على حاجبك وتنظر».[27]

«الاستشراف» اذن مرحلة أبعد من تلك التي على المتلقي أن يقطعها ليصل الى «الأخبار»، بما هو لستبصار واستبانة ونظر. لذالك، فإن فضله الأعظم ينحصر في ابن الزيات وحده. لأن نصه هو الوحيد الذي يكفي المتلقي المتشوف المستشرف. قال ابن الزيات : «وأخباره كثيرة عجيبة، وقد جمعها أصحابه وكتبوا من كلامه كثيرا. وفي هذا القدر الذي نكرته كفاية لمن أراد أن يستشرفها».[28]

---

25 - التشوف : 451.

26 - ديوان الأمير أبي الربيع : 94.

27 - لسان العرب : 171/9.

28 - التشوف : 470.

ان الذي يتشوف الى «الأخبار» ثم يستشرفها، هو، ولا شك، متلق ذو خصائص معينة. واذا كان ابن الزيات لم يفصح عن طبيعته، فإنه سماه «الواقف»[29]. وفي لسان العرب : «واذا وقفت الرجل على كلمة قلت : وقفته توقيفا».[30] و«الواقف خادم البيعة، لأنه وقف نفسه على خدمتها».[31] ان المتلقي، عند ابن الزيات، هو إذن، متلق من نوع خاص. إنه غير محايد. بل رجل مرتبط بتشوفه واستشرافه بالأخبار، ارتباط خادم البيعة بالبيعة، إن علاقة مقدسة ما تربط بينهما. لأجل أنه متلق متصوف مريد لا مراد في معبد النص. مريد يرتفع الى النص «ليقضي به العجب».[32] إن قضاء العجب أو التعجب، هو ثمرة تشوف المتلقي الواقف – المريد واستشرافه الخبر. وفي لسان العرب : العجب والعَجْب : انكار ما يرد عليك لقلة اعتياده».[33] قضاء العجب إذن هو إنكار «للخبر» لقلة اعتياده. لكنه إنكار نفسي ضمني، مسموح به لمريد ما يزال يترقى في المقامات، ويفكر بـ«الظاهر»، أو الموسوية الكائنة في أغوار نفسه، ويسقطها على «الباطن» أو الخضرية الكائنة في أغوار «الخبر» المتشوف إليه. ويصدم دوما بالحدث لينكره.

«الواقف»، بناء عليه، هو موسى أبدي. يفكر بمنطق العقل والشريعة، ويستشرف الباطن لينكره، قبل أن يسلم به. وهو مالم يصرح به ابن الزيات، مثلما لم يصرح به القرآن من قبل.

---

29 - نفس المصدر : 451.

30 - لسان العرب : 359/9.

31 - نفس المصدر.

32 - التشوف : 451.

33 - لسان العرب : 580/1.

بناء على ما سبق، نستطيع أن نزعم أن اللغة العلمية الواصفة للنصوص الادبية، عند ابن الزيات، هي لغة علمية حاملة لمفاهيم أدبية - صوفية محددة، صادرة عن رؤية علمية معينة للنص السردي. إنها مصطلحات مضبوطة ومشحونة بمفاهيم.

صحيح إن ابن الزيات لا يشرحها، ولا يضع لها نظريات، لاجل كونه لم يكن ناقدا بالنظر، مثلما كان قدامة وابن رشيق. بل كان ناقدا بالفعل أو بالحال. أي ناقدا في عملية توجهه للمتلقي، وتقييده للنصوص، وتسجيلها ونقلها من الرواية الى الخط، وانتقائها ومعيرتها وبنينتها. غير أنها مصطلحات متناسقة مترابطة، وإن أوهمتنا أنها مصطلحات مشتتة. إنها إذن، نسق مفهومي أو لغة واصفة بالفعل لا بالنظر.

وهذه اللغة النقدية الواصفة التي أخنى عليها الدهر ردحا طويلا من الزمن، لأجل العقد الثلاث التي تحكم ثقافتنا المغربية المعاصرة، ونقصد، ولا ريب عقدة المشرق وعقدة الأندلس وعقدة الغرب،وهي العقد التي تكبل تفكيرنا المعاصر،وتمنعه الأصالة،(34) تستطيع أن تساعدنا على تطوير معجم عربي مغربي معاصر، يواكب تطور نظرية الأجناس الأدبية، والبحث النقدي المعاصر، وتستطيع أن تجنبنا كثيرا من الإسقاط للمفاهيم الغربية الذي يحدث كثيرا في تعاملنا مع التراث المغربي.

تطوان — د. جعفر بن الحاج السلمي (*)

---

34 - عن العقد الثلاث انظر : «الخلفية السياسية الفكرية للتراث النقدي السبتي في مرحلته الاولى. كتاب شفاء الصدور نموذجا».
بحث لكاتب هذه السطور. نشر بمجلة كلية الآداب بتطوان، عدد 3، ص 451-454. سنة 1989.

* - أستاذ الأدب المغربي والأندلسي / كلية الآداب - تطوان

المصادر

1 - القرآن الكريم.

2 - البلغة في تاريخ أئمة اللغة. للفيروز آبادي. (817-هـ) تحقيق محمد المصري. دمشق. 1972.

3 - التشوف الى رجال التصوف، وأخبار أبي العباس السبتي. لابن الزيات التادلي. (628 هـ) تحقيق ذ. أحمد التوفيق. منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية. سلسلة نصوص ووثائق. رقم 1. الرباط. 1404-1984.

4 - ديوان الامير أبي الربيع سليمان بن عبد الله الموحدي. (604- هـ) تحقيق محمد بن تاويت. محمد بن العباس القباج. سعيد أعراب محمد بن تاويت. منشورات كلية الآداب، ومساهمة المركز الجامعي للبحث العلمي. وتحت إشراف معهد مولاي الحسن. تطوان. د.ت.

5 - ديوان البوصيري. (696- هـ) تحقيق محمد سيد كيلاني. القاهرة. 1374-1955.

6 - لسان العرب، لابن منظور. (711- هـ) دار الفكر دار صادر. بيروت. د.ت. 15 جزءا.

ج.س.

مناهج شراح الشعر بالمغرب

د. عبد الجواد السقاط

إن الحديث عن التراث الأدبي بالمغرب يفرض علينا نفسه في كل مجال ومناسبة، لما يكتسيه هذا التراث من أهمية بالغة، وما يمثله بالنسبة للمغاربة من عناصر الربط بما ضيهم وأمجادهم على امتداد العصور. ومن هذه الزاوية كانت العناية به ضرورية وملزمة، وكان البحث فيه والتنقيب عن مظانه واستنطاق تراكماته توجها حضاريا يسعى إلى إثبات الذات واستشعار الأصالة، وربط الحاضر بالماضي ربطا لا يقف أمام هذا التراث وقفة الجامد المنبهر، ولكن وقفة المتأمل المستفيد، الذي يتوسل بإيجابيات هذا التراث في صناعة الحاضر، والاستشراف على آفاق المستقبل وتطلعاته، خاصة إذا تأكدت لدينا قيمة التراث، من كونه وثيقة تاريخية تعكس المراحل التي قطعها المغرب بكل شحناتها السياسية والفكرية والاجتماعية، ووثيقة لغوية تبلور المستويات اللغوية التي توسل بها العلماء والأدباء المغاربة، ووثيقة حضارية تمثل الإسهام المغربي في إغناء الثقافة الإنسانية عامة، وتمثل التلاقح الذي كان قائما، ولا يزال، بين الثقافة المغربية الأصيلة، وبين ثقافات الأمم الأخرى في انسجام وتوافق.

والجدير بالطرح هنا أن هذا التراث الأدبي بالمغرب ليس مقتصرا على المصنفات الأدبية فحسب، بل إنه تراث مبثوث في مصنفات ذات اتجاهات علمية متعددة، تختلف بين التاريخ والتراجم والرحلات والجغرافية والفقه والفلك...الخ...، وهذه واحدة من إشكاليات التراث الأدبي المغربي، الشيء الذي يدعو إلى الاهتمام بهذه المصنفات جميعها، والتعرف إليها لاستنباط المادة الأدبية منها، وخاصة ما لا يزال منها مخطوطا دفين رفوف المكتبات الخاصة والعامة.

كما يجدر الطرح أن هذا التراث الأدبي المغربي، كما تتعدد مصادره ومظانه، كذلك تتعدد أنماطه وألوانه، سواء من حيث الإبداع الشعرى بما في ذلك القصائد والموشحات والأراجيز والأزجال، أو من حيث التصنيف العلمي والأدبي بما في ذلك النقد والترجمة والكتابة الموسوعية، وكذلك الشروح التي وضعها أصحابها على آثار أدبية مختلفة، والتي سنقف عندها قليلا في هذا البحث، باعتبارها واحدا من أبرز وجوه التراث ومجالاته التي تحظى بشيء غير قليل من الخصوبة والغنى، وذلك للوقوف على المناهج التي اعتمدها الشراح المغاربة في شروحهم الشعرية، وما يطرحه هذا الموضوع من قضايا لاشك أن ملامستها ستزيدنا اقترابا من هذه الشروح، وتوسع معرفتنا بكثير من أنماطها وطرائقها.

وهكذا فبالنظر إلى المناهج التي اعتمدها شراح الشعر بالمغرب نستطيع أن نقف على مجموعة ملاحظات يمكن استعراض بعضها كالتالي:

1 - إن معظم هؤلاء الشراح قد مهدوا لشروحهم بمقدمة أو خطبة يطرحون فيها الأسباب التي حملتهم على إنجاز الشرح، وكذا الخطة أو المنهج الذي اعتمدوه في هذا الإنجاز. وإذا كانت هذه الظاهرة لا تخلو من أهمية، فإنها من جهة أخرى تدل على وعي الشارح المغربي بقيمة العمل الذي ينجزه، وبضرورة التعامل معه وفق منظور محدد يضبط خطواته ومراحله، كما أنها قد تدل على التكامل الثقافي القائم بين شراح المغرب، وبين شراح كل من المشرق والأندلس، الذين كانوا بدورهم يمهدون لشروحهم بخطب مماثلة، وإن كان الشراح المغاربة في هذا المجال قد تفوقوا على غيرهم فيما نحسب، وذلك لأن هذه الخطب لم تصحب الشروح بالمشرق مع نشأتها، وإنما تأخرت عن هذه النشأة بكثير، خلافا للشروح المغربية التي رافقتها هذه الخطب منذ طلائعها الأولى.

2 - إننا من خلال هذه الخطب، وكذلك من خلال المتون نفسها، نستطيع القول بأنها تجسد وجها آخر من وجوه ذلكم التكامل الثقافي بين المشرق والمغرب، والذي يحظى بكثير من عناصر التشابه بين إنجازات هؤلاء وأولئك.

ولنا أن نقيم مقارنة في هذا المضمار بين «المنح المكية في شرح الهمزية» لأحمد بن حجر الهيثمي المصري (ت 974 هـ) وشرح محمد بن عبد الرحمن الصومعي المغربي (ت 1123 هـ) للهمزية ذاتها، لتتضح لنا عناصر التشابه تلك، والتي تبدو في بعض الأحيان صورة مكرورة يتعقب فيها الشارح المغربي خطوات متقدمه ابن حجر. فقد جاء في شرح مطلع القصيدة :

كيف ترقى رقيك الأنبياء
يا سماء ما طاولتها سماء

قول ابن حجر :

(كيف) هي في الأصل اسم مبني لتضمنه معنى حرف الشرط والاستفهام على الفتح لخفته، وعلى حركة لالتقاء الساكنين، وترد للشرط، وخرج عليها نحو «ينفق كيف يشاء»، وجوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه. والاستفهام، وهوالغالب، إما حقيقيا نحو كيف زيد أو غيره، كما هنا، إذ هي للإنكار المشوب بالتعجب المتضمن للنفي... (ترقى رقيك) الحسي فما فيه مكسور القاف من رقي السلم،وهو رقيه «ص» ببدنه يقظة بمكة ليلة الإسراء قبل الهجرة إلى السماء، ثم إلى سدرة المنتهى، ثم المستوى الذي سمع فيه صريف الأقلام في تصاريف الأقدار، ثم إلى العرش والرفوف والرؤية وسماع الخطاب بالمكالمة والكشف الحقيقي وغير ذلك مما لم يصل إليه مقرب ولا نبي مرسل.

والمعنوي من رقى بالفتح وهوالنقل من كل صفة كاملة وخلق عظيم إلى صفة أخرى وخلق آخر أكمل وأعظم إلى مالا غاية له... (الأنبياء) جمع نبي فعيل بمعنى فاعل أو مفعول، من النبإ، يهمز وقد لا يهمز تخفيفا وهو الخبر فإنه مخبر ومخبَر عن الله تعالى، أو من النبوءة فلا يهمز لأنه مرتفع أو مرفوع الرتبة على غيره من الخلق... (يا) حرف نداء للبعيد أو القريب المنزل منزلته... (سماء) بالتنوين والنصب بناء على أنها نكرة موصوفة وهي من حيز الشبيه بالمضاف... (ما) نافية (طاولتها) أي غالبتها في الطول والارتفاع (سماء) وهذا الشرط الثاني كالدليل للشرط الأول إذ التقدير لم يرتق أحد منهم ارتقاءك لأنه لم يستطع مطاولتك في ارتقائك الحسي ولا المعنوي وإن كانت درجاتهم كلها ومراتبهم وصفاتهم بأسرها أرفع الدرجات وأكمل المراتب وأجل الصفات...[1].

1 - المنح المكية (خ.ع.ر.د 1372) من ورقة 31 وجه إلى ورقة 34 ظهر، مع بعض الاختزال اختصارا.

- وجاء في شرح المطلع نفسه قول الصومعي :

(كيف) للاستفهام في الغالب، وقد تكون للشرط في النادر، وحمل عليه قوله تعالى «ينفق كيف يشاء» فيشاء فعل الشرط، والجواب محذوف، يدل عليه ينفق، وهي في البيت للانكار المشوب بالتعجب المتضمن للنفي... قوله (ترقى) ماضيه رقي بكسر القاف من رقي السلم إذا صعد فيه، ورقيه «ص» إلى السماء ليلة الاسراء ببدنه الشريف يقظة بمكة قبل الهجرة إلى السماوات السبع، إلى سدرة المنتهى، إلى المستوى الذي يسمع فيه تصاريف الأقلام بنقل الأقدار لمن شاء الواحد القهار، إلى العرش إلى الرفوف ألى محل الرؤية وسماع الكلام بالكشف الحقيقي وغير ذلك مما لم يطلع عليه نبي مرسل ولا ملك مقرب. ويجوز فتح ماضي رقى ومعناه انتقل من كل صفة كاملة وخلق عظيم إلى ماهو أكمل وأعظم وهكذا إلى مالا نهاية له...[2].

على أن هذا التكامل، أو الصورة المكرورة، لا نلحظها فقط بين المغاربة وغير المغاربة، بل نلحظها أحيانا بين المغاربة فيما بينهم، وإن كان ذلك يتم بشيء من التحوير زيادة أو حذفا. ولعل هذا السلوك لا يعكس ما قد يؤخذ على الشارح اللاحق من اجترار وإعادة، وإنما يعكس خصوبة الثقافة التي يمتلكها الشارح المغربي عموما، والتي تجعله على اطلاع شامل على ما تقدمه من أعمال، واستحضار عفوي لما يختزن بذاكرته من معلومات ومعارف. فإذا لاحظنا سابقا ذلكم التشابه القائم بين مقطعي كل من ابن حجر والصومعي، يمكن أن نلاحظ أيضا التشابه ذاته بين الصومعي وبين شارح مغربي آخر متأخر عنه هو محمد الحضيكي (ت 1189 هـ) الذي شرح بدوره همزية البوصيري

2 - (خ.ع.ر.ج. 895) الصفحة الاولى من الشرح، وهو غير مرقم.

كما شرحها الصومعي من قبل، والذي جاءت مقاطعه شبيهة بمقاطع الصومعي فكرا وصياغة، كما يدل على ذلك قوله في شرح مطلع الهمزية[3] :

(كيف) استفهام مشوب بالتعجب بمعنى النفس يستفهم بها عن حال الشيء لا عن ذاته، وهي حال من ترقى قوله (ترقى) مضارع رقي بالكسر أي صعد ببدنه حسا أو من رقى بالفتح بمعنى التنقل من كمال إلى كمال، (الانبياء) فاعل من النبإ وهو الخبر لأن النبي مخبَر ومخبر عن الله، (ياسماء) بالتنوين والنصب لأنها نكرة موصوفه.. وهي في حيز الشبيه بالمضاف، ويجوز الضم، ويصح بناؤها على الضم على أنها نكرة مقصودة، نادى بالياء التي للبعد لعلو مرتبة المنادى «ص» وبعدها عن أن تلحق أو تسامى، قوله (ماطاولتها سماء) مانافية، طاولتها فعل ماض، والهاء مفعول، وسماء فاعلة ومعنى البيت على أي حال تصعد الأنبياء إلى رتبتك، لا يكون ذلك ولا كان ياسامي المقام الذي لا يساميه سام ولا يقاربه. وقد رقي «ص» ببدنه الشريف يقظة إلى السماء ثم إلى سدرة المنتهى، ثم إلى المستوى الذي يسمع فيه صريف الأقلام في تصاريف الأقدار، ثم إلى العرش والرفوف، ورأى ربه بعيني رأسه وسمع كلامه وخطابه بالكشف الحقيقي التام ورفعه الله تعالى إلى مقام عزيز لم يصل إليه ملك مقرب ولا نبي مرسل كما تنقله من أوصاف كمال إلى أوصاف جلال وجمال، وهكذا إلى ما لا غاية له...»[4].

3 - إن هذه الشروح، من حيث مركز الشرح، تختلف بين أكثر من طريقة لعل لكل واحدة منها ما يبررها لدى الشارح :

---

3 - قارن هذا المقطع مع المقطع المتقدم للصومعي في شرح المطلع نفسه.

4 - شرح الهمزية للحضيكي (خ.ع.ر.ج.527) الجزء الأول، ورقة 1-2.

أ - فإما أنه يعتمد منهج البيت الواحد، ونعني بذلك أنه يشرح المتن الشعري بيتا بيتا، كما هو الشأن مثلا عند الماغوسي في شرحه للامية العرب، أو اليوسي في شرحه «نيل الأماني» أو لضرابهما.

وطريقة كهذه قد تلتقي مع منظور الكثيرين من النقاد والمبدعين القدامى، سواء في المغرب أو في المشرق، فيما يتعلق بوحدة البيت التي كانت لدى العديد من هؤلاء هدفا يحتفظ بكل أسباب الأسبقية والتقدم. وكنموذج لهذا المنهج نورد مقطعا من شرح محمد بن زاكور الفلسي للامية العرب يشرح فيه مطلع القصيدة :

أقيموا بني أمي صدور مطيكم
فإني إلى قوم سواكم لاميل

«المطي كالمطايا جمع مطية وهي الدابة تمطو في سيرها أي تجد وتسرع، وإقامة صدور المطي إعمالها في السير والتوجه بها إلى وجهته، وقد يقصد بها الجد في الأمر والانتباه من الغفلة فيكون تمثيلا على سبيل الاستعارة، وهذا هو المراد هنا، كما قيل، وهو الظاهر، وأصله في الراكب ينام على راحلته فتنحرف به عن القصد فيقال له أقم صدر مطيتك، أي انتبه من نومك، والميل إلى الشيء الانحراف إليه بالقلب، والأميل الأشد ميلا. وبنو قومه قيل هم فهم وعدوان، والقوم سواهم رهطه من الأزد، وكان نازلا في بني أمه فعيّر فرحل إلى قومه، وهذا التعيير سبب قوله القصيدة. والمعنى جدو ايابني إبي في أمركم فإنكم نمارون، وانتبهوا فإنكم نائمون عن شأني الذي هو غير شأنكم، وبمراحل عما تتوسمونه من ميلي أليكم لكوني نازلا فيكم، فإني أشد ميلا إلى قوم غيركم، أي ميلي إليهم أشد من ميلي إليكم، وإن كنت بعيدا وهواي معهم، وإن لم أكن فيهم. وهذا إنذار لبني أمه برحيله عنهم. ثم قال :

فقد حمت الحاجات والليل مقمر

وشدت لطيات مطايا وأرحل

...».[5]

ب - وإما أن الشارح يعتمد منهج البيتين، ونقصد بذلك أنه يقسم المتن المشروح إلى وحدات كل منها ذات بيتين اثنين كما هو الأمر مثلا بالنسبة لسعيد بن سليمان الجلالي الكرامي في شرحه للبردة. وكنموذج لذلك نسجل شرحه للبيتين الأولين من البردة، وهما قول البوصيري :

أمن تذكر جيران بذي سلم   مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

أم هبت الريح من تلقاء كاظمة   وأومض البرق في الظلمات من إضم

قال الشارح الكرامي :

«قوله أمن تذكر جيران استفهم المؤلف رحمه الله عن سبب جريان دمع مخلوط بالدم من العين، هل السبب تذكر جيران كائنين بذي سلم، وهو موضع، فماتوا وذهبوا، أ م السبب هبوب ريح محبتهم ومجيئها، أم السب أيماض برق محبتهم ونورها. وإن كان الدمع من المؤلف فقد استفهم نفسه، وأن كان الدمع من غيره فقد استفهم الغير، وإن استفهم عما علم فهو تقرير، أو عما لم يعلم فهو طلب الفهم، وذو سلم موضع، والمقلة شحمة العين التي فيها السواد والبياض، ومنها يجري الدمع. ويقال هبت الريح تهب هبوبا إذا أقبلت وجاءت، وهبوب الريح جريها. وقوله من تلقاء كاظمة أي من جهة كاظمة، صرفه للوزن.

---

5 - تفريج الكرب عن قلوب أهل الأدب في معرفة لامية العرب (خ.ع.ز.د 157) ص 95.

وقوله وأومض البرق أي ظهر وأضاء واستنار، وتصريفه أومض يومض أيماضا، أي وأومض البرق في الليلة الظلماء من إضم أي من واد معروف أي أم أومض البرق من ذلك الوادي. وإضم إن كان مذكرا فهو منصرف، وأن كان مؤنثا فهو غير منصرف، لكن صرفه للوزن»[6].

وبعد ذلك ينتقل الشارح إلى البيتين المواليين، ثم اللذين بعدهما إلى نهاية القصيدة.

ج - وإما أنه يعتمد منهج المجموعة من الابيات، إذ أنه لا يجزئ المتن الشعري إلى أبيات منفصلة بعضها عن البعض، ولكنه يجزئه إلى مجموعات أو وحدات تنتظم كل منها أكثر من بيت. ولعل في هذه الطريقة ما يوحي بأن الشارح ينطلق في تعامله مع المتن المشروح من منظور فكري في المقام الاول، فيتعامل مع هذه الوحدات الفكرية بما يخدم منظوره ذاك. ولنا في «رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة» لابي القاسم السبتي مثلا ما يعتبر شاهدا على ذلك[7].

د - وإما ألا يعتمد الشارح واحدا من المسالك الثلاثة، وإنما يخلط في منهجه بينها جميعا، فتارة يخص البيت الواحد بالشرح، وأخرى يخص البيتين، وثالثة يخص الثلاثة، ورابعة يتعامل مع أكثر من ثلاثة أبيات دون أن يعتمد في ذلك تقسيما مضبوطا أو منهجا واضحا. وقد نمثل لهذا المسلك بشرح أبي عبد الله محمد ابن أحمد الحضيكي لهمزية الامام البوصيري[8].

---

6 - شرح البردة للكرامي (خ.ع.ر.د.1372) ورقة 4 ظهر.

7 - تحقيق محمد الحجوي (مرقون بخزانة كلية الأداب بالرباط).

8 - خ.ع.ر.ج.527 في جزأين.

4 - إن هذه الشروح في الغالب الأعم لم تلتزم اتجاها معرفيا واحدا كما هو الشأن بالنسبة لشراح المشرق، وإنما اعتمدت منهجا تلتقي فيه اتجاهات مختلفة، ومجالات معرفية شتى، الشيء الذي جعله منهجا موسوعيا يمثل ذلكم الطابع الشمولي لثقافة الشراح المغاربة، والذي أشرنا إليه قبل قليل. فإذا كان من شراح المشرق من غلب عليه الاتجاه التاريخي كأبي عبيدة، أو الاتجاه اللغوي كالأصمعي، أو الاتجاه النحوي كابن جني، إلخ... فإن هذه الاتجاهات جميعا، وغيرها كذلك، تبرز أمامنا مجتمعة في معظم الشروح الشعرية بالمغرب.

وللإشارة فحسب، نعرض لشرح «إظهار صدق المودة في شرح البردة» لابن مرزوق، فقد جعل الكلام على ما يشرحه من أبياتها في سبع تراجم كما قال :

«الأولى : الغريب، في شرح لغة الألفاظ المفردة، وما يتعلق بها من التصريف؛

الثانية : التفسير، في شرح المعنى المقصود من تراكيب الجمل؛

الثالثة : المعاني، في ذكر خواص الكلمة المستعملة في ذلك التركيب وغيرها إفرادا وتركيبا؛

الرابعة : البيان، في ذكر وجوه ذلك التركيب مع وضوح دلالته على المعنى المراد وبيان الحقيقة منه من المجاز وما ينخرط في سلك ذلك من ذلك الفن؛

الخامسة : البديع، في ذكر وجوه ما في ذلك التركيب من المحاسن اللفظية والمعنوية؛

السادسة: الإعراب، فأذكر منه الوجوه الظاهرة القوية دون غيرها، وهي ترجمة معينة على فهم معاني الأبيات؛

السابعة : الإشارات التصوفية، فأذكر منها ما يمكن أن يكون إشارة إلى المعنى المذكور»[9].

---

9 - إظهار صدق المودة (خ.ع.ر.د.1713) الجزء الأول، ص 10.

والواضح أن هذه التراجم قد جمعت بين الشرح اللغوي والتفسير المعنوي والتحليل البلاغي والتوضيح الإعرابي والتطعيم بالإشارات الصوفية التي تخدم المعنى المشروح، وهو جمع لم يأت اعتباطيا أو عشوائيا، وإنما جاء تلبية لتسلسل منطقي وتدرج منهجي يجعل كل ترجمة فيه شديدة الاتصال سواء بالتي قبلها أو بعدها.

وإذا كان ابن مرزوق في القرن الثامن الهجري قد سلك هذا المنهج الشامل الجامع، والدقيق المتسلسل في نفس الآن، فإن كثيرا من الشراح الذين أتوا بعده قد التزموا بالنهج ذاته، نذكر منهم على سبيل المثال محمد الصغير اليفرني في القرن الثاني عشر الهجري في شرحه لموشحة ابن سهل، إذ يؤكد هذا الالتزام بقوله :

«وجعلت الكلام على كل بيت منه منحصرا في مطالب :

أولها : تفسير ألفاظه اللغوية، وقدمته لأن ذلك طريق إلى ما بعده؛

ثانيها : رفع القناع عن معنى التركيب، وتنزيل المعاني على الألفاظ، ونسق بعضها ببعض حتى تكون من حيث المعنى كأنها سبيكة إبريز، تشهد لصانعها بالتقدم في الصناعة والتبريز؛

ثالثها : وشي حلل البيت بسلك المعاني ثم جوهر البيان، ثم بيواقيت البديع، وهذا ألطف المطالب وأعلاها وأغلاها، إذ هو مضمار ما يقع به التفاضل، وينعقد بين الأماثل في شأنه التسابق والتناضل؛

رابعها : الإعراب الذي هو سبب لفهم فحوى الكلام وظهور لحن الخطاب،

وربما أُلِمُّ من خلال هذه المطالب بما رأيت له مماسة بالمقام، مما تثيره المنسبة وتقتضيه، وتميل إليه الفِطَرُ السليمة وترتضيه، من النظم الجزل في الجد والهزل، ومستطرف الحكايات التي يحصل بها للناظر الإمتاع، ولا يعدها من سقط المتاع المبتاع»[10].

ولربما اتسع مجال هذه الشمولية في الشرح إلى تطعيم بعض الشروح، علاوة على اللغة والنحو والبلاغة والنقد، بتراجم بعض الأعلام الذين يرد ذكرهم في الشرح، واستعراض بعض القصص والأخبار التاريخية، كما هوالشأن مثلا في شرح أبي القاسم السبتي لمقصورة حازم، وكما أكده الشارح نفسه في الخطبة التي صدر بها لشرحه إذا قال :

«وقد رأيت أن أصنع عليها كتابا أضمنه شرح غريبها، والكلام على بدائع أسلوبها، منبها على ما اخترع من أنواع الاغراض وضروبها، ثم أمد عنان القول فيما أشار إليه من الايام الأوائل وحروبها، فيكون جامعا لكثير من الفنون، محتويا على الأبكار من غرائب الكلم والعون، مطلعا على أخبار الامم الخالية والقرون»[11].

وهكذا لو تتبعنا معظم هذه الشروح، لالفينا أصحابها في الغالب الأعم يتناولون ألفاظ المتن المشروح لفظا لفظا، واقفين عند الجانب اللغوي بما يتطلبه الموقف من إيجاز أو إسهاب، وكذلك الأمر بالنسبة للجانب النحوي، وبعد ذلك يقفون عند معنى البيت أو المجموعة من الأبيات، مفصلين القول في ذلك، ومستعينين بين الحين والحين بما يدعم أراءهم من قضايا بلاغية ونقدية. ولنا في النماذج التي سقناها قبل قليل ما يغني عن طرح نماذج تمثيلية أخرى.

---

10 - المسلك السهل في شرح توشيح ابن سهل، تحقيق محمد العمري، (مرقون بخزانة كلية الآداب بالرباط)، الجزء الثاني، ص 5.

11 - رفع الحجب المستورة، الجزء الاول، ص 3.

5 - إن هذه الشروح تتوسل في تقرير مقولاتها بشواهد عدة تستقيها من مصادر ثلاثة لعل الشارح المغربي يعتبرها أنجع وسيلة لتوثيق مواقفه ودعم آرائه، وهذه المصادر هي :

أ - المصدر الديني، إذ نجد الشارح يستشهد بكثير من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية، الشيء الذي يدل على خصوبة ثقافته الدينية، وحضورها في ما يمارسه من تصنيف؛

ب - المصدر الأدبي، إذ نجد الشارح، إلى جانب ما تقدم، يستشهد بالعديد من الأبيات الشعرية، مما يدل كذلك على تنوع ثقافته، واستغلاله هذا التنوع في مضمار التأليف والدرس؛

ج - المصدر العلمي، إذ نجد الشارح يدعم آراءه وتفسيراته بالكثير من أقوال العلماء المتقدمين، سواء كانوا مشارقة أو أندلسيين، وهو مظهر يدل بكامل الوضوح على تفتح الثقافة المغربية على المجال الخارجي، ومحاولتها الانسجام مع هذا المجال تقريرا وممارسة.

ومهما كان تنوع هذه المصادر، فإن اعتمادها من قبل الشارح المغربي يكرس مفهوم الثقافة الغنية التي يتمتع بها هذا الشارح، كما يكرس مبدأ الضبط والتوثيق الذي جعله عنصرا أساسيا من عناصر منهجه في الشرح والتفسير. ولعلنا في هذا المقال المحدود حيزه، لانستطيع أن نقدم أمثلة على هذه المصادر، بل نكتفي بالإحالة على مصنفات الشروح الشعرية بالمغرب، فإن واحدا منها لا يكاد يخلو من هذه المصادر مجتمعة، أو بعضها على الأقل، على أننا سنفرد في الأيام القادمة بحول الله بعض الشراح الأعلام بالمغرب، بدراسات تفصيلية حول المناهج التي اعتمدوها، وعندها يمكن طرح الكافي من الاستشهادات والنماذج، كما يمكن إبراز خصوصيات هذا الشارح أو ذاك، مما يشذ عن الملاحظات العامة التي أوردناها هنا.

وأخيرا إذا كانت الشروح الشعرية بالمغرب من الاهمية بالقدر الذي حددناه، وكانت تراثا يزخر بمجالات المعرفة المتعددة، ويعكس الثقافة المغربية في تنوعها وشموليتها، ويبلور جوانب منهجية في حيز هذه الثقافة، فما أحراها أن تكون محط اهتمام الباحثين والدارسين، وما أجدرها بعناية المحققين والمهتمين، ولئن كانت بعض هذه الشروح بالفعل قد خضعت لعملية التحقيق في المرحلة الراهنة، فإن الكثير منها لايزال رهين رفوف المكتبات الخاصة والعامة، ينتظر من ينفض عنه غبار النسيان والإهمال، ويمده بأسباب الذيوع والإنتشار. ويوم يتغلب البحث المغربي على هذا الانتظار يكون قد أدى خدمة جلى لجانب مهم من جوانب التراث المغربي، وفتح نافذة أخرى للإطلالة على حضارة المغرب وثقافته على امتداد العصور.

الرباط　　　　　　　　　　　　د. عبد الجواد السقاط(*)

---

* - أستاذ الأدب المغربي / كلية الآداب - المحمدية

التبادل التجاري بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في العصر الوسيط

حسن حافظي علوي

انفتح سكان المغرب الاقصى على بلاد السودان الغربي في فترة جد مبكرة من التاريخ. وكان التعامل التجاري بين المغاربة والسودانيين يتم في بداية الأمر عبر ما يسمى بالتجارة الصامتة التي وصفها القزويني بقوله : «عندما يصل التجار إلى بلاد السودان كانوا يضربون طبولا ليعلموا القوم... فإذا علم التجار أنهم سمعوا صوت الطبل أخرجوا ما معهم من البضائع... فوضع كل تاجر بضاعته في جهة منفردة... فيأتي السودان بالتبر ووضعوا بجنب كل متاع شيئا من التبر وانصرفوا ثم يأتي التجار بعدهم فيأخذ كل واحد ما وجد بجنب بضاعته من التبر... ولا يذكر أحد من هؤلاء التجار أنه رأى أحدا منهم»[1].

---

1 - القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، 1969، ص: 19.

ويغلب على الظن أن مضمون هذا النص لا ينطبق على المرحلة التي عاش فيها مؤلفه - أي القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي - بقدر مايعبر عن الكيفية التي تم التعامل بها بين الطرفين في العهود الغابرة. فمن المعروف أن بلاد السودان الغربي خضعت قبل زمان القزويني لحكم بعض الممالك المسلمة كما هو الشأن بالنسبة لملكة تكرور، كما أن مملكة غانا التي سبق تاريخ إنهيارها الفترة التي عاش فيها هذا المؤلف اعتمدت في تسييرها الإداري على بعض الفقهاء والتجار من المغاربة وغيرهم.

وقد لعبت مناطق الواحات المغربية بحكم موقعها على باب الصحراء الكبرى دورا متميزا في عملية الاتصال بين المغرب الأقصى والسودان الغربي. ويمكن القول بأن هذا الدور قد ظهر منذ تاريخ بداية هذه العملية بين المنطقتين. فقد إكتشف CH. Allain و D.j. Meunié في خمسينيات هذا القرن صور العربات تجرها الخيول بجبل أفيلال[*] يعود تاريخها لعهود قديمة، واستنتج الدارسان أن هذه الصور تؤكد قدم التعامل التجاري بين المغرب والسودان الغربي عبد الصحراء الكبرى[2].

---

* - يوجد جبل أفيلال بمنطقة تافيلالت ويقع على بعد 50 كلم جنوب جنوب شرق الريصاني و4 كلم شمال شمال غرب الطاوز، راجع ما كتبته D.J. Meunié عن هذا الموقع في: Abbar cité royale de Tafilalet, Hésperis, 1959, p:10

2 - D.J. Meunié et CH. Allain, quelques gravures et monuments funéraires de l'extréme sud-est Marocain. Hésperis. T.XI III.1 ère 2ème trim.1956, p:51.

1 - المسالك التجارية الصحراوية :

كانت كل مناطق الواحات المغربية مؤهلة للقيام بدور متميز في ربط الاتصال بين بلاد المغرب والسودان الغربي غير أن تأسيس مدينة سجلماسة وازدهارها السياسي في عهد بني مدرار وبني خزرون من بعدهم جعلها المحطة الرئيسية في هذه العملية وأثر ذلك على أولويتها مقارنة مع مناطق درعة وسوس وواد نول.

وقد ميزت D.J. Meunié بين فترتين متميزتين في تطور وتغير المحاور التجارية الرابطة بين بلاد السودان الغربي والمغرب الأقصى : الأولى، تبتدئ بالقرن الحادي عشر الميلادي وتنتهي في أواخر القرن الرابع عشر الميلادي، وفيها ظلت سجلماسة تلعب دورا مهما في التبادل التجاري. والثانية تبتدئ بالقرن الخامس عشر الميلادي وتستمر الى ما بعده، وفيها فقدت هذه المدينة أولويتها التجارية وتخلت عنها لصالح منطقة درعة الشرقي وسوس وواد نول[3].

فالطرق التجارية الرابطة بين السودان الغربي ومناطق الشمال الافريقي بدأت تتجه نحو الغرب في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي وكانت النتيجة أن تضررت بفعل ذلك مناطق وركله وغدامس وطرابلس[4]. ثم عرفت هذه الطرق في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي إستقرارا في اتجاهها واستمرت على ما أصبحت عليه في المراحل اللاحقة لهذه الفترة. ويظهر ذلك بوضوح من خلال وصف البكري لـــهذه

3 - D.J. Meunie : Le Maroc saharien des origines a 1670, Paris, 1982 , p:393.

4 - J. Devisse: Routes de commerce et échanges en Afrique occidental occidentale en relation avec la méditerranée un essai sur le commerce Africain médievale du X au XVI siècle 1er partie R.H.E.S. N° 2-3.1972 p: 55.

الطرق الذي لا يختلف عن وصف الذين أتوا بعده من الجغرافيين الى حدود منتصف القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي.

أجمعت أغلب الدراسات الحديثة على أن الطرق التجارية الصحراوية التي ربطت بين المغرب الأقصى والسودان الغربي ثلاثة اتخذت شكلها القار في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي وهي : الطريق الساحلي، طريق سجلماسة - غانا عبر أودغست، وطريق سجلماسة - تمبكتو عبر ملاحة تغازى.

أ - الطريق الساحلي :

هو أقدم هذه الطرق التجارية وأكثرها استعمالا الى حدود القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي أي الى حدود الفترة التي ظهرت فيها ممالح تاتنتال وسط الصحراء، وهذا الطريق كان يتبع ساحل البحر المحيط حتى ممالح أوليل. قال بن حوقل: «وآخر العمارة واوليل معدن الملح ببلاد المغرب بينها وبين أودغست شهر ومن أوليل الى سجلماسة راجعا الى الاسلام شهر وكسر»[5].

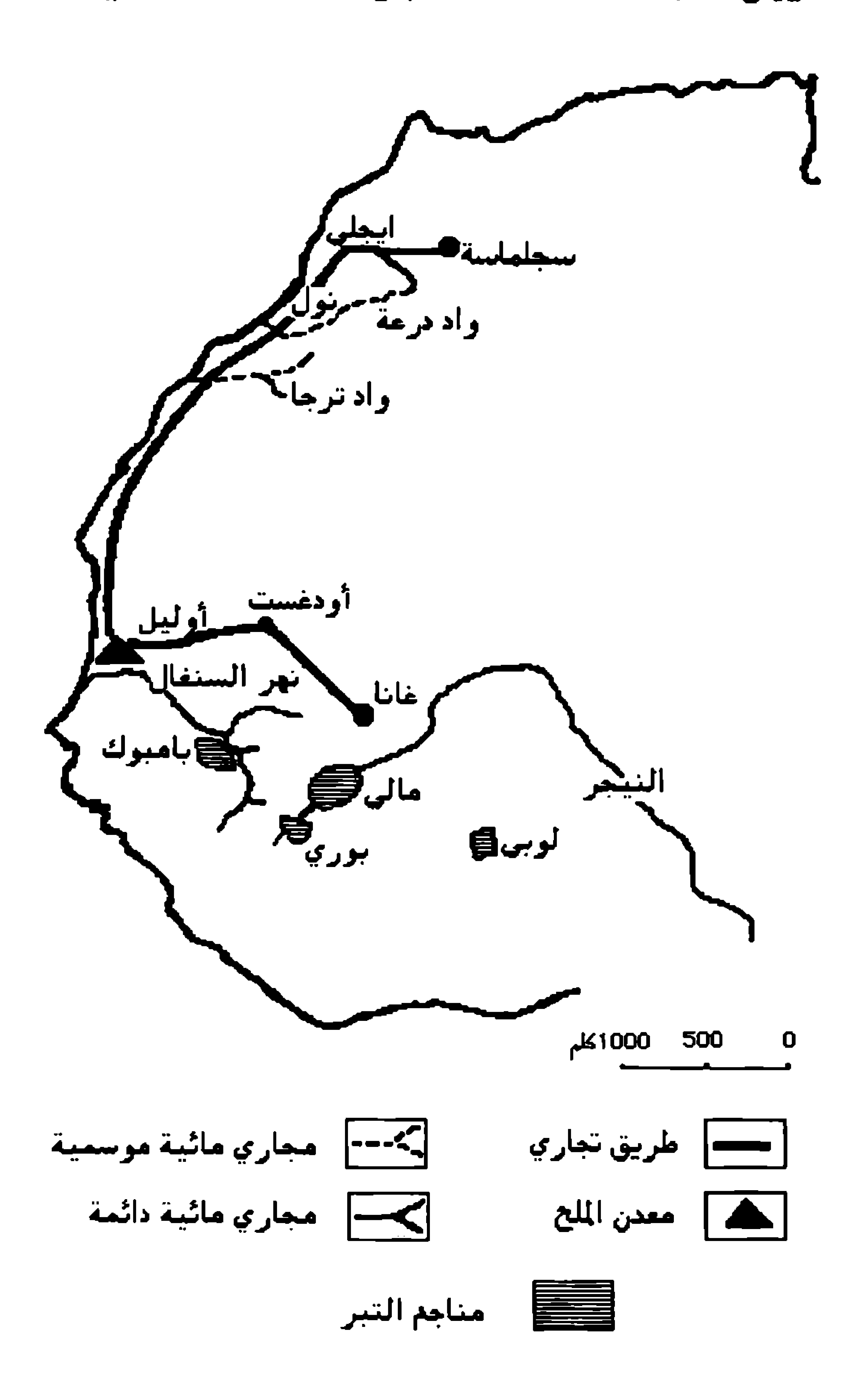
يتضح من وصف هذا الجغرافي أن قطع مسافة هذا الطريق كان يتطلب مسيرة أكثر من شهرين، وأن القوافل التجارية كانت بعد مغادرتها لسجلماسة تتجه نحو مدينة «نول لمطة» ثم تسير بمحاذاة الساحل حتى ملاحة أوليل فتعرج نحو الشرق بهدف الوصول إلى أودغست[6].

---

5 - ابن حوقل النصيبي، صورة الارض، دار مكتبة الحياة، بيروت، بدون تاريخ، ص 91.

6 - أنظر الخريطة الخاصة بالطريق الساحلي الذي يمر بنول لمطة وأوليل.

طريق سجلماسة- غانا عبر نول لمطة وأوليل



كانت مدينة نول لمطة أهم محطة تجارية تستغلها القوافل للإستراحة قبل التوغل في مجالات الصحراء. وقد ركز البكري في وصفه للطريق الساحلي على أهمية هذه المدينة في المبادلات التجارية مع بلاد السودان وذكر مختلف السلع التي وفرتها للتجار كالسكر والتمور والمصنوعات النحاسية كما اعتبرها آخر مدن الاسلام في إتجاه الجنوب رغم أنها لا تبعد عن درعة سوى بحوالي ثلاث مراحل[7]. أي بحوالي تسعين كلم.

لم يكن الطريق الساحلي يتوفر على مصادر الماء في المسافة الفاصلة بين نول لمطة وأوليل إلا في النادر، وهذا ما جعل رحلة القوافل محفوفة بأخطار عديدة في هذا الوسط القاحل. فالأرض على طول المسافة المذكورة تمتاز بصلابتها لأنها «عبارة عن صفي يصعب حفره بالمعاول»[8]. ذكر صاحب الاستبصار أنه في حالة وفاة شخص من التجار كان رفاقه يكتفون بستره بالحطام والحشيش أو يقذفون به في البحر لإستحالة حفر قبر له[9].

كان أوليل آخر نقطة على الطريق الساحلي في المناطق الجنوبية للصحراء الكبرى، وهي الملاحة التي جلبت إليها التجار المغاربة منذ فترة مبكرة من التاريخ الوسيط وأصبحت في القرنين الرابع والخامس الهجريين تستقطب القوافل التجارية نظرا لحيوية مناجمها ووفرة الملح بها. وقد استمرت هذه الملاحة تلعب دورا مهما في تدعيم التجارة الصحراوية بهذه المادة الضرورية للسودانيين خلال قرون عديدة رغم ظهور ملاحة جديدة في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي هي ملاحة تاتنتال.

---

7 - البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، الجزائر، 1965، ص: 162.

8 - نفسه، ص: 172.

9 - مجهولان، الاستبصار في عجائب الأمطار، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد، الدار البيضاء، 1985، ص: 213

أشار الإدريسي إلى الدور الذي استمرت ملاحة أوليل تلعبه في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي وقال : «فأما جزيرة أوليل فهي في البحر وعلى مقربة من الساحل وبها الملاحة المشهورة ولا يعلم في بلاد السودان ملاحة غيرها ومنها يحمل الملح إلى جميع بلاد السودان»(10). كما يستفاد من وصف بن سعيد للمناطق الصحراوية أن أوليل استمرت على حيويتها في القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي، لأن هذا المؤلف تحدث لنا عن ملاحة في آخر الصحراء، ويفهم من كلامه أن المقصود بها أوليل وليس غيرها، لكن الوصف الذي خصصه لها يوحي بأن الأمر ليس كذلك خصوصا وإن ما نكره يفيد في معرفة أن هذا الموقع كان عبارة عن «حصن... مبني على ملح معدني»(11). وهذا ما يتطابق جملة مع ما جاء عند غيره من الجغرافيين حول موقع تاتنتال.

وإذا كان كل من الإدريسي وبن سعيد قد اقتصرا على نكر ملاحة واحدة في الصحراء، فأكد الأول على أنه لا يعلم في بلاد السودان ملاحة غيرها، وجعل الثاني موقعها في تخوم الصحراء المحاذية لبلاد السودان، فإن ذلك يؤكد عدم معرفتهما بوجود ملاحة أخرى بهذه المناطق من جهة ويؤكد استمرار أوليل في الانتاج بعد اكتشاف تاتنتال من جهة ثانية. وربما كان السبب في إغفالهما لتاتنتال يرجع إلى كونهما لم يزورا المناطق التي يهمنا الحديث عنها، لكن مع ذلك يجب أن لا ننسى بأنهما اطلعا على كتاب البكري الذي ورد فيه نكر هذه الملاحة لأول مرة، كما أنهما اعتمدا على رواية التجار والفقهاء من معاصريهم الذين عبروا الصحراء في طريقهم إلى بلاد السودان، وهذا ما يعطي الدليل على أن التخلي عن استعمال الطريق الساحلي لم يحدث قبل زمان بن سعيد.

---

10 - الإدريسي، وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية، الجزائر، 1957، ص: 3.

11 - ابن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، بيروت ، 1970، ص: 113

ب - طريق وادي درعة-غانا عبر وادي تركا.

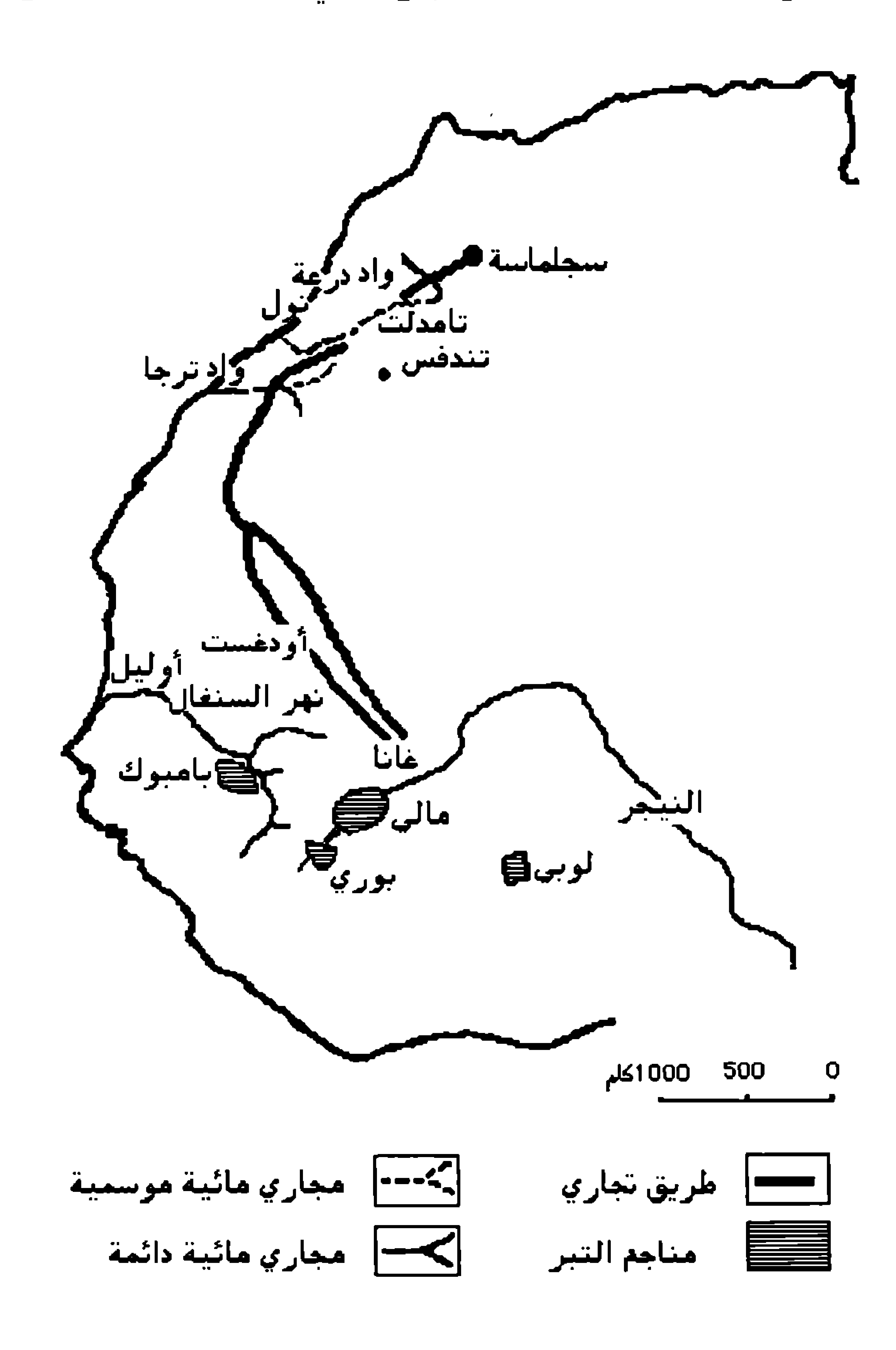
يقع هذا الطريق إلى الشرق من الطريق الساحلي ويمر بدرعة الأوسط بعد خروجه من سجلماسة ثم يتبع مجرى هذا الوادي حتى يصل المناطق الواقعة إلى الجنوب من مدينة نول لمطة فيقطع وادي تركا الذي هو احتمالا الساقية الحمراء ثم يتجه جنوبا نحو أودغست ومنها إلى غانا[12]. وأهم ما يمكن ملاحظته بالنسبة لهذا الطريق أنه لا يمر بالمراكز التجارية المهمة في الواحات الجنوبية كتامدلت ونول لمطة كما أنه لا يتجه نحوه ممالح أوليل. وهو على ذلك طريق مباشر أقل مسافة من الطريق الساحلي الواقع إلى الغرب منه وطريق سجلماسة-غانا عبر تامدلت وتندفس الواقع الى الشرق منه.

ويمكن تتبع المراحل الرئيسية لهذا الطريق من خلال وصف البكري الذي قال: «فمن وادي درعة خمس مراحل إلى وادي ترجا وهو أول الصحراء ثم تمشي في الصحراء... حتى تصل إلى رأس المجابة إلى البئر المسماة تزامت... وفي الشرق منها بئر تسمى بئر الجمالين وعلى مقربة منها أيضا بئر تسمى ناللي... وبين هذه الآبار الثلاثة وبلاد الإسلام مسيرة أربعة أيام ومنها إلى جبل يسمى بالبربرية أدراران وزال تفسيره جبل الحديد مثل ذلك ومن هذا الجبل مجابة ماؤها على ثمانية أيام وهي المجابة الكبرى وذلك الماء في بني ينتسر من صنهاجة ومن بني ينتسر إلى قرية تسمى مدوكن لصنهاجة أيضا ومنها إلى مدينة غانة أربعة أيام»[13].

12-انظر خريطة : طريق سجلماسة - غانا عبر وادي درعة ووادي تركا.

13-البكري، م.س. ص: 164.

طريق سجلماسة- غانا عبر وادي درعة ووادى ترگا



لم تكن لهذا الطريق على ما يظهر أهمية كبيرة في عبور القوافل. ونميل إلى الإعتقاد في أنه كان مستعملا بكثرة في طريق العودة من بلاد السودان أكثر من استعماله في طريق الذهاب. ودليل ما ذهبنا إليه أن هذا الطريق لا يمر بمصالح الصحراء رغم ماكان للملح من أهمية في علمية التبادل التجاري بين تجار الشمال والزنوج، يضاف لذلك أنه لا يمر بحواضر واحات السوس حتى يتمكن التجار من التزود بسلعها وإنما كان يمر بحاضرة واحدة في صحراء صنهاجة هي مدوكن على مقربة من غانا.

وتجب الاشارة إلى أن طريق درعة-غانا عبر وادي تركا لم يكن يمر في وسط المجابة الكبرى أي في وسط الصحراء بل كان يحاذيها بمروره في القسم الغربي لها. وربما كان السبب في ظهور هذا الطريق هو ما عرفه الطريق الساحلي من تراجع نتيجة الحملات العسكرية التي قادها أبو بكر بن عمر اللمتوني في اتجاه أودغست ومجالات نفوذ مملكة غانا في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي - كما لا يستبعد أن تكون مصالح أوليل قد عرفت ضعفا في الإنتاج خلال هذه الفترة بالذات بفعل إنشغال جموع لمتونة وجدالة بأمر الجهاد ضد الملك تنكامنين آخر ملوك غانا[14]. وإذا افترضنا أن مصالح أوليل قد عرفت تراجعا في الانتاج خلال النصف الثاني من القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي بسبب العوامل الانفة الذكر فإن من شأن ذلك أن يبعد التجار عن الرحلة بمحاذاة الساحل ويشجعهم على التوغل نحو الداخل، خاصة وأن وجود ملاحة تاتنتال وسط المجابة الكبرى واستغلال الملح المستخرج منها في عملية التبادل التجاري كان من أهم العوامل التي مهدت لظهور تحولات جديدة على خريطة المسالك التجارية الصحراوية.

---

14 - البكري، م.س.، ص: 164.

جـ - طريق سجلماسة - غانا عبر تامدلت وأودغست.

هذا الطريق الثالث هو الأكثر أهمية في عملية التبادل التجاري خلال العصر الوسيط ، اتخذ خصائصه منذ القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي كما هو الحال بالنسبة للطريقين السابقين[15]. ويظهر أن إستعمال هذا الطريق أثر على حيوية كل من الطريق الساحلي والطريق الوسط دون أن يبعد التجار عن الاستمرار في إستعمالها لأن المصادر الجغرافية لم تغفل نكر ممالح أوليل إلى حدود القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي وهو ما يؤكد أن القوافل التجارية استمرت في التردد على هذين الطريقين حتى بعد اكتشاف ممالح تاتنتال الذي أحدث تغييرا مهما في اتجاه المسالك التجارية.

إتخذ الطريق الثالث أهميته المتميزة في استقطاب قوافل التجار بفعل استغلال ملاحة جديدة في الصحراء الكبرى عرفت في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي باسم تاتنتال، وفي القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي بإسم تغازى[16]. وهذه الملاحة كانت على ما يظهر أكثر أهمية من ملاحة أوليل نظرا لسهولة استخراج الملح من مناجمها واختلاف الملح المستخرج بها عن ملح أوليل. فملح تغازى كان عبارة عن ألواح يحمل الجمل منها لوحين[17]. أما ملح أوليل فلا وجود لما يؤكد

15 - انظر الخريطة الخاصة بهذا الطريق والخريطة الخاصة بطريق سجلماسة - مالي في القرن 8 هـ/14 م.

16 - هناك تشابه كلي بين وصف الجغرافيين العرب بتاتنتال وتغازى. قارن بين وصف البكري للأولى ص: 151 ووصف بن بطوطة للثانية ص: 773.

17 - ربما يتعلق الامر هنا بما يعرف في بعض الجهات المغربية بـ «الملح الحية» التي قد تستعمل في طبخ الأكل وقد تستعمل في علف الأغنام بمقادير معينة.

طريق سجلماسة- غانا عبر تامدلت وتندفس وأودغست



أنه من هذا النوع في المصادر المعروفة، ولا يستبعد أن يكون من النوع الذي يستخرج من مياه أبار الأرض السبخة التي تتعرض للتبخر بفعل اشعة الشمس فترسو الملح المتبقية بعد ذلك في الأحواض المخصصة للتجميع.

إن أول إشارة وصلتنا عن هذا الطريق جاءت في كتاب البكري حيث سمي بطريق سجلماسة - أودغست عبر تامدلت أو طريق الآبار التي أنبطها عبد الرحمان بن حبيب والي أفريقية في القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي. وقد حدد هذا المؤلف مراحل هذا الطريق وقال : «من تامدولت إلى بير الجمالين مرحلة... ومنها إلى شعب لا تسير فيه الإبل إلا متتابعة مرحلة ثم تسير في جبل يسمى آزور ثلاثة أيام... إلى ماء يسمى تندفس... ثم تسير منه ثلاثة أيام إلى بير كبير يقال له وين هيلون ثم تمشي ثلاثة أيام في أرض سواء صحراء... إلى ماء نزريقال له تازقي وتفسيره البيت» ثم تسير إلى بير أنبطها عبد الرحمان بن حبيب... مرحلة ثم تسير منها إلى بيريقال لها ويطونان... ماؤها زعاق... ثلاث مراحل ثم تمشي منه أربع مراحل إلى موضع يقال له أو كازنت... ثم تمشي في مجلبة... لا ماء فيها... أربعة أيام إلى موضع يقال له وانزمين... ثم تمشي منه في بلد واران خمسة أيام... إلى بير عظيمة... ثم تمشي منه يومين إلى ماء يقال له أغرف أبار ملحة... ثم تسير منه ثلاثة أيام إلى موضع يقال له أقر تنني تفسيره مجتمع الماء... ثم تسير منه يوما في جبل يقال له أزجونان... ثم تمشي يوما في رمال... إلى ماء يقال له بير وران... ثم تمشي في أرض لصنهاجة كثيرة الماء من الآبار ثلاثة أيام ثم تسير منه إلى شرف عال مشرف على أودغست...مرحلة ثم إلى أودغست».(18)

---

18 - البكري، م.س، ص: 156-158.

إن الاهمية التي كانت لهذا الطريق في التبادل التجاري هي التي جعلت البكري يذكر مراحله ومحطاته بهذا النوع من التفصيل ويهمنا أن هذا المؤلف أشار في مقام آخر إلى المراحل الفاصلة بين سجلماسة وأودغست عبر نفس الطريق وقال بأن عددها إحدى وخمسون مرحلة[19]. ونعرف ان المسافة الفاصلة بين سجلماسة وتامدلت كانت تتطلب من القافلة سير إحدى عشر مرحلة[20] وإذا أضفنا لهذا العدد عدد المراحل الوارد في النص أعلاه الذي هو أربعون مرحلة يصبح العدد مطابقا لما نكره هذا المؤلف حول المسافة الفاصلة بين سجلماسة وأودغست.

وتنقصنا المعلومات الكافية لمعرفة الأماكن التي كان يعبرها هذا الطريق لأن ما نكره البكري عن المراحل الضرورية التي كانت تجتازها القوافل في رحلتها من الشمال إلى الجنوب يبقى-على ضوء معلوماتنا الحالية-غير معروف بصورة واضحة، خصوصا وأن أغلب الاماكن التي نكر هذا المؤلف أسماءها تظل مجهولة وغامضة إلى اليوم.

ويستفاد من وصف البكري لهذا الطريق أن التجار كانوا يعتمدونه بكثرة في رحلاتهم نظرا لتوفره على مصادر الماء، وهذا ما ساعدهم على تجاوز الظروف الشاقة لرحلاتهم في تلك البيئة الجافة، وقد كان هذا الطريق بعد خروجه من تامدلت يتجه نحو الجنوب الشرقي بهدف الوصول الى تنفس التي هي ربما تندوف ثم يدخل مجالا صحراويا قاحلا حتى إقترابه من أودغست[21].

---

19 - البكري، ص: 149.

20 - J.M. Lessard: Sijilmassa la ville et ses relations commerciales au XI siècle d'aprés EL Bekri. Hésperis Tamuda, vol. X. Fax 1-2, 1969 P. 26.

21 - انظر الخريطة الخاصة بهذا الطريق.

كتب البكري عن الملاحة التي كان لها الدور المباشر في إنعاش هذا الطريق ما يلي : «ومن غرائب تلك الصحراء معدن ملح على يومين من المجابة الكبرى وبينه وبين سجلماسة مسيرة عشرين يوما... ويسمى هذا المعدن تاتنتال وعليه حصن مبني بحجارة الملح وكذلك بيوته وغرفه كل ذلك ملح».[22] وجاء في كتاب الجغرافيا أ هذا الحصن يوجد في آخر جزء من الصحراء في اتجاه الجنوب[23]. أما بن بطوطة فأورد عن ملاحة تغازى القول التالي : «وهي قرية لا خير فيها، ومن عجائبها أن بناء بيوتها ومسجدها من حجارة الملح، وسقفها من جلود الجمال ولا شجر بها إنما هي رمل فيه معدن الملح[24].

إن وصف البكري لملاحة تاتنتال يتطابق مع ما نكره بن سعيد عن ملاحة الصحراء التي تحدث عنها دون أن يسميها باسم ما. وإذا قارنا بين وصف كل منهما وماجاء في كتاب «رحلة بن بطوطة» حول ملاحة تغازى فإن ما يمكن استنتاجه هو أن الامر يتعلق باختلاف في التسمية فقط بين ما كانت تعرف به هذه الملاحة في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي وما أصبحت تسمى به في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي.

فالمسافة التي كانت تفصل بين تاتنتال وسجلملسة لا تزيد عن عشرين يوما حسب ماجاء في إشارة البكري الواردة أعلاه. أما بن بطوطة فذكر أن المسافة بين سجلملسة وتغازى تطلبت من قافلته مسيرة خمسة وعشرين يوما. ويرجع سبب الاختلاف في تحديد أيام الرحلة بين الأول والثاني أن طريق سجلماسة - غانا

---

22 - البكري، م.س.، ص: 171.

23 - ابن سعيد المغربي، م.س. ص: 113.

24 - ابن بطوطة، م.س. ص: 773.

زمان البكري كان يمر عبر تامدلت وتندفس، ثم أصبح طريق سجلماسة - مالي زمان بن بطوطة يتجه بعض الشيء نحو الشرق بفرض الوصول إلى توات ومنها إلى تغازى فإيولاتن.

يضاف إلى ما سبق أن المجابة الكبرى التي ذكر البكري أن ملاحة تاتنتال تقع في وسطها هي صحراء نسير عند الادريسي الذي قال : «هي الصحراء التي قدمنا ذكرها وعليها يدخل المسافرون إلى أودغست وغانة وغيرها من البلاد... وهذه الصحراء قليلة الانس ولا عامر بها وبها الماء القليل ويتزود به بين مجابات معلومة»[25]. وتسمى هذه الصحراء عند بن سعيد بصحراء سير «التي يقطعها التجار ما بين سجلماسة وغانة ويكابدون فيها شدة العطش ووهج الحر»[26].

آثر اكتشاف واستغلال ممالح تاتنتال - التي أصبحت تسمى بتغازى فيما بعد - على اتجاه المسالك التجارية الصحراوية. وقد استمر التجار في استعمال الطريق الساحلي والطريق الواقع إلى الشرق منه، غير أن الطريق الصحراوي الذي يمر بهذه الملاحة هو الذي استقطب اهتمام القوافل التجارية أكثر من غيره ما بين القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي والقرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي. ودليل ذلك أن كتب الجغرافيا والرحلات اتفقت جميعها على صعوبة الرحلة في هذا الوسط القاحل وأكدت على قلة مصادر الماء فيه وعدم وضوح المسالك نتيجة انتقال كثبان الرمال من مكان إلى آخر. وهذا ما فرض على القوافل الخضوع لتنظيم محكم أثناء عملية التنقل واستوجب وجود قائد ينسق بين التجار وكذلك الدليل والتكشيف.

---

25 - الإدريسي، م.س.، ص: 18.

26 - ابن سعيد المغربي، م.س. ص 113.

غادر بن بطوطة - الذي سافر إلى بلاد مالي عبر هذا الطريق - سجلماسة في غرة شهر محرم من سنة 753 هـ/ 18 فبراير 1352 م، ووصل تغازى بعد خمسة وعشرين يوما من المشي في صحراء لا ماء فيها الا في النادر، ثم سارت قافلته مسيرة عشرة أيام قبل وصولها إلى تاسرهلا وهي محطة يستريح فيها التجار ثلاثة أيام ومنها يبعث التكشيف إلى ايولاتن. والمسافة الفاصلة بين تاسرهلا وإيولاتن هي خمسة وعشرون يوما ما دام بن بطوطة قد ذكر بأن قافلته وصلت إيولاتن بعد شهرين كاملين من مغادرتها لسجلماسة[27].

لقد أصبحت قوافل التجارة المنطلقة من المغرب الأقصى في اتجاه مالي زمان بن بطوطة تتجه بعض الشيء نحو الشرق، ويتجلى ذلك من خلال ظهور واحات التوات كمحطة ضرورية للقوافل المتجهة نحو بلاد السودان. فقد أشار عبد الرحمان بن خلدون أثناء حديثه عن بني يامدس من زناتة إلى أهمية هذه الواحات في تنظيم التبادل التجاري وقال : «كانوا - يعني بني يامدس - بوطن التوات وفيه قصور متعددة تناهز المائتين آخذة من الشرق إلى المغرب وآخرها من جانب المشرق يسمى تمنطيت وهو بلد مستبحر في العمران وهومحط ركاب التجار المترددين من المغرب إلى بلد مالي من السودان لهذا العهد ومن بلد مالي إليه وبينه وبين ثغر بلاد مالي... المسافة المجهلة»[28].

---

27 - ابن بطوطة، م.س.، ص: 773-776، انظر خريطة طريق سجلماسة - مالي في القرن 8 هـ/14م.

28 - عبد الرحمان بن خلدون، العبر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1981، ج/7 ص: 77.

طريق سجلماسة - مالي في ق 8 هـ / 14 م

سجلماسة
درعة
نول
تامدلك
تندفس
واد ترجا
تغازي(تاتنتال)
أوليل
تمبكتو
ولاتة
كاو
نهر السنغال
بامبوك
مالي
النيجر
بوري
لوبي

0 500 1000كلم

طريق تجاري
مجاري مائية موسمية
معدن الملح
مجاري مائية دائمة
مناجم التبر

كـان هذا الطريق الذي تحـدث عنه بن خلدون في الاشـارة أعـلاه هـو طريق عـودة بن بطوطة من بلاد الســودان بعـد أن استدعاه السلطان المريني أبو عنان فارس بواسطة رسول لحق به في تكدا. وقـد غـادر هذا الرحـالة هذه المدينة يوم الخمـيس الحادي عشر شعبان من سنة 754 هـ/1354 م ثم وصل مـدينة كاغـو ومنها إلى برية لا عـمارة فـيها ثم وصل إلى غـات وهو ملتقى الطرق المتجهة نحو ديار مصر والمتجهة نحو توات ثم دخل بعد ذلك صحـراء الهكار ومنها الى سجلماسة حيث كان وصـوله إليـها في أواسط ذي القعدة من سنة 754 هـ دجنبـر 1353 م[29].

إن عـودة بن بطوطة عـبر طريق توات وتأكيـد بن خلدون على أهمـيـة هذه الواحات في النشـاط التـجـاري بين المغـرب والسودان الغربي يعطي الدليل على التـحولات التي عـرفتها المسالك التجارية الصحراوية في القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي. فقد بدأت الطرق التي تحدثنا عنها سابقا تفقد أهميتها خلال هذه الفترة لصالح الطرق الرابطة بين بلاد مالي ومصر. وما الاشارات العديدة التي ذكرها بن بطوطة عن الطرق المتجهة نحو مصر من تكداوغات إلا دليلا يؤكد هذا الاتجاه. فهذا التحـول في اتجاه الطرق كان وليـد عوامل نجملها في انعدام الأمن على طول الطرق التـجـارية الرابطة بين بلاد الســودان والمغرب الاقصى وانفتاح ملوك مـالي على الشرق بعد توجه أغلبهم الى الديار المقدسة بهدف أداء فريضة الحج.

---

29 - ابن بطوطة، م.س.، ص: 791-802.

2 - تنظيم عملية التبادل التجاري :

أ - الشركات التجارية :

انتظمت المبادلات التجارية بين المغرب الأقصى والسودان الغربي عبر الطرق الصحراوية الرابطة بين مدن الواحات الواقعة جنوب جبال درن ومدن بلاد السودان الغربي. وقد عرفت عملية التنقل في هذا المجال الصحراوي تطورات عديدة في المرحلة الفاصلة بين القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي والقرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي تمثلت في استعمال الطريق الساحلي ثم الطريق الوسط ثم الطريق الثالث الواقع إلى الشرق منه كما سبقت الاشارة الى ذلك.

وقد كان للأهمية التي اتخذتها الطرق التجارية الرابطة بين المغرب الأقصى والسودان الغربي أثر كبير في ازدهار القطاع التجاري بالمدن المغربية عامة وتلك التي تقع منها على مشارف الصحراء الكبرى على وجه الخصوص. وهذا ما يؤكده الاهتمام البالغ الذي خص به الجغرافيون العرب كل من سجلماسة، تامدلت، ايجلي ونول لمطة.

واذا كانت أغلب المصادر المتداولة والمعروفة لا تساعد الدارس على معرفة أنواع التجار الذين تحملوا مشاق السفر عبر المفازات من أجل المتاجرة مع السودانيين(30)، فإن بعض

30 - يصعب الحديث عن الأشخاص الذين تاجروا مع السودانيين ويبقى السؤال الذي يفرض نفسه في هذا الباب هو من هم هؤلاء التجار؟ فالمصادر تشير الى تجار المغرب جملة دون تفصيل أو تتحدث عن تجار مدينة معينة كما هو الحال في حديثها عن تجار أغمات أو سجلماسة بل نجدها أحيانا تشير الى التجار المشارقة. هذا بالإضافة إلى كون المعلومات التي تقدمها المصادر في هذا الموضوع لاتساعد على معرفة ما إذا كان هؤلاء التجار يعملون لحسابهم الخاص أم أن من بينهم من كان وكيلا لغيره في هذه العمليات التجارية.

هذه المصادر احتفظ لنا بنصوص تبرز التنظيم المحكم الذي عرفه النشاط التجاري في العصر الوسيط تحت اشراف الشركات التجارية كما هو الحال في شركة الاخوة المقريين، وكذلك التنظيم الذي عرفته القافلة والمتمثل في القائد والتكشيف والدليل.

تعتبر شركة المقريين نموذج التنظيم الكبير الذي عرفته التجارة الصحراوية في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي والنصف الأول من القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي. وقد سجل لنا لسان الدين بن الخطيب في كتابه الإحاطة كيفية العمل في هذه الشركة التجارية ونقل عنه المقري مادته في هذا الموضوع مع إضافات قليلة لا تخلو من فائدة.

والمقريون - كما جاء في نص الاحاطة - كانوا خمسة إخوة شركاء في العمل التجاري توزعوا على سكنى المحطات الرئيسية على طريق تلمسان - بلاد السودان عبر سجلماسة وايولاتن. قال ابن الخطيب : «وكان ولد يحيى الذي كان أحدهم أبو بكر خمسة رجال فعقدوا الشركة بينهم فيما ملكوه وفيما يملكونه على السواء بينهم والاعتدال وكان أبو بكر ومحمد وهما أورمتانسبي من جميع الجهات الام والاب بتلمسان وعبد الرحمان وهو شقيقهما الأكبر بسجلماسة وعبد الواحد وعلي وهما ششقيقاهما الصغيران بإيولاتن»[31].

31 - لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، الشركة المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، 1975، ج/2 ص: 192.

إشتهرت أسرة المقري التلمسانية بفعل الأرباح التي تراكمت لديها نتيجة ممارسة أفرادها للعمل التجاري فأصبحت جموع التجار تنظم لقافلة المقريين الذين «مهدوا طريق الصحراء بحفر الآبار وتأمين التجار واتخدوا طبل الرحيل وراية التقدم عند المسير»[32]. ويفهم مما نكر ابن الخطيب أن المقريين كانوا على علاقة طيبة بسلاطين بلاد المغرب سواء بتلمسان أو بفاس أي بالزيانيين والمرينيين ولا يستبعد أن يكونوا قد تاجروا لحساب هؤلاء وأولائك وتقربوا منهم عن طريق الهدايا.

كان الاتصال بين هؤلاء الشركاء يتم عبر المراسلة لان الغرض من استقرارهم في مواقع مختلفة هو مسايرة ما يجري في عملية المتاجرة من تطور قال ابن الخطيب : «والسجلماسي كلسان الميزان يعرفهما بقدر الرجحان والخسران ويكاتبهما بأحوال التجار وأخبار البلدان»[33]. وهكذا يتضح أن علاقة العرض بالطلب هي التي فرضت على المقريين أن يتوزعوا بين تلمسان وسجلماسة وإيولاتن. أما الأهمية التي اتخدها المقيم بسجلماسة من المقريين فنابعة من الأولوية التي كانت لهذه المدينة في التجارة الصحراوية.

32 - لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، الشركة المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، 1975، ج/2 ص: 192.

33 - نفسه، نفس الصفحة.

تعرضت شركة المقريين في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي لنوع من التراجع ويظهر ذلك من قول ابن الخطيب: «ولما افتتح التكرور إيولاتن وأعمالها أصيبت أموالهم فيما أصيب من أموالها»[34]. غير أن ما نكره هذا المؤلف حول التكرور يتعلق في حقيقة الامر بمملكة مالي التي استطاعت تحت قيادة سندياتا sundjata توحيد السودان الغربي وإقامة امبراطورية شاسعة ضمت كل الممالك التي قامت على أنقاض مملكة غانا بعد انهيار هاته الاخيرة تحت تأثير ضربات الملثمين في أواخر القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي[35]. ويرجع تاريخ حملة سندياتا على إيولاتن إلى سنة 1240 م وهو التاريخ الذي تمكن فيه هذا الملك من بسط نفوذه على كل المناطق التي خظعت في سابق عهده لمملكة غانا[36].

---

34 - لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة، ج/2 ص: 192.

35 - أهم الممالك التي تواجدت ببلاد السودان الغربي بعد تراجع مملكة غانا هي مملكة صوصو ومملكة تكرور راجع : J. Ki-zerbo, histoire de l'Afrique noire, Hatier, Paris, 1978, p: 128-129.

36 - Ibid, p: 133 تجب الاشارة هنا الى أنه لا غرابة في تسمية ابن الخطيب لملك مالي بملك التكرور لأن هذه التسمية كانت شائعة عند المؤرخين والجغرافيين العرب في حديثهم عن ملوك مالي ويتضح ذلك مما كتبه ابن فضل الله العمري في هذا الموضوع حين قال : وصاحب هذه المملكة هو المعروف عند أهل مصر بملك التكرور، ولو سمع هذا أنف منه، لان التكرور إنما هو إقليم من أقاليم مملكته، والاحب إليه أن يقال صاحب مالي لانه الاقليم الاكبر وهو به أشهر». مسالك الأبصارفي ممالك الامصار،تحقيق مصطفي أبو ضيف أحمد، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء،1988،ص: 60.

وقد إتصل أحد الإخوة المقريين بملك مالي : «فأكرم مثواه ومكنه من التجارة بجميع بلاده وخاطبه بالصديق الاحب والخلاصة الأقرب»[37]. ويتضح من كلام ابن الخطيب أن المقريين لما اتصلوا بملك مالي بعد مالحق أموالهم الضرر إثر تدخل جيوشه بإيولاتن استفادوا من لقائهم به نتيجة حصولهم على ترخيص بالمتاجرة في جميع بلاده. وبما أن ملك بلاد السودان قد خاطب عبد الواحد المقري الوافد عليه من إيولاتن بالصديق الاحب والخلاصة الأقرب فإن ذلك يدفع إلى الاعتقاد في أن الطرفين كانت لهما مصالح مشتركة ربما وصلت حد مشاركة ملك مالي للمقريين في العمل التجاري.

استطاعت شركة المقريين أن تحافظ على حيويتها حتى مضي النصف الأول من القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي. وأصبحت أموال أصحابها خلال هذه الفترة «تفوق العد والحصر»[38]. ثم بدأ الضعف يدب الى جسمها في النصف الثاني من نفس القرن بعد أن دخل تجار مصر إلى بلاد السودان «بما لا بال له من السلع»[39].

ويرجع السبب في الضعف الذي لحق شركة المقريين التجارية حسب رأي ابن الخطيب الى عاملين: أولهما أن أبناء الإخوة الخمسة لم يواصلوا جهود آبائهم في ممارسة العمل التجاري واقتصروا على إنفاق ما ورثوه فلم تقم لهم بعد ذلك قائمة[40].

---

37 - ابن الخطيب، الإحاطة، ج/2. ص: 192.

38 - نفسه، ص: 193.

39 - نفسه، نفس الصفحة.

40 - ابن الخطيب الاحاطة، ج/2 ص: 194.

وثانيهما توالي الفتن والاضطرابات السياسية بعد موت مؤسسي هذه الشركة فلم يسلم الأنباء «من جور السلطان فلم تزل حالهم في نقصان الى هذا الزمان»[41] أي الى الفترة التي ألف فيها ابن الخطيب كتابه الإحاطة أثناء إقامته بالمغرب الاقصى رفقة سلطانه الغني بالله في عهد ابي سالم ابراهيم المريني.

ويبدو العامل الثاني الذي أشار إليه ابن الخطيب أكثر معقولية من العامل الأول لأن توالي الفتن واضطراب حبل الأمن على طول الطرق التجارية الغربية إنعكس سلبيا على تجارة المقريين ومعهم تجارة المغرب الاقصى ككل من النصف الثاني من القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي. وبناء على ذلك فإن ضعف هذه الشركة التجارية لا يرتبط بتهاون أفرادها بقدر ما له صلة وطيدة بالتحولات التي طرأت على محاور التجارة الصحراوية بما في ذلك انعدام الأمن بالطرق المؤدية الى المغرب الاقصى وظهور المنافسة المصرية بالسوق السودانية التي حولت أنظار الماليين نحو الشرق ودفعت بهم الى التعامل أكثر من أي وقت مضى مع هؤلاء الزبناء الجدد[42].

---

41 - ابن الخطيب الاحاطة، ج/2 ص: 194.

42 - راجع ما كتبه ابن بطوطة عن نشاط الطرق المتجهة نحو مصر وحيوية التجار المصريين ببلاد مالي، رحلة ابن بطوطة، 675-680. وراجع ماكتبه ابن فضل الله العمري عن الأثر الطيب الذي خلفته حجة منسى موسى الى الديار المقدسة ببلاد مصر والاستفادة الكبيرة التي استفادها تجار هذه البلاد ومن تعاملهم مع الذين رافقوا السلطان موسى في حجته، مسالك الإبصار، تحقيق مصطفى أحمد أبو ضيف، ص: 73.

ب - تنظيم القوافل :

كان لظهور ممالح تاتنتال - التي أصبحت تحمل اسم تغازى فيما بعد - في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي أثره في تراجع دور الطريق الساحلي المتجه نحو أوليل في عملية تنقل القوافل التجارية، وأصبح من اللازم على التجار بعد ذلك اختراق المجابة الكبرى للوصول الى إيولاتن التي عوضت مدينة أودغست في ربط الاتصال بين التجار المغاربة والسودانيين. وقد أجمعت كتب الجغرافيا والرحلات على صعوبة التنقل عبر هذا المجال القاحل وقلة الماء فيه فضلا عن المخاطر التي يتعرض لها التجار به.

فرض المرور عبر هذا الطريق الصحراوي على التجار تنظيم أنفسهم حتى يضمنوا الوصول بسلام إلى بلاد السودان. قال الإدريسي : «هذه الصحاري بها مجابات بلا مياه وذلك أن الماء لا يوجد بها إلا بعد يومين أو أربعة أو خمسة وستة وإثنى عشر يوما... وأكثر أرضها أيضا رمال تسفيها الرياح وتنقلها من مكان إلى مكان»[43]. وهذا ما أكده ابن بطوطة في معرض حديثه عن هذه الصحاري حين قال : «إذ لا طريق بها ولا أثر وإنما هي رمال تسفيها الرياح فترى جبالا من الرمال في مكان ثم تراها قد انتقلت الى سواه»[44].

43 - الادريسي، م.س.، ص: 9.

44 - ابن بطوطة، م.س.، ص: 774.

يستفاد مما نذكره كل من الإدريسي ابن بطوطة أن السفر عبر الصحراء الكبرى كان يتطلب مجهودات كبيرة لأن المجال الجديد الذي بدأت الطرق الصحراوية تخترقه - بهدف الوصول الى ملاحة تغازى - كان مجالا جافا تنعدم فيه المياه على مسافات بعيدة ولا وجود لمعالم ثابتة للطريق فيه. وقد فرضت هذه المستجدات على التجار الخضوع لتوجيه معين استوجب وجود قائد القافلة وبعض مساعدين من الذين يستحيل نجاح الرحلة بدونهم كما هو الحال بالنسبة للتكشيف والدليل.

ويصعب الحديث عن تنظيم القوافل وخضوعها لتسيير محكم قبل القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي لأن الاشارات التي وصلتنا عن هذا الموضوع كانت من خلال رحلة ابن بطوطة. غير أن إنحراف الطريق التجاري الساحلي إلى الجهة الشرقية وتوغله في الصحراء ابتداء من القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي - بعد اكتشاف ممالح تاتنتال - يوحي بأن هذا النوع من التنظيم قد تم العمل به منذ هذه الفترة بالذات.

وهكذا فمنذ أن أصبحت الطرق التجارية تمر بالمجال الصحراوي القاحل عمل التجار على تنظيم أنفسهم قصد تجاوز الصعاب والمخاطر. فقد كان بعض أفراد القافلة يتعرضون للضياع في هذه الصحاري إذا هم ابتعدوا عن رفاقهم(45).كما أصبح من اللازم بالنسبة للقوافل أن تختار الوقت الملائم من فصول السنة لقطع هذه المفازات، فكان وقت الرحيل من سجلماسة في اتجاه بلاد السودان يتم عادة في فصل الخريف(46).

---

45 - ابن بطوطة، م.س.، ص: 774.

46 - M.Lambar: l'or musulman, Annales économies sociétés civilisation, 1947, p: 50.

كان الهدف من انطلاق رحلة القوافل في فصل الخريف هو استغلال ما تعرفه المناطق الصحراوية من تساقطات مطرية خلال هذا الموسم. وهذا ما كان يمكن التجار من تعويض النقص الواضح في مصادر الماء بهذا المجال الجذب. ذكر ابن بطوطة أن قافلته صادفت في رحلتها بقايا المطر في الصحراء الواقعة جنوب تغازى حيث لا يوجد الماء إلا بعد مسيرة عشرة أيام وقال: «ووجدنا نحن ماء كثيرا في غدران أبقاها المطر ولقد وجدنا في بعض الايام غديرا بين حجارة ماؤه عذب فترويتا منه وغسلنا ثيابنا»[47].

لقد سافر ابن بطوطة إلى بلاد السودان صحبة قافلة ترأسها محمد بن يندكان المسوفي[48]. ومعروف أن قائد القافلة هو الناطق باسم التجار والمشرف على كل ما يتصل بتنظيمهم. وتجب الاشارة الى أن انتماء محمد بن يندكان لمسوفة الصنهاجية يؤكد الدور المتميز الذي لعبته هذه القبيلة في ربط الاتصال بين بلاد المغرب وبلاد السودان منذ القرن الرابع الهجري /العاشر الميلادي على الاقل. فقد سجل ابن حوقل عن رجال مسوفة القول التالي : «وأقواتهم الألبان وفي بعض الأوقات اللحم... وفيهم البسالة والجرأة والفروسية على الإبل والخفة في الجري والمعرفة بأوضاع البر وأشكاله... والدلالة على مياهه»[49].

لقد هيأت قبيلة مسوفة -التي كانت مجالاتها مابين صحاري سجلماسة وإيولاتن -للقوافل التجارية الظروف الملائمة للتنقل عبر الصحراء رغم الصعوبات التي كانت تمليها الظروف المناخية القاسية. أشار ابن بطوطة إلى أن رجال مسوفة كانوا

---

47 - ابن بطوطة، م.س. ص: 773.

48 - نفسه، نفس الصفحة.

49 - ابن حوقل، م.س.، ص: 98.

يأتون بأحمال الماء إلى التجار فيبيعونها لهم[50]. يضاف إلى ذلك أن التكشيف والدليل اللذان يرافقان القافلة كانا من هذه القبيلة أيضا.

والتكشيف حسب تعريف ابن بطوطة «إسم لكل رجل من مسوفة يكتريه أهل القافلة فيتقدم إلى ايولاتن بكتب الناس إلى أصحابهم بها ليكتروا لهم الدور ويخرجون للقائهم بالماء مسيرة أربع ومن لم يكن له صاحب بإيولاتن كتب إلى من اشتهر بالفضل من التجار بها فيشاركه في ذلك»[51]

كانت مهمة التكشيف صعبة للغاية بالنظر للأخطار التي تحيط بالرحلة في الصحراء وتوقف نجاح القافلة في الوصول إلى إيولاتن على نجاحه في مهمته. قال ابن بطوطة : «وربما هلك التكشيف في هذه الصحراء فلا يعلم أهل إيولاتن بالقافلة فيهلك أهلها أو الكثير منهم»[52]. ويظهر أن التكشيف لم يكن شخصا واحدا كما يستفاد من مضمون الاشارة أعلاه بل كانت هذه الكلمة تطلق على مجموعة من الأشخاص اختصوا في القيام بالمهمة المنوطة بهم من قبل أفراد القافلة وهذا ما يوحي به القول التالي : «وتلك الصحراء كثيرة الشياطين فإذا كان التكشيف منفردا لعبت به واستهوته حتى يضل عن قصده فيهلك»[53].

---

50 - ابن بطوطة، م.س.، ص: 775.

51 - ابن بطوطة، م.س.، ص: 774.

52 - نفسه، نفس الصفحة.

53 - نفسه، نفس الصفحة.

ويمكن القول أن التكشيف كان من خاصة القائد ومن مساعديه الذين يلازمون القافلة في رحلتها منذ الانطلاقة حتى الوصول إلى إيولاتن. صحيح أن مهمته لا تبتدئ الا حين الاقتراب من مدن بلاد السودان لكن ليس هناك ما ينفي أن القافلة تبحث عن من يقوم لها بهذه المهمة قبل بداية رحلتها. فابن بطوطة لم يشر الى المكان الذي كان يكترى منه التكشيف وإنما نكر المكان الذي كان يتم إرساله منه وهو قرية تاسرهلا. وبناء على ما سبق فان القائد - ومعه التجار أنفسهم - لا يمكن له أن يضع مصير القافلة في يد شخص لا يعرفه حق المعرفة. وقد كان التكشيف يكترى بمائة مثقال من الذهب في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي[54].

وإلى جانب التكشيف كانت القافلة تصطحب معها الدليل العارف بأسرار المسالك الصحراوية. قال ابن خلدون أن بين بلاد المغرب وبلاد السودان «المفازة المجهلة لا يهتدى فيها للسبيل ولا يمر الوارد إلا بالدليل الخبير من الملثمين الظواعن بذلك القفر يستأجره التجار على الدربة بهم فيها بأوفر الشروط»[55]. لقد كان الدليل على علم كبير باتجاه المسالك التجارية لكثرة تردده عليها رغم أن الطرق لم تكن ثابتة على حال ما بسبب تنقل الرمال من مكان إلى آخر. وقد سجل لنا ابن بطوطة استغرابه من دليل القافلة التي سار رفقتها إلى بلاد مالي وقال: «ورأيت من العجائب أن الدليل الذي كان لنا هو أعور العين الواحدة مريض الثانية وهو أعرف الناس بالطريق»[56].

---

54 - نفسه، ص: 775.

55 - عبد الرحمان بن خلدون، م.س.، ج/7. ص:77.

56 - ابن بطوطة، م.س. ص: 775.

ولا نعلم الطريقة التي كان قائد القافلة يعتمدها في إدارة شؤون التجار في أوقات الاستراحة وأوقات الرحيل. كما لا نعرف شيئا عن الطريقة التي كانت تتم بها عملية جمع الأموال المخصصة لتغطية نفقات الرحلة بما فيها أجرة التكشيف والدليل. فمن المعروف أن ممتلكات التجار لم تكن متساوية في القافلة، فهل كان هؤلاء يؤدون واجبهم في اكتراء التكشيف والدليل، تبعا لقيمة سلعهم أم تبعا لعدد إبلهم المحملة بالسلع، أم أن هذه المصاريف المالية تقتسم على الأشخاص دون احتساب أمتعتهم؟

أشار أبو سالم العياشي إلى ما يفيد في معرفة أن هذه الأسئلة الواردة أعلاه لم يتم حسم الحكم فيها من طرف الفقهاء. فالدليل الذي كان يكترى لمرافقة ركب الحجيج على سبيل المثال ظلت أجرته مثار جدل كبير. قال العياشي : «سمعت شيخنا العلامة أبا بكر السجستاني المراكشي رضي الله عنه يقول : جرى البحث في الجامع الأزهر أيام اشتغاله بالإقراء هناك في هذه المسألة وهي أجرة دليل الركب... قال : ولم يوجد نص في ذلك. ثم أضاف ويمكن استخراج حكم المسألة وهو من أصل ما ورد في حديث الهجرة من استيجار النبي (صلعم) وابي بكر رضي الله عنه لدليل فهل كانت الاجرة على الإبل أو على الرؤوس؟ وهل أعطى أبو بكر عن غلامه أم لا؟ فلم يفصل الفقهاء في الاجرة على من تكون؟»[57].

57 - أبو سالم العياشي، الرحلة العياشية، طبعة فاس، 1316 هـ، ص: 372=373.

3 - سلع بلاد المغرب المصدرة الى بلاد السودان :

ليس من السهل تحديد القيمة الحقيقية للمبادلات التجارية بين المغرب وبلاد السودان وبينه وبين أوربا في المرحلة المعنية بالدراسة أي في كل مراحل العصر الوسيط. لاننا لا نعرف حجم ولا ثمن السلع المصدرة والمستوردة نتيجة اقتصار المصادر الجغرافية والتاريخية على ذكر الارباح الكبيرة التي كانت تدرها هذه التجارة على المشتغلين بها.

ويظهر أن معادلة ملح - ذهب هي الغالبة على هذا التعامل التجاري في كل فترات التاريخ الوسيط المغربي - حسب ما نجده شائعا في المصادر القديمة - رغم أن تجار بلاد المغرب كانوا يحملون سلعا مصنعة الى بلاد السودان - مستغلين تفوقهم التقني في هذا الباب - لجلب التبر أو الذهب المسبوك من مملكة غانة أو مالي فيما بعد.

وقد تطور حجم سلع بلاد المغرب الى السودان الغربي حسب الفترات التاريخية، وتشكلت أغلب هذه السلع من مواد مصنعة ومنتوجات فلاحية عرفت رواجا وطلبا كبيرين في السوق السودانية. ومما ينفي صحة معادلة ملح - ذهب أن بعض المالح تواجدت ببلاد السودان، ويمكن أن يكون سكان بلاد الساحل الافريقي قد استغلوها منذ القديم حسب رأي R. Mauny، وأهم هذه المالح هي ملاحة Manga وKowar اللتان لم تسجل المصادر المكتوبة أدنى إشارة حولهما[58].

---

58 - R. Mauny; Tableau Géographique de l'ouest Africain d'aprés les sources écrites la tradition et l'archéologie, Dakar, 1961, p: 357.

ذكر البكري في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي إأ تجار بلاد المغرب كانوا يتجهزون الى أودغست بالنحاس المصنوع وبثياب مصبغة بالحمراء والزرقة مجنحة[59]. وأشار في مقام آخر الى أنهم كانوا يحملون الى كوغة التي بينها وبين غانة مسيرة خمسة عشر مرحلة الملح والودع والنحاس[60].

وذكر الادريسي في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي أن تجار بلاد المغرب يسافرون بالصوف والنحاس والخرز [61]. وأثناء حديثه عن مدينة أغمات قال أن تجار هذه المدينة كانوا «يدخلون الى بلاد السودان بأعداد الجمال الحاملة لقناطير الاموال من النحاس الاحمر والملون والاكسية وثياب الصوف والعمائم والمازر، وصنوف النظم من الزجاج والاصداف والاحجار وضروب من الافاوية والعطر وآلات الحديد المصنوع»[62].

وكانت بلاد المغرب تصدر سلعا أخرى الى بلاد السودان في القرن السادس الهجري غير التي ذكرها الادريسي أعلاه ويظهر ذلك من خلال ما ورد عند القزويني الذي حدد هذه السلع في «الملح وخشب الصنوبر وخشب الارز وخرز الزجاج والاسورة والخواتيم منه والحلق النحاسية»[63]. وأشار صاحب الاستبصار الى أن التجار كانوا يتجهزون الى بلاد السودان ب«الملح والودع والنحاس المسبوك والتاكوت وهو أنفق شيء عندهم للدبغ»[64].

---

59 - البكري، م.س. ص: 159.

60 - نفسه، نفس الصفحة.

61 - الادريسي، م.س. ص: 4.

62 - نفسه، ص: 42.

63 - القزويني، م.س. ص: 19.

64 - مجهول، الاستبصار، م.س. ص: 222.

إن هذا المؤلف هو أول من ذكر سلعا من المنتوجات الفلاحية ضمن صادرات بلاد المغرب الى بلاد السودان، ويتعلق الامر بمنتوج التاكوت الذي هو منتوج شجرة الطرفاء وهي من الأشجار التي اختصت بها منطقة درعة وسجلماسة. وتفيد اشارة صاحب الاستبصار في أن بلاد السودان كانت تعرف صناعة الجلود في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي.

ولم ينفرد هذا المؤلف بالاشارة الى المنتوج الفلاحي ودوره في التبادل التجاري باعتباره أحد السلع الجديدة المصدرة الى بلاد السودان في القرن السادس الهجري. فقد ذكر الادريسي أن التمور كانت من السلع التي يتجهز بها من سجلماسة الى بلاد ملم[65]. كما أن منتوج الحناء كان ينقل الى جميع الآفاق حسب ما جاء عند نفس المؤلف[66]. ويحتمل أنه وصل الى بلاد السودان أيضا رغم أننا لا نجد في المصادر تعبيرا صريحا عن ذلك، لان تسويق الحناء كان معمولا به في الرواج الداخلي، لكن لا نعلم ما إذا كان قد وصل بلاد السودان وأوربا أم لا.

وكانت سلع القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي تتكون من الملح والبخور والاصداف والاسورة النحاسية وكميات كبيرة من التمر[67] وتجب الاشارة الى ان ما وصلنا حول سلع بلاد المغرب في هذه المرحلة لا يتجاوز ما كان معروفا في السابق. وهذا ما يؤكد ثبات أنواع السلع في عملية التجارة بين الشمال والجنوب، ويعكس استمرار اقبال سكان بلاد السودان على هذا النوع من السلع دون غيرها.

65 - الادريسي، م.س. ص: 5.

66 - نفسه، ص: 37-38.

67 - Djibril Tamsir aliene, L'interdépendance des empires soudanaise et des états Maghrébins aux XI-XIV° siècles, collogue d'Erfoud, Italia, 1986, p: 127

وفي القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي ذكر أبو الفدا أن التجار المغاربة يحملون الى بلاد السودان التين والملح والنحاس والودع[68]. وعند ابن بطوطة نجد حول سلع المغاربة الى بلاد السودان ما يلي : «والمسافر بهذه البلاد لا يحمل زادا ولا إداما ولا دينارا ولا درهما انما يحمل قطع الملح وحلي الزجاج الذي يسميه الناس النظم وبعض السلع العطرية، وأكثر ما يعجبهم منها القرنفل والمعطلى وتاسرغيينت»[69]. كما نجد أن الهدايا التي قدمها سلاطين بني مرين الى غيرهم من ملوك عصرهم تضم المواد المصنعة من النحاس والانسجة المطروزة[70].

ويمكن ملاحظة هذا التطور الذي عرفته السلع المغربية الى بلاد السودان بنوع من الوضوح من خلال الجدول الخاص بها في كل فترات العصر الوسيط.

سلع بلاد المغرب الى بلاد السودان			المرحلة الزمنية	مصدر المعلومات
مواد مصنوعة	مواد خام	منتوج فلاحي		
- النحاس - ثياب مصبغة بالاحمر والازرق - الودع	- الملح		القرن 5 هـ/11 م	البكري، ص : 159

68 - أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسنية المصرية، بدون تاريخ، ج: 1/ ص: 96.

69 - ابن بطوطة، م.س. ج: 2/ ص: 779.

70 - J. Brignon et autres; histoire du Maroc, Casablanca, 1967, p:155.

سلع بلاد المغرب الى بلاد السودان			المرحلة الزمنية	مصدر المعلومات
مواد مصنوعة	مواد خام	منتوج فلاحي		
- النحاس الاحمر - النحاس الملون - الخرز - الاكسية - ثياب الصوف - العمائم - المازر - النظم الزجاجية - الاصداف - الاحجار الكريمة - الافاوية والعطر - آلات الحديد	- الصوف - الملح	- التمر - الحناء	القرن 6 هـ/12 م	الادريسي،ص:4 وص:42
- خرز الزجاج - الاسورة - الخواتيم - الحلق النحاسية	- خشب الصنوبر - خشب الارز - الملح		القرن 6 هـ/12 م	القزويني، ص: 19
- الودع - النحاس المسبوك	- الملح	التاكوت	القرن 6 هـ/12 م	مجهول،الاستبصار ص: 222
الاصداف الاسورة النحاسية	- الملح	- التمر	القرن 7 هـ/13 م	اعتمادا على الحفائرالاركيولوجيا Djibril.T.N Op. Cit.; p. 155.

سلع بلاد المغرب الى بلاد السودان			المرحلة الزمنية	مصدر المعلومات
مواد مصنوعة	مواد خام	منتوج فلاحي		
- النحاس - الودع	- الملح	- التين	القرن 8 هـ/14 م	أبو الفداء، ج:1 ص: 96
- حلي الزجاج - السلع العطرية - عطر القرنفل - تاسرغينت	- الملح	- التمر	القرن 8 هـ/14 م	ابن بطوطة ج:2 ص: 779

وتعتبر الملح سلعة التبادل التجاري الأكثر أهمية ببلاد السودان رغم أن هذه المادة لا تعتبر لوحدها العامل الوحيد في العلاقات الواسعة التي كانت لتجار بلاد المغرب مع السودانيين. فقد سبقت الاشارة الى وجود بعض الممالك ببلاد السودان كملاحة Manga وملاحة Kowar. كما أ ممالح أوليل التي جلبت اليها الطرق التجارية في مرحلة ما قبل القون الخامس الهجري /الحادي عشر الميلادي - واستمرت على حيويتها في القرنين السادس والسابع الهجريين - تقع في منطقة قريبة من وادي السنغال وهي بذلك أقرب الى السودانيين من المغاربة.

ولا يمكن فهم نجاح المغاربة في احتكار الاسواق السودانية واختصاصهم في التعامل التجاري معهم لمدة طويلة إلا بناء على أدواتهم المصنعة التي كانت تلقى اقبالا كبيرا في بلاد الساحل. كما أن لانخفاض أسعار العبيد والتبر أثره في إقدام تجار الشمال على مناطق الجنوب وتوجيه الانتاج الحرفي بالمدن تبعا للطلب السوداني. وما تعدد المواد التي تم نقلها الى بلاد السودان خلال العصر الوسيط وتنوعها بين المصنوعات والمنتوجات الفلاحية الا دليلا على عدم اعتماد التجار على مادة الملح وحدها.

ومع ذلك لا يمكن أن نغفل الدور الذي لعبته الملح في عملية التبادل التجاري باعتبادها أحد السلع الرئيسية في التجارة الصحراوية. فقد أجمعت الدراسات الحديثة على أن بلاد السودان كانت تعاني من نقص طبيعي في مادة الملح، وبعض الاساطير السودانية تؤكد أن السكان كانوا يبيعون أبنائهم بقطعة ملح لا تساوي حجم أقدامهم[71].

إن ما يؤكد أهمية الملح في المبادلات التجارية بين المغرب والسودان الغربي في العصر الوسيط هو تحكم الممالح في الطرق التجارية. وقد أوضحنا سابقا العلاقة التي كانت بين الممالح والمسالك التجارية والتحولات التي حدثت عليها بعد اكتشاف ممالح تاتنتال التي عوضت ممالح أوليل.

لقد كتب ابن حوقل عن حاجة بلاد السودان لمادة الملح، وقال: «ان حاجة ملوك السودان كانت الى ملوك أودغشت ماسة من أجل الملح الخارج اليهم من ناحية الاسلام، فإنه لا قوام لهم إلا به، وربما بلغ الحمل من الملح في أواخر بلد السودان وأقاصيه ما بين مائتين الى ثلاثمائة دينار»[72]. وهو ما يعادل كلغرام واحد من الذهب[73]. وهذا ما يؤكد ما ذكره الادريسي أثناء حديثه عن ممالح أوليل حين قال بأنه لا يوجد ببلاد السودان ملاحة غيرها وأن حاجة تلك البلاد من هذه المادة يتم جلبها منها[74].

---

71 - Ould Bah: Les villes de Mauritanie, collogue d'Erfoad, Italia 1986, p:120.

72 - ابن حوقل، م.س. ص: 90.

73 - J. Devisse, routes de commerce, 1er partie, op. cit, p:50.

74 - الادريسي، م.س.، ص: 2.

أشار ابن بطوطة الى أن تجار بلاد السودان كانوا يأتون الى تغازى «فيحملون منها الملح، ويباع الحمل منه بايولاتن بعشرة مثاقيل الى ثمانية، وبمدينة مالي بثلاثين مثقالا الى عشرين وربما انتهى الى أربعين مثقالا»[75]. وهذا السعر الذي ذكره هذا المؤلف يعادل 47،20 غرام للحمل من الملح بولاته و6، 141 غرام بمالي[76].

وقد اعتبر دوفيس J. Devisse ما قاله ابن بطوطة عن تجار بلاد السودان وبحثهم عن الملح بتغازى مؤشرا لوجود تجارة سوادانية في مناطق الشمال. لان القافلة السودانية التي شاهدها ابن بطوطة بتغازى لابد أنها حملت معها سلعا تجارية قصد بييعها قبل العودة بأحمال الملح، وهذا ما يعبر عن رغبة أباطرة مالي في الافلات من قبضة محتكري تجارة الملح في القرن الرابع عشر الميلادي[77].

4 - سلع بلاد السودان الى بلاد المغرب :

كان لحاجة بلاد المغرب الى الذهب والعبيد أثرها في اندفاع التجار الى بلاد السودان عبر الصحراء الكبرى. وكان هذا التعامل التجاري يدر أرباحا كثيرة شجعت المغاربة على التوجه نحو السوق السودانية التي يظهر أنها شكلت الحافز لتطور بعض الصناعات في العواصم المغربية الكبيرة. وقد استجابت الحرف المغربية لحاجات المستهلك السوداني ووفرت له الادوات النحاسية والحديدية ومصنوعات الزجاج والالبسة الصوفية والعطور.

75 - ابن بطوطة، م.س. ص: 773.

76 - J. Devisse, op. cit, p: 58.

77 - Ibid, p: 59.

وظل المغاربة يسيطرون على تجارة الصحراء في المرحلة الواقعة بين القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي والقرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي - وهي المرحلة التي استمر فيها الذوق السوداني خاضعا لتوجيه الصانع المغربي - أي الى تاريخ انفتاح بلاد السودان على مناطق أخرى وإقبال سكانها على استهلاك سلع جديدة لم يفلح المغاربة في منافستها وابعادها عن السوق السودانية.

شكلت بلاد السودان المصدر الرئيسي للتبر والعبيد في العصر الوسيط، وقد استفاد المغاربة في تعاملهم التجاري خير ما استفادة من هذين العنصرين المهمين نتيجة انخفاض اسعار اقتنائهما مقارنة مع السلع المغربية التي تتم بها عملية التبادل. وقد كان للذهب أهمية خاصة في هذه العملية لأنه مثل مصدر غنى تجار ودول بلاد المغرب، فالكميات المهمة التي تم جلبها خلال هذه الفترة كان بعضها ينقل الى البلاد الاوربية في حين كان أغلبها يستغل محليا في صناعة الحلي وضرب النقود[78].

تحدث البكري في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي عن الذهب المصنوع في بلاد السودان، وهذا ما يعطي الدليل على أن التجار لا يجلبون التبر الخام وإنما الذهب المسبوك. ويفيد ذلك في معرفة أن طريق العودة بالنسبة للقوافل التجارية قد أصبح أكثر سرعة من طريق الذهاب باعتبار خفة حمولة الجمال. قال البكري : «والذهب الابريز الخالص خيوطا مفتولة، وذهب أودغست أجود من ذهب أهل الارض وأصحه»[79].

---

78 - Brunschvig; La berbèrie orientale sous les Hafrides, Paris, 1940, T.2 p: 267.

79 - البكري، م.س. ص: 159.

وأشار الادريسي في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي الى الكميات الكبيرة التي كانت تتوفر عليها منطقة ونقارة التابعة لملكة غانة ونكر أن لملكها بقصره «لبنة من ذهب وزنها 30 رطلا من ذهب تبرة واحدة خلقها الله تعالى خلقة تامة من غير أن تسبك في نار أو تطرق بآلة وقد نقر فيها ثقب، وهي مربطة لفرس الملك وهي من الاشياء المغرية التي ليست عند غيره»[80].

ان سلع بلاد السودان التي كانت تجلب الى بلاد المغرب، كانت تتشكل في أغلبها من الذهب والعبيد، غير أن هناك بعض السلع الأخرى التي كانت لها حصتها في المبادلات، وكان التجار يقبلون عليها لاهميتها في الطلب داخل الاسواق المغربية، فقد تحدث البكري عن العنبر الجيد الذي يجلب من بلاد السودان الى المغرب[81]. وذكر الادريسي ان التجار يجلبون «التبر والخدم من عبيد لملم»[82]. وانفرد صاحب الاستبصار بذكر أن التجار كانوا يجلبون الاسواط التي تسمى بالسراقيات والتي تحمل بالاندلس اسم ذنب الفأر[83]. وأشار ابن سعيد الغرناطي الى أن المغاربة كانوا يجلبون التبر وأنياب الفيل والمسك[84].

---

80 - الادريسي، م.س. ص: 7.

81 - البكري، م.س. ص: 159.

82 - الادريسي، م.س. ص: 5.

83 - مجهول، الاستبصار، م.س. ص: 214.

84 - ابن سعيد الغرناطي، من خلال E. Fagnan, extraitsinédits relatifs au Maghreb, Alger, 1924, p: 54.

وكانت سلع القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي تتكون من الجلد والعاج والجوز والتبر[85] إضافة الى الشب وريش النعام[86]. كما مثل العبيد العنصر الثاني الاكثر أهمية في التجارة الصحراوية، وأول نص جغرافي تحدث عن عبيد السودان بنوع من التفصيل نجده في كتاب البكري حيث ورد بأن سكان أودغست من البربر والعرب يملكون أعدادا كبيرة من السودانيات الطباخات المحسنات تباع الواحدة منهن بمائة مثقال وأكثر[87].

وفي القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي تحدث الادريسي عن عبيد لملم وقال : «وفي الجنوب من بريسى أرض لملم وبينهما نحو 10 أيام وأهل بريسى وسلى وتكرور وغانة يغيرون على بلاد لملم ويسبون أهلها ويجلبونهم الى بلادهم فيبيعونهم للتجار الداخلة اليهم فيخرجهم التجار الى سائر الاقطار»[88]. وعبيد لملم حسب رأي نفس المؤلف هم سكان المناطق المجاورة لنهر النيجر «وهم يتناكحون بغير صدقات ولاحق وهم أكثر الناس نسلا... وأهل تلك البلاد المجاورة لهم يسبونهم في كل الاحايين بضروب من الحيل... ويخرج منهم في كل عام الى المغرب الاقصى أعدادا كثيرة»[89].

---

85 - ابن الخطيب، الاحاطة : م.س. ج:2/ ص: 192.

86 - L'Abré Bargés, Relation commerciales de Tlemsen avec le soudan, Revue de l'orient, Paris, 1853, p: 339.

87 - البكري، م.س. ص: 158.

88 - الادريسي، م.س. ص: 7.

89 - الادريسي، م.س. ص: 7.

إن عبيد لملم الذين تحدث عنهم الادريسي هم جنس العبيد الذين تحدثت عنهم المصادر في القرنين السابع والثامن الهجريين. ذكر بن سعيد أن عبيد لملم يعرف جنسهم بالرقيق ببلاد المغربي[90]. وقال ابن خلدون في نفس الموضوع «وفي جنوبي هذا النيل - يعني نهر النيجر - قوم من السود يقال لهم لملم وهم كفار ويكتوون في وجوههم وأصدافهم وأهل غانة والتكرور يغيرون عليهم ويسبونهم ويبيعونهم للتجار فيجلبونهم الى المغرب وكلهم عامة رقيقهم وليس وراءهم في الجنوب عمران»[91].

ويظهر أ هذه الجماعة من سكان بلاد السودان التي حملت اسم لملم في المصادر المغربية كانت مغلوبة على أمرها رغم وفرة أعداد المنتمين لها، ولذلك اختصت بالسبي والبيع من طرف الآخرين طيلة قرون عديدة بدليل أن اسم الرقيق ببلاد المغرب قد ارتبط باسمها ما بين القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي والثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي.

لقد كانت مصادر العبيد متعددة ببلاد السودان، وشكلت المناطق الواقعة جنوب النيجر خزانا مهما لها بما في ذلك، مناطق غينيا وموسي Mossi وكورونسي Courounsi ومناطق شمال الطوغو Togo والداهومي Dahomey ونجريا الوسطى ومندرا Mondara وسارة Sara. وكل هذه المناطق كانت مجالا لسبي العبيد من طرف بعض القبائل السودانية التي اختصت بهذا العمل في العصر الوسيط نتيجة ما كان يدره من أرباح عليها[92].

---

90 - ابن سعيد المغربي، م.س. ص: 92.

91 - ابن خلدون، المقدمة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1982، ص: 69-70.

92 - R. Mauny, Tableau géographique, Op. Cit., p: 339.

ويمكن تتبع تطور سلع بلاد السودان الى بلاد المغرب، مابين القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي والقرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي من خلال الجدول التالي :

سلع بلاد السودان	المرحلة الزمنية	مصدر المعلومات
- العنبر - الذهب الابريز الخالص	القرن 5 هـ/11 م	البكري : ص: 159
- التبر - الخدم من لملم	القرن 6 هـ/12 م	الادريسي: ص: 5-7
- الذهب - الشب	القرن 6 هـ/12 م	القزويني : ص: 25-26
- الذهب - الاسواط التي تسمى بالسراقيات	القرن 6 هـ/12 م	مجهول الاستبصار ص:114
- التبر - عبيد لملم	القرن 7 هـ/13 م	ابن سعيد المغربي : ص: 92
- الجلد - العاج - الجوز - التبر	القرن 8 هـ/14 م	ابن الخطيب: الاحاطة، ج:2 ص: 192.
- التبر	القرن 8 هـ/14 م	ابن بطوطة: ج:2 ص:773
- عبيد لملم	القرن 8 هـ/14 م	ابن خلدون، المقدمة ص:69-70
- الذهب - العبيد	القرن 8 هـ/14 م	Ibn Fadl Allah Al Omari masâlikalabsâr;traduction GaudeFroy demombynes Paris,1927, p:202

مراكش

حسن حافظي علوي(*)

---

* - أستاذ التاريخ / كلية الآداب - مراكش

الإعلام الثقافي

جائزة المغرب الكبرى للكتاب لسنة 1989

اهتداء بالتوجيهات السامية لراعي الثقافة صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني حفظه الله، توالي وزارة الثقافة بذل الدعم والتشجيع للابداع والبحث العلمي من خلال عدة روافد أهمها جائزة المغرب للكتاب، التي تعرف منذ إحداثها سنة 1968 تدرجا في تطور تنظيمها وفي قيمتها المالية وفي تفريعاتها، حيث تشتمل حاليا على الاصناف المعرفية التالية :

1 - العلوم الإنسانية والاجتماعية.
2 - العلوم البحتة والتجريبية.
3 - الآداب والفنون.

ويضم كل صنف فرعين، تمنح عن كل منهما شهادة وتمثال تذكاري، ومكافأة مالية مناسبة مبلغها خمسون ألف درهم.

وقد أسفر عمل «لجنة المداولة والقرار» في اجتماعها المغلق، واستنادا إلى تقارير تقويمية لمختصين، عن تحديد الفائزين بجائزة المغرب الكبرى للكتاب برسم 1989 كما يلي:

1 - العلوم الانسانية والاجتماعية :

أ - السيد د. عبد العلي الودغيري عن مؤلفه : «قضايا المعجم العربي في كتابات ابن الطيب الشرقي».

والكتاب يسلط الضوء على مجموعة العوائق التي حالت دون تطوير وتحديث العربية خلال خقبة تاريخية طويلة، كما يثير أهمية الآراء النقدية لابن الطيب في الصناعة القاموسية، وتأثيرها في المعجميين المغاربة والمشارقة والمستشرقين.

ب - السيد د. محمد سعيد السعدي عن مؤلفه : المجموعات المالية في المغرب.

ويعالج الكاتب ظاهرة المقاولات الكبرى التي أفرزتها عملية المغربة، بمنهجية تجعل من المؤلف رسما دقيقا لخريطة هذه المقاولات وتطور مجالات تدخلها في الاقتصاد المغربي.

2 - العلوم البحتة والتجريبية :

أ - السيد د. ادريس بنصاري : عن أول دراسة جيوفيزيائية داخلية للمغرب تحت عنوان : «معرفة جيوفيزيائية للمغرب».

ب – السيدة د. نعيمة المدور البوعزاوي عن كتابها : «الامراض التعفنية للوليد والرضيع والطفل».

وهو تأليف علمي يستعرض مختلف الامراض ذات الطبيعة التعفنية والمعدية، والتي تستهدف الاطفال.

ورغم علاج العديد من هذه الامراض، فإنها لا تزال محط انشغال طبي مستمر.

3 – الآداب والفنون :

أ – السيد د. عبد الله العروي عن روايته: «أ و را ق» التي تندرج في الخط الروائي المتميز لروايتيه السابقتين : الغربة – اليتيم. وتعكس الرواية انشغالات العروي الفلسفية.

ب – السيد أ. سعيد يقطين : تحليل الخطاب الروائي. ومن خلال هذا الكتاب، يتصدى يقطين لاشكاليات الخطاب الادبي العربي، مواصلا مشروعه النقدي لتحليل هذا الخطاب في ضوء النظريات الادبية الغربية.

كما تم الاعلان كذلك عن منح جائزة الاستحقاق الكبرى برسم سنة 1989 لكل من الاساتذة الأجلاء، السادة :

– عبد الهادي بوطالب.
– عبد الوهاب بن منصور.
– عبد العزيز بنعبد الله.

وتعتبر جائزة الاستحقاق الكبرى التي أحدثتها وزارة الثقافة سنة 1986 احدى أدوات تكريم المغرب لابنائه من باحثين ومبدعين عن انجازاتهم في مختلف حقول المعرفة.

وتحظى الجائزتان بسامي العناية الملكية ممثلة في الرئاسة الفعلية لصاحب السمو الملكي ولي العهد الامير الجليل سيدي محمد لحفل تكريم الفائزين.

الملتقى الثاني لفنون وتاريخ الشاوية

تستمر وزارة الثقافة على نهج العمل لاستكشاف كنوز التراث والتاريخ المغربيين من خلال تنشيط ملتقيات البحث في الخصوصيات الثقافية الاقليمية، التي تكون النسيج الثقافي المغربي، وفي هذا الاطار نظمت الوزارة بمدينة سطات الملتقى الثاني لفنون وتاريخ الشاوية خلال الفترة الممتدة من 11 الى 14 يوليوز 1990، وضمن أنشطة الملتقى الثقافية، انعقدت ثلاث ندوات عالجت محوري تاريخ وفنون الشاوية وفق النحو التالي:

الندوة الأولى : **تاريخ الشاوية**

1 – منوعات من اقليم الشاوية
محمد المنوني
2 – التعريف ببعض رجالات الشاوية
محمد مفتاح

3 - مؤلف «نشر المحاسن والمآثر لرجال الشاوية «للقاضي العربي العزوزي».
علال الخديمي

النـدوة الثانية : **فنون الشاوية**

1 - الشـــاوية وفـن الملحــــون
عبد الرحمان الملحوني

2 - مؤثرات الجوار في أداة الايقاع في الموروث الشعبي.
محمد بوحميد

الندوة الثالثة :

الشاوية، تاريخ، مقاومة ونهضة

1 - الشاوية في العصر الوسيط
عبد العزيز الغزال

2 - مقاومة الشاوية ضد الاحتلال الفرنسي.
محمد بوجميل

3 - الحياة العلمية من خلال رجالات الشاوية.
غازي مختار

جامعة «الشريف الادريسي» المفتوحة
- الدورة الثالثة -

تحت الرعاية الشرفية لصاحب السمو الملكي ولي العهد الامير الجليل سيدي محمد، عقدت جامعة «الشريف الادريسي» المفتوحة دورتها الثالثة بالحسيمة خلال الفترة الممتدة من 17 الى 27 شتنبر 1990، واستمرارا في عملها العلمي الذي يتمحور حول ماضي وحاضر ومستقبل حوض البحر المتوسط بعامة، وإقليم الحسيمة والجهة الشمالية بخاصة، خصصت الجامعة هذه الدورة لتدارس المحاور الثلاثة التالية :

- الندوة الاولى :

الضـوء واللون في الفنون التشكيلية (المغاربية).

- الندوة الثانية :

الموسيقى الشعبية المتوسطية، تعريفها، صيانتها وتطويرها.

- الندوة الثالثة :

المؤسسات الثقافية واللامركزية، التجربة المتوسطية.

كما نظمت بموازاة أعمال الدورة الانشطة التالية :

- عروض تطبيقية للموسيقى الشعبية
- معرض للفن التشكيلي المغاربي
- معمل للتشكيل.

وقد أثرى بحث موضوعات الدورة صفوة من الباحثين المتخصصين والمسؤولين عن المؤسسات العلمية، والثقافية، والفنية من مختلف بلدان الحوض المتوسطي في الوطن العربي وفي أوروبا.

المعرض الدولي الثالث للنشر والتوزيع

جريا على سنتها، والتزاما بمواصلة التعريف بتطور حركة النشر في المغرب والعالم، نظمت وزارة الثقافة المعرض الدولي الثالث للنشر والكتاب في الدار البيضاء ما بين 16 و24 نونبر 1990، بمشاركة واسعة لدور النشر الوطنية والمؤسسات المعنية بالطباعة وتوزيع الكتاب، وقد برز من خلال المعرض ما أنجزه المغرب خلال مرحلة قصيرة في مجال صناعة الكتاب من خطوات هامة تؤهله اليوم للاسهام بدور فاعل وحديث الرؤيا في تقدم تلك الصناعة وما يرتبط بها من أنشطة اقتصادية وثقافية عربيا أفريقيا.

ونتيجة لاطراد نجاح المعرض، عرفت المشاركة فيه سنة 1990 تطورا واتساعا، كما ارتفع عدد الزوار الى 156.000، وتم اقتناء 400.000 كتاب.

ومن جديد ما تميز به المعرض الثالث، الاهتمام بالتعريف بالصناعة المطبعية الحديثة، وبما حققه الاستثمار الوطني في ميادين الطبع والتوزيع لتحقيق اكتفاء ذاتي.

وقد خصصت فضاءات أوسع للتنشيط الثقافي واتيحت مشاركة الزائر في هذه الفضاءات.

المناظرة الوطنية الثانية

إيمانا بأن الثقافة هاجس مشترك، وبحاجة متطورة إلى مواصلة التخطيط لتوجهاتها واستشراف آفاقها بمساهمة آراء مختلف الفعاليات، حرصت وزارة الثقافة على نهج الحوار الجاد والمتنوع الأطراف أسلوب عمل، واعتماد نتاجه مرتكزا أساسيا في بناء النهضة الثقافية المغربية.

وفي سبيل جعل هذا الحوار ذا أداء وظيفي موصول، بادرت وزارة الثقافة إلى تنظيم المناظرة الثانية حول الثقافة المغربية في مدينة فاس من 29 نونبر إلى 2 دجنبر 1990، وقد كان من مهامها دعم مسيرة تنفيذ توصيات المناظرة الاولى المنعقدة بتارودانت سنة 1986 من خلال التقويم وطرح جديد الآراء لتأمين نجاح تلك المسيرة أولا، وثانيا وضع الخطوط العامة لمستقبل الثقافة المغربية وفق ما يفرضه الواقع والمتغيرات الثقافية من أولويات.

وبرزت استجابة المثقفين بتنوع مشاربهم من خلال حضورهم المكثف، الذي تجاوز ثلاثمائة باحث ومبدع وعامل في شتى قطاعات الثقافة .

وكسابقتها حظيت المناظرة الثانية حول الثقافة المغربية بالرعاية السامية لصاحب الجلالة الملك الحسن الثاني راعي

الثقافة والمثقفين، واهتدت أشغالها بسديد الآراء المولوية، التي تضمنها الخطاب الملكي السامي الى المتناظرين.

وقد تمثل منهج عمل المناظرة في تشكيل أربع لجن هي :

- لجنة ثقافة الطفل.
- لجنة العمل الثقافي.
- لجنة توظيف التراث.
- لجنة وسائل الانتاج الثقافي.

ومن واقع النقاش الديمقراطي الهادف والبناء، الذي دار حول مختلف جوانب المسألة الثقافية المغربية، وتحقق في جوه تناسق الرؤى المتعددة، أسفرت المناظرة عن حصيلة قيمة من جديد التوصيات والاقتراحات، وعن التأكيد على ثوابت المناظرة الاولى.

وهكذا، أوصت لجنة ثقافة الطفل بإحداث هيئة أو لجنة وطنية لثقافة الطفل، وبإنشاء دور وحدائق عمومية للأطفال، وتشجيع الابداع والبحث الموجهين للطفل مع دعم جميع الوسائل والأدوات التقنية المستخدمة في تثقيفه، كما دعت اللجنة وزارتي الثقافة والتربية الوطنية الى تكثيف جهودهما في مجال ثقافة الطفل، بعمل وزارة الثقافة على طبع وتوزيع كتب ومجلات ومعاجم لغوية خاصة بالأطفال، وقيام وزارة التربية الوطنية بإدراج التربية الفنية والجمالية ضمن البرامج التعليمية،

- ومن جهتها تقدمت لجنة العمل الثقافي بتوصيات واقتراحات أهمها :

- إحداث بنيات ومؤسسات خليقة بتمكين الانتاج الثقافي من التطور على ضوء المتغيرات الكونية.

- دعم الانتاج الوطني وتشجيع المبادرة الابداعية الفردية والجماعية.

- تفعيل مراكز البحث العلمي القائمة وخلق مراكز متخصصة أخرى.

- ترشيد العلائق بين منتجي الثقافة وبين الدولة بمختلف مؤسساتها.

أما لجنة توظيف التراث فقد قسمت توصياتها واقتراحاتها بين التراث المخطوط والتراث الشعبي والتراث المعماري، واهتمت بجوانب المحافظة والتأمين والتوظيف، ومن تلك التوصيات والاقتراحات :

- العمل على إنشاء مكتبة وطنية تهتم بجمع التراث المخطوط وحمايته وتشجيع طبع وإخراج مالم تحقيقه من هذا التراث، وخلق بنك للمعطيات يشمل سائر أنواع المخطوطات.

- جمع المواد المتحفية أيا كان نوعها

- تقويم التراث الشعبي وحمايته.

- توظيف التراث الشعبي في مجالات ابداعية.

- إحداث مراكز متخصصة في إعادة الاعتبار للصناعة والحرف المرتبطة بالمعمار المغربي.

- وضع لوحات تعريفية رخامية للمآثر والمباني الاثرية.
- تحسيس المواطن المغربي بأهمية التراث المعماري وضرورة المحافظة عليه.
- تشجيع المواهب والخبرات المعمارية المغربية، وحثها على توظيف التراث المعماري، بإحداث جائزة وطنية لذلك.

وفي إطار لجنة وسائل الانتاج الثقافي، خلص الحوار أيضا الى صياغة توصيات واقتراحات، يتلخص بعضها في التالي :

قطاع الكتاب :

- عقد الصلة بين الابناك ورجال الطباعة والنشر بإشراف وزارة الثقافة لتساهم المؤسسات البنكية في تشجيع قطاع الطباعة والنشر عن طريق منح قروض كافية بتسهيلات في الاداء وامتيازات في نسب الفوائد.

- اعفاء كل مواد الطباعة الأولية للكتاب فضلا عن الورق من الرسوم الجمركية والضريبة على المعاملات والضريبة على القيمة المظافة.

- احداث مؤسسة شبه عمومية أو خاصة لتوزيع الكتاب المغربي في الداخل والخارج، مع الحصول على أكبر التسهيلات من طرف مصالح البريد وشركات النقل البري والجوي والبحري، ومن طرف ادارة الجمارك ومكتب الصرف.

- إعادة النظر في البرامج التعليمية لتعويد التلاميذ على القراءة الحرة الى جانب الكتب المقررة.

قطاع الموسيقى والمسرح :

- التعجيل بعقد اجتماع المجلس الاداري للمسرح الوطني محمد الخامس والعمل على عقده بانتظام مرتين في السنة كما ينص على ذلك الظهير الشريف المؤسس للمسرح الوطني محمد الخامس.
- فتح حوار مع الجامعة الوطنية لمسرح الهواة.

- تنظيم التكوين الموسيقي

- دعم البحث العلمي

- دعم الابداع الموسيقي

- نشر المعرفة الموسيقية ودعم الممارسة

- تنظيم الصناعات الموسيقية.

قطاع التشكيل والسينما :

- العمل على هيكلة قطاع الفنون التشكيلية بالمغرب.

- الزيادة في موارد صندوق دعم الانتاج.

- خلق تعاونيات للانتاج السينمائي.

- دعوة الخواص ومالكي وسائل التمويل وتحفيزهم على الدخول في عمليات إنتاج الافلام الوطنية.

- عقد اتفاقيات للانتاج المشترك بين دول المغرب العربي بشكل خاص ومع باقي دول العالم.

- الاهتمام بتوزيع الافلام المغربية في الداخل والخارج.

- وضع «كوطا» لتوزيع الفيلم المغربي في القاعات على طول الخريطة الوطنية.

- خلق معهد لدراسة السينما

- خلق خزانة سينمائية وطنية لجمع مختلف أنواع الاشرطة المغربية والمحافظة عليها وترميم المهدد بالضياع منها، وتوزيعها.

- دعم حركة الاندية السينمائية، والجمعيات المهتمة بالثقافة والانتاج السينمائيين بالمغرب.

- طبع ونشر وتوزيع الابحاث والدراسات النظرية والاكاديمية التي أنجزت من طرف الباحثين المغاربة.

- خلق جوائز لكتابة السيناريو وتشجيع العلاقات بين المبدعين في الاجناس الادبية والسينمائيين.

- دعم ممارسة الهواة وتنظيم تظاهرات خاصة.

وضمن برقية الولاء والامتنان، التي رفعها المتناظرون الى صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني حفظه الله، أشاد الجميع بما تنعم به الثقافة والمثقفون من سابغ الحظوة الملكية السامية.

جامعة «مولاي علي الشريف الخريفية» (الدورة الثانية)

تحت الرعاية السامية لصاحب السمو الملكي الامير مولاي رشيد، عرف إقليم الرشيدية، انتظام أيام الدورة الثانية لجامعة «مولاي علي الشريف» الخريفية، من السابع الى الخامس عشر من شهر دجنبر 1990. وكسابقتها، جرت وقائع الدورة الثانية بمقر «مركز الدراسات والبحوث العلوية»، الذي يشكل احتضان، ومتابعة وتوثيق أعمال الجامعة شطرا رئيسيا من وظيفته. وإذا كانت الجامعة - بدورتها هاته - قد رسخت لستمرارية الخطى على طريق إنماء البحث والدراسة المتخصصين في تاريخ الدولة العلوية، وفي آثار وتراث منطقة تافيلالت، فإن التجديد كان طابعها وسمتها، سواء في مستوى مضمونها العلمي، أو في مستوى منهج عملها. فتمشيا والتدرج التاريخي، انتقل المحور الرئيسي للدورة من فترة: «نشأة الدولة العلوية» الى الفترة: «من التأسيس الى نهاية عهد مولاي عبد الله»، وداخل هذا الاطار حظي الجانب الاركيولوجي باهتمام خاص من خلال التعريف بالعمارة على عهد مولاي إسماعيل، وتوزعت عروض الباحثين المشاركين بين الاقتصاد والسياسة والادب والسوسيولوجيا والتوثيق.

واستكمالا للمناخ الجامعي، تميزت هذه الدورة بحضور ثلة من الاساتذة الجامعيين، أسهم جميعهم في إثراء عروض المشاركين بتعقيباتهم الموضوعية القيمة، وباستقبال مجموعة من طلبة السلك الثالث لشعبة التاريخ بكليتي آداب الرباط وفاس، وأفرزت فاعلية وجود الطلبة تركيزا في طرح المناقشات وارتقاء بمحتواها الى مستوى أكاديمي لافت ومثمر.

وقد تم سير أعمال الدورة من خلال ثلاث ندوات، تناولت عروض الباحثين المقدمة فيها المحاور التالية :

أولا : الوثائق المرجعية لتاريخ الدولة العلوية

ثانيا : الدولة العلوية، بين البناء والعلاقات الخارجية.

ثالثا : العصر العلوي الاول، اجتماعيا وثقافيا.

والجدير بالاشارة إعلان السيد الوزير الاستاذ محمد بن عيسى في خطابه الافتتاحي لأعمال الدورة عن إصدار الوزارة كتابين يمثلان انطلاقة تنفيذ ما التزمت به عند إنشاء «مركز الدراسات والبحوث العلوية» من تيسير مهمة رواده بطبع المراجع التاريخية للدولة العلوية .

وعلى مدى أيام الدورة، اختصت الندوة الاولى بقراءات جديدة في المراجع التالية :

- تاريخ مولاي رشيد ومولاي اسماعيل بمملكة فاس ومراكش لمويط :
الدكتور محمد حجي.

- نزهة الحادي.. : للافراني:
الاستاذ محمد مزين

- زهر الاكم.. : لعبد الكريم الريفي :
الاستاذة اسيا بنعدادة.

- خلاصة الاثر في أعيان القرن الحادي عشر للمرادي المحبي الدمشقي، وتحفة الاخوان لبعض مناطق وزان:
الاستاذ الحسن الصادقي.

كما عالجت الندوة موضوعي :

- مولاي علي الشريف، منطلق بداية الدولة العلوية:
الاستاذ مولاي هاشم العلوي القاسمي.

- جوانب من السياسة العسكرية لمولاي محمد بن الشريف بدرعة : الأستاذ محمد البوزيدي.

أما الندوة الثانية فتضمنت عروضا عن:

- سفارة الحاج محمد تميم التطواني الى باريس :
الاستاذ محمد بن عزوز حكيم.

- من واجهات التحرك الدبلوماسي على عهد المولى اسماعيل:
محمد الدليرو

- التنظيم العسكري للدولة العلوية في مرحلة التأسيس :
الاستاذ محمد المهناوي.

- النمط الاقتصادي بالمدينة المغربية على عهد مولاي اسماعيل من خلال الكتابات الفقهية :
الاستاذ عبد الوهاب الدبيش.

- السلطان مولاي عبد الله، ومحاولات البحث عن استقرار السلطة بالمغرب:
الاستاذ محمد الفلاح العلوي.

وخلال بحوث الندوة الثالثة، طرحت المواضيع التالية :

- الخصائص العامة للتعليم في المغرب.
خلال القرن السابع عشر :
رابحة الزكري.

- مجالات الحركة الادبية في العصر العلوي الأول :
الاستاذ محمد القندوسي.

- إشكاليات التنقيب الأثري بموقع سجلماسة :
الأستاذ رونالد ميسيي.

- المعمار في تافيلالت خلال عهد مولاي اسماعيل : الاستاذ لحسن تاوشيخت.

- المعمار السجلماسي من خلال المصادر المكتوبة : الاستاذ حسن حافظي علوي.

- دور بعض المصادر الاساسية في البحث التاريخي : الاستاذ الحسن الكفناني.

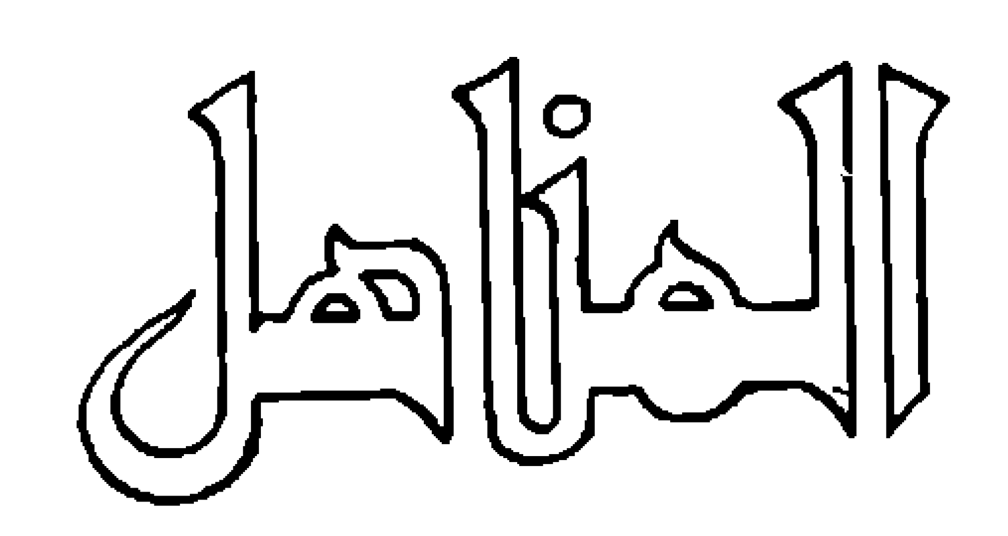
وفي الجلسة الختامية التي ترأسها السيد عامل إقليم الرشيدية قرئت البرقية المرفوعة الى صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني حفظه الله، وضمنها نوه المشاركون بموصول العناية المولوية الكريمة التي ما فتئ العاهل الهمام يوليها للجامعة، معربين جميعا عن امتنانهم لما تحظى به منابر البحث التاريخي في المملكة المغربية من سابغ الرعاية الملكية السامية.

رقم الإيداع القانوني 6 / 1974

وزارة الثقافة

دار المناهل للطباعة والنشر

1991



تصدرهـــا :

وزارة الشـــؤون الثقافيـــة

زنقة غانـدي ـــ الربـاط ـــ المغـرب

التلفـــون : 70.80.37

AL - MANAHIL

Publication
MINISTERE DES AFFAIRES CULTURELLES

Rue Ghandi Rabat (Maroc)
Tél. : 70.80.37

وزارة الثقافة ـ دار المناهل للطباعة والنشر



الثمن 10،00 دراهم